

زَادُ المَنَابِرِ

الجزء الثالث

يحتوي هذا الجزء على خطب متنوعة وسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

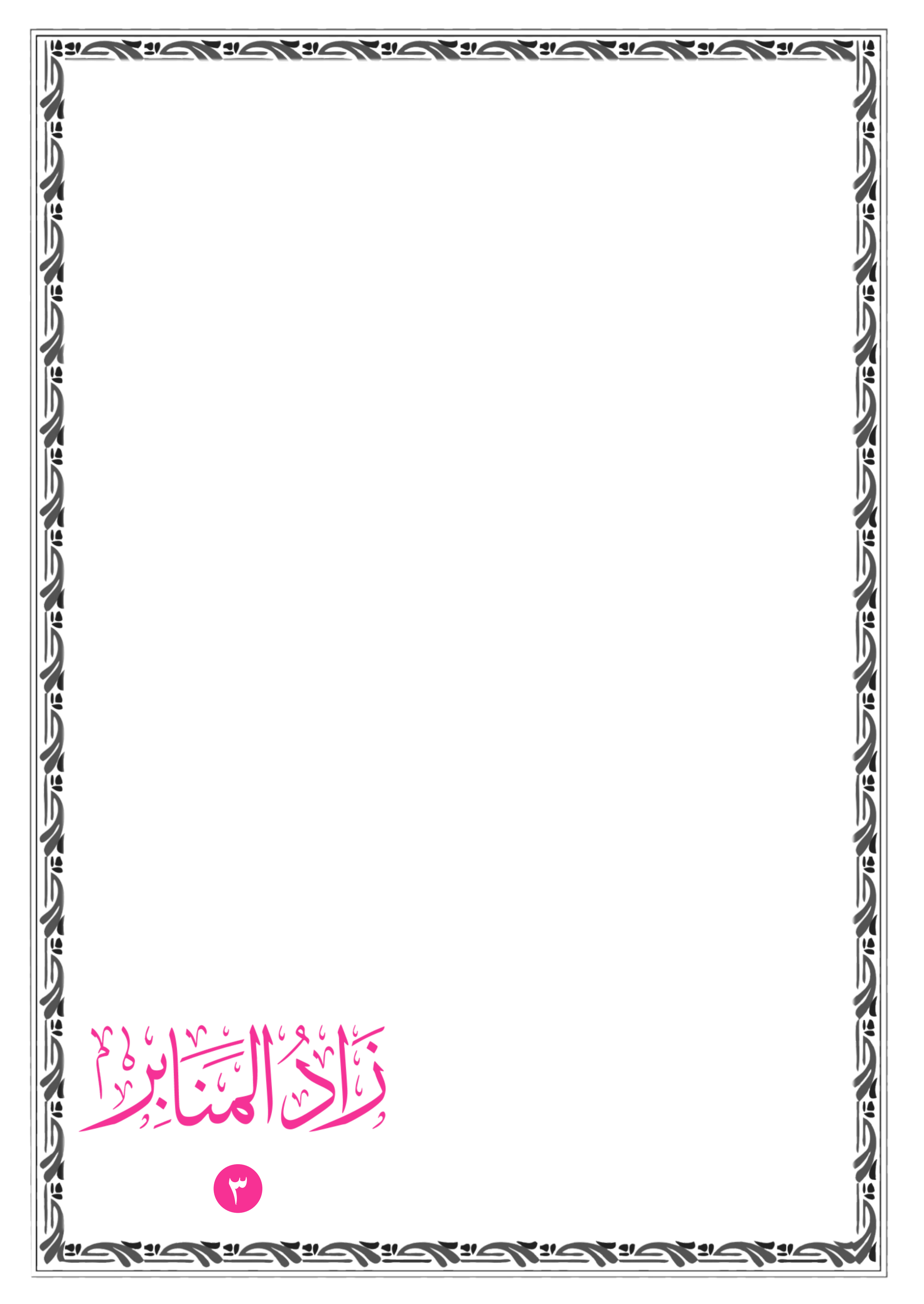




تأليف

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ فَاضِلٍ الرَّبِيعِيّ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين


زاد المنابر
٣



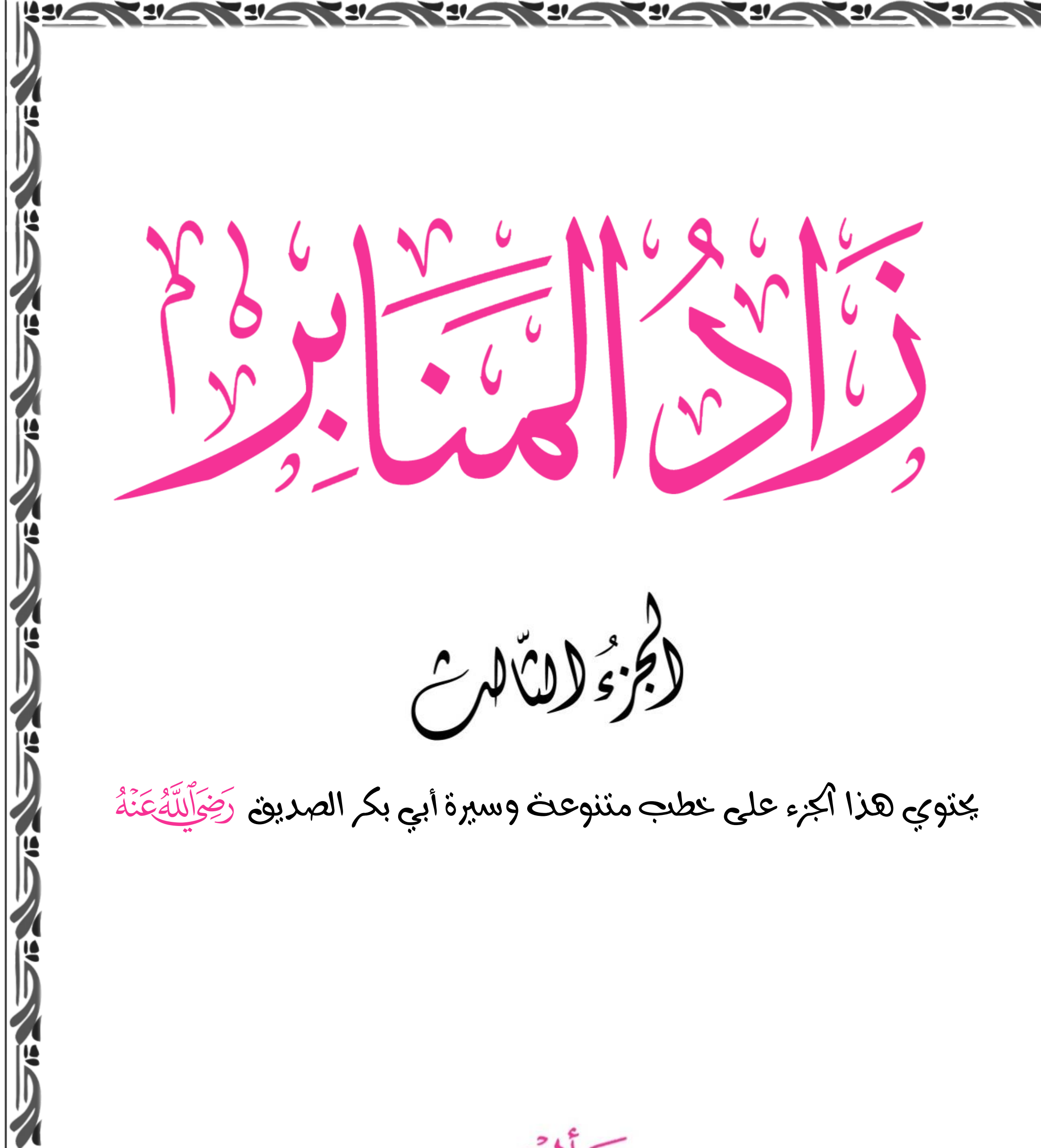
- **اسم الكتاب:** زاد المنابر - الجزء الثالث -

- **اسم المؤلف:** عبدالرزاق بن فاضل الربيعي

- **عدد الصفحات:** ٣٥٥

- **المقاس:** ١٧ x ٢٤

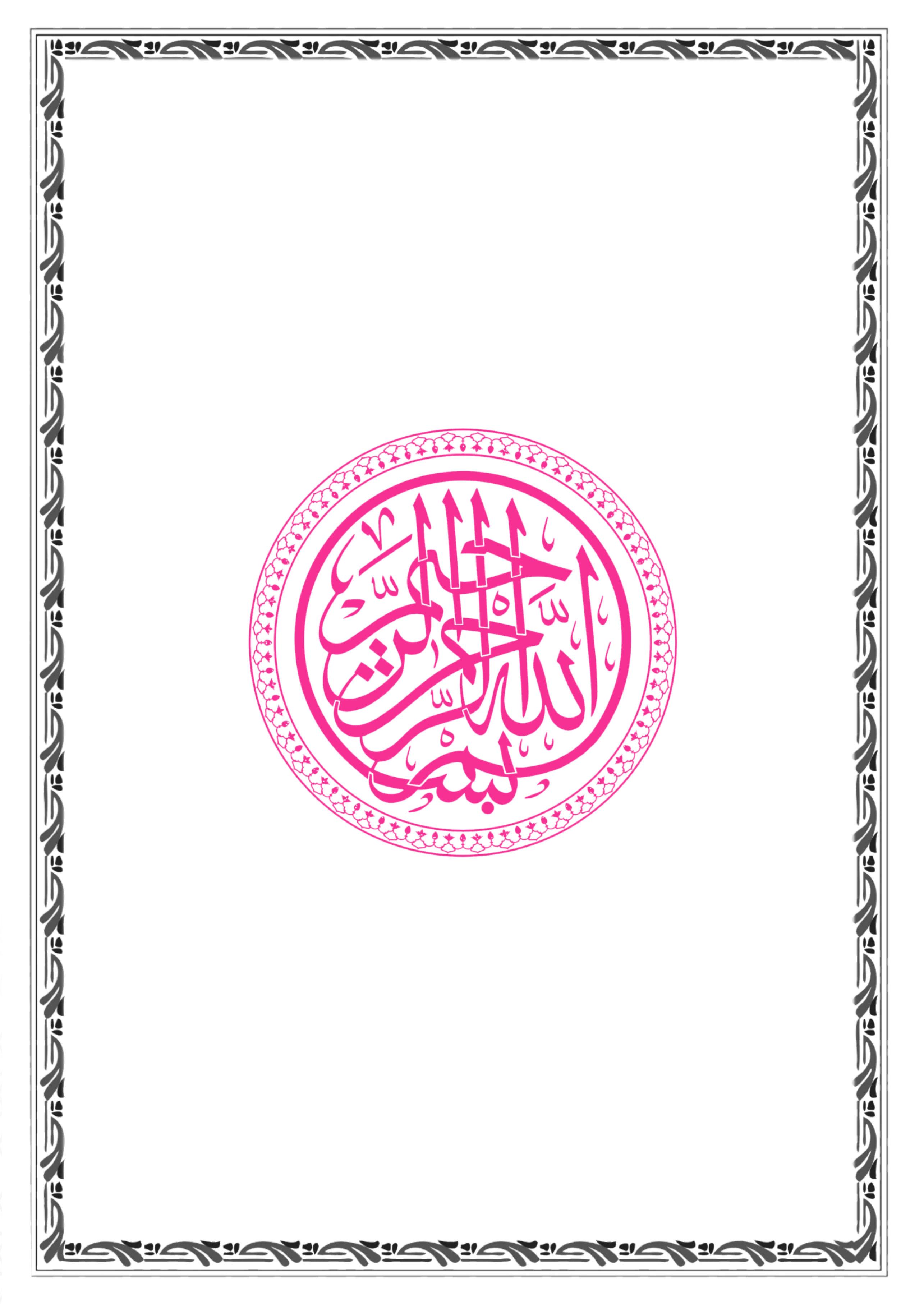
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م



يحتوي هذا الجزء على خطب متنوعة وسيرة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

تأليف

عبد الرزاق بن فاضل الربيعي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي علَّمَ عبادَه البيان، وألهَمَهُم التِّبيان، أحمدُهُ علىٰ ما أسبغَ من العطاء، وأَسْبَلَ من الغطاء، وأعوذُ بالله من شِرَّةِ اللّسَنِ وفضول الهَذَر، كما أستعيذُ به من معرَّةِ اللَّكنِ وفضوح الحَصَر.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، شهادةً محصِّلةً للغفران، منقذةً أصحابها من النيران، مُوصِلةً إلىٰ سُكنىٰ الجنان.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أفصحُ الخلق بيانًا، وأشرفهم قدرًا ومكانًا، وأحسنُهم نُصحًا وتبيانًا. صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خطبٌ محبَّرة، ومواضيع مسطَّرة، كُتبت بأسلوب يُناسب الخطباء بصنفيهم:

فالخطباء ارتجالًا تغنيهم - بإذنِ اللهِ - عن التحضير من غيرها وتكفيهم، والخطباء قراءةً من الورق أرجو أنَّ المكتوبَ يُناسبهم

ويُواتيهم، إذ جُمعَ فيه بين إيرادِ الأدلةِ والنصوص، مع شرحٍ وتوضيحٍ لكل موضوع مخصوص.

وقد تعمَّدَ كاتبُها أن يجعلها في أجزاء صغار، ليسهل حملُها في الأسفار، ونشرُها في الأقطار، ولا تُتعِبُ الخطيبَ عند الإلقاء، ولا تُثقل كاهل المقتني عند الاقتناء.

وقد سميتُ هذه السلسلة: «زاد المنابر» راجيًا إلهي أن ينفع بها البادي والحاضر، وأن يجعلها للخطيب والسامع من خيرة الذخائر.

وأسألُ اللهَ أنْ ينفع بها الخطيبَ والمطالعَ والسامع، وأنْ يُيسِّرَ انتشارَها في الجوامع والمجامع، وأن يجعلها في القيامة نِعمَ الشافع.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الذخيرة – حرسها الله ، وسائرَ بلاد المسلمين = آمين.



محتويات الجزء الثالث

في هـذا الجـزءِ مواضـيعُ متفرقـةٌ، وسـيرةُ أبـي بكـر الصـديق، وترتيبُها كالتالي:

١ – القولُ البنَّاء في أهميةِ تربيةِ الأبناء.

٢ – بيانُ أهمية الوقت وضرورة اغتنامه في الخير.

٣ – ضرورةُ تحقيقِ التوحيد وضررُ الشركِ بالله العزيز الحميد.

٤ – لفتُ الانتباه، إلىٰ تعظيم قدر الصلاة.

٥ – أسبابُ انشراحِ الصدر.

٦ – تحري الإصابة في واجبنا نحو الصحابة.

٧ – الإشارة والتشويق إلىٰ سيرة أبي بكر الصديق.

٨ – فضلُ القناعةِ وأسبابُ اكتسابِها.

٩ – أضرارُ الغفلة وأسبابُها وسُبُلُ علاجِها.

١٠ – توضيحُ المَقال في مفاسدِ الجوال.

١١ – فضلُ العلمِ ومكانةُ المعلِّم.

١٢ – الإخبار بما في الزلازل من المواعظ والاعتبار.

١٣ – القولُ المقصود في بيان حقيقة اليهود.

١٤ – النصائح والآداب للمعلمين والطلاب.





١- خطبة جمعة بعنوان:

القولُ البنَّاء في أهميةِ تربيةِ الأبناء

الحمدُ للهِ الذي يتفضّلُ علىٰ العباد، بنعمةِ البناتِ والأولاد، أحمدُه عددَ حركاتِ الأولاد، حمدًا يشرحُ الفؤاد، وينفعُ في يومِ المعاد.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له الملكُ الوهّاب، يُعطي من يشاء بغير حساب، ويؤخِّرُ عمن يشاءُ لما يعلمُ من الحِكَمِ والأسباب، فله الحمدُ حمدًا نرجو به النجاةَ من العذابِ في يوم الحساب.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه التوّابُ الأوّاب، ورسولُه إلىٰ جميعِ الحضَرِ والأعراب، بكتابٍ مصدقٍ ومهيمنٍ علىٰ كل كتاب، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلىٰ أصحابِه الأخيار، وآلِهِ الأطهارِ، ما تعاقبَ الليلُ والنهار، وسُمع اسمُه في الخطبِ والأذانِ والأذكار.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن، فإنَّ التقوىٰ خيرُ زادٍ، ينفعُ في يوم المعاد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾[(١)].

أيها المسلمون: إنَّ نعمةَ الإنجابِ للبناتِ والأولاد، من أعظمِ النعمِ التي يمتنُّ الله بها علىٰ من يشاء من العباد، وقد ذكرها بعد ذِكْرِ مُلكِهِ للسماواتِ والأرضِ وخلقِه لما يشاء سبحانه، فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾[(٢)].

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوْلَادَكُمْ هِبَةُ اللهِ لَكُمْ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور، فَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لَكُمْ إِذَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهَا**»[(٣)].

---

(١) [البقرة: ١٩٧].

(٢) [الشورىٰ: ٤٩-٥٠].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (٣١٢٣) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٥٨٤١) =

وبيّن سبحانه أنَّ البنينَ والبناتِ من زينةِ الحياةِ الدُّنيا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾(٢).

وقال تعالىٰ في سورة النحلِ التي تُسمىٰ بسورةِ النِّعم: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾(٣).

عباد الله: إنَّ من شكرِ نعمةِ وجودِ الأولاد أن يُحسِنَ الآباءُ والأمهات، تربيةَ البنينَ والبنات.

= وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٦٤). من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(١) [الكهف: ٤٦].

(٢) [آل عمران: ١٤].

(٣) [النحل: ٧٢].

فإنَّ الله جعل الأبناء أمانةً ومسؤوليةً في رقابِ الآباءِ والأمهاتِ، فأمرَ بوقايتهِم من النارِ، وذلك بحُسْنِ التربية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾(١).

ومعلومٌ - يا عباد الله - أنَّ الإنسانَ يومَ القيامة ليس له قوةٌ في نفسه ولا ناصرٌ من غيره، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾(٢). فكيف أمرَ اللهُ الآباء والأمهات بوقايةِ الأولاد والبنات من النار؟

والجواب: أنَّ هذا يكون من الآن - يا عباد الله -، وذلك بالحرصِ علىٰ تربيتِهم تربيةً صالحة، وتأديبِهم تأديبًا حسنًا، وإعانتِهم علىٰ إقامةِ الدين في أنفسِهم، وتعليمِهم العقيدةَ الصحيحة، وترويضِهم علىٰ الآدابِ الحسنةِ والأخلاقِ الفاضلة، والحيلولةِ بينهم وبين الرذائلِ بشتىٰ الوسائل.

---

(١) [التحريم: ٦].

(٢) [الطارق: ٩-١٠].

ولذلك قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: « أي: علِّموا بعضَكم بعضًا ما تَقُونَ به من تعلِّمونَه النارَ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله. وقوله: ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: وعلِّموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يَقُونَ به أنفسَهم من النار. وعن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: علِّموهم، وأدّبوهم »[(١)].

وعن قتادة قال: « يقيْهِم أنْ يأمرَهُم بطاعةِ الله، وينهاهم عن معصيتِه، وأنْ يقومَ عليه بأمر الله، يأمرُهم به ويساعدُهم عليه، فإذا رأيتَ لله معصيةً ردعتَهم عنها، وزجرتَهم عنها »[(٢)].

عبادَ الله : لقد كان صلاحُ الأولادِ عند الأنبياء والصالحين أهمَّ من مجردِ وجودِ الذرية، ولذلك كان من دعاء زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (٢٣/ ٤٩١).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (٢٣/ ٤٩٢).

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾[١]. فزَكَرِيَّا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تَحرَّزَ فقَالَ: ﴿ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾، وَالْوَلَدُ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ نَفَعَ أَبَوَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْعَدَاوَةِ وَالْفِتْنَةِ إِلَىٰ حَدِّ الْمَسَرَّةِ وَالنِّعْمَةِ. وَهَكَذَا فَلْيَتَضَرَّعِ الْعَبْدُ إِلَىٰ مَوْلَاهُ فِي هِدَايَةِ وَلَدِهِ، وَنَجَاتِهِ فِي أُولَاهُ وَأُخْرَاهُ اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ والفضلاءِ الأولياء[٢]. ومثله قوله تعالىٰ عن زكريا أيضًا أنه قال في دعائه: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾[٣].

ومعنىٰ قوله ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾: واجعلْ يا ربِّ الوليَّ الذي تهبُه لي مرضيًّا ترضاهُ أنتَ ويرضاهُ عبادُك دينًا وخُلُقًا وخَلْقًا[٤].

---

(١) [آل عمران: ٣٨].

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٠).

(٣) [مريم: ٥-٦].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (١٨/ ١٤٧).

ومن دعاء إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[(١)]. ومن دعائه أيضًا: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾[(٢)]. فكان الشأنُ عندهم أنْ تكونَ الذريةُ صالحةً طيبةً، وليس المطلوبُ مجردَ وجودِ الذُّرّيةِ، إذْ لو لمْ يكونوا صالحين لربما كان وجودُهم بلاءً وعناءً علىٰ الوالدين.

وكذلك عند موتهم كانوا يُعنون بصلاح أبنائهم ويُحسنون في الوصية لهم، وقد ذكر اللهُ من ذلك ما يدلُّ علىٰ أهميةِ العناية بصلاحِ الأولادِ وبذلِ الأسبابِ التي يُرجىٰ أن تكون عونًا لهم علىٰ الخيرِ والصلاح، فهذا نبيُّ اللهِ يعقوبَ عند موته يوصي أبناءَهُ بالتوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾[(٣)].

---

(١) [إبراهيم: ٣٥].

(٢) [إبراهيم: ٤٠].

(٣) [البقرة: ١٣٣].

فتأمَّل يا رعاك الله! كيف سألَهم في وقت الفراقِ والوداعِ عن التوحيدِ ولم يسألْهم عن أمورِ الدنيا.

عباد الله: إنَّ أعظمَ مهمَّةٍ عمليةٍ في تربيةِ الأبناء، يجبُ أنْ يَحرصَ عليها الآباء تُجاهَ أبنائهم بعد إقامةِ توحيدِ الله وتعليمِهمُ العقيدةَ الصحيحةَ؛ هو حثُّهم علىٰ الصلاة، وعلىٰ إقامتها كما أمَر الله، وكما علَّمنا رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد أمرَ الله بذلك في كتابه وأمر بالاصطبار علىٰ تحقيقِ هذا الأمر، وأنْ لا ينشغلَ عنه المسلمُ بكسبِ رزقٍ ولا بغيره، قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أَمَرَهُ تَعَالَىٰ بِأَنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَيَمْتَثِلَهَا معهم، ويصطبرَ عليها ويُلازِمَها: وهذا الخطاب لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِهِ جَمِيعُ أُمَّتِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَى التَّخْصِيصِ. وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوقِظُ أَهْلَ دَارِهِ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَيُصَلِّي وَهُوَ يَتَمَثَّلُ بالآية. ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي:

---

(١) [طه: ١٣٢].

لا نسألُك أَنْ تَرْزُقَ نَفْسَكَ وَإِيَّاهُمْ، وَتَشْتَغِلَ عَنِ الصَّلَاةِ بِسَبَبِ الرِّزْقِ، بَلْ نَحْنُ نَتَكَفَّلُ بِرِزْقِكَ وَإِيَّاهُمْ، فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَزَلَ بِأَهْلِهِ ضِيقٌ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[١] »[٢].

وقد أثنىٰ الله علىٰ نبيه إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كان يأمرُ أهله بالصلاة والزكاة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾[٣].

وقد حثَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ تعليمِ الصغارِ الصلاةَ، ومتابعتِهم علىٰ ذلك، وإنِ استدعىٰ الأمرُ أنْ يُضربوا في سنِّ العاشرةِ وما بعدَها علىٰ إقامةِ الصلاة فإنَّ ضربَهم سُنةٌ يؤجرُ عليها

---

(١) [الذاريات: ٥٦-٥٨].

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٦٣).

(٣) [مريم: ٥٤-٥٥].

المسلمُ إنْ فعلها محتسبًا بدونِ إضرارٍ ولا تجاوُزٍ للقدْرِ الذي يحصلُ به التأديبُ والزجرُ عن ترك الصلاةِ أو التهاون بها، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

ولأهميةِ تعليمِ الأولادِ الآدابَ الكريمة، والعقائدَ السليمة، والأفعالَ المستقيمة، قصَّ الله علينا في كتابه الكريم، وصايا لقمانَ الحكيم، وفيها النهيُ عن الشرك وبيانُ خطَرِه، ولا أظلمَ ممن ارتكبه ولا ضررَ مثلَ ضررِه، وفيها الحثُّ علىٰ مراقبةِ الملِك الجبّار، في الجهرِ والإسرار، وأنَّ كل شيءٍ صغُر أو كبُرَ فإنَّ اللهَ يعلمُه ويأتي به ويحاسِبُ عليه، ولو كان في وسطِ الصُّخورِ الصمَّاء، أو في أعلىٰ مكانٍ في السماء، أو في باطنِ الأرض السُّفلىٰ، فلا يخفىٰ شيءٌ علىٰ العليِّ الأعلىٰ، فيجبُ أن نغرسَ في نفوسِ الأبناءِ مراقبةَ اللهِ في كل صغيرةٍ وكبيرة.

---

(١) أخرجه أبو دواد (٤٩٥) وحسنه النووي في رياض الصالحين (٣٠١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وفيها الحثُّ علىٰ إقامةِ الصلاةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر مع الصبرِ علىٰ ذلك، وفيها الوصيةُ بالإحسانِ إلىٰ الوالدينِ وطاعتِهما في المعروفِ ولو كانا كافرين، وفيها الحثُّ علىٰ حُسنِ الخلق مع كلِّ أحد، والنهيُ عن تصعيرِ الخَدِّ ولو كنتَ من أهلِ الجاه والجَد، وفيها الحثُّ علىٰ المشي معتدلًا بغير خُيلاء، والتوسُّطِ في الصوتِ عند الحديثِ والنداء.

فجمع فيها الوصيةَ بحقِّ اللهِ سبحانه في السر والعلن، وحثَّ علىٰ معاملةِ الناس بكل لطفٍ وخُلُقٍ حسن، فما أجملَها من وصايا وآداب، وما أنفعها من تعليماتٍ لأولي الألباب، قال تعالىٰ في محكم الكتاب: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾(١).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذِهِ الْوَصَايَا، الَّتِي وَصَّىٰ بِهَا لُقْمَانُ لِابْنِهِ، تَجْمَعُ أُمَّهَاتِ الْحِكَمِ، وَتَسْتَلْزِمُ مَا لَمْ يُذْكَرْ مِنْهَا، وَكُلُّ وَصِيَّةٍ يُقْرَنُ بِهَا مَا يَدْعُو إِلَىٰ فِعْلِهَا، إِنْ كَانَتْ أَمْرًا، وَإِلَىٰ تَرْكِهَا إِنْ كَانَتْ نَهْيًا.

فَحَقِيقٌ بِمَنْ أَوْصَىٰ بِهَذِهِ الْوَصَايَا أَنْ يَكُونَ مَخْصُوصًا بِالْحِكْمَةِ، مَشْهُورًا بِهَا، وَلِهَذَا مِنْ مِنَّةِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ عِبَادِهِ، أَنْ قَصَّ عَلَيْهِمْ مِنْ حِكْمَتِهِ، مَا يَكُونُ لَهُمْ بِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(٢).

---

(١) [لقمان: ١٣-١٩].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٦٤٩).

عبادَ الله: إنَّ الحرصَّ علىٰ تربيةِ الأبناء دليلٌ صادقٌ علىٰ محبتِهم، كما أنَّ إهمالَهم دليلٌ علىٰ التقصير في حقهم، ويُخطئ كثيرًا من يُهملُ تربيةَ أولاده بحجةِ تركِ التضييق عليهم، فيتركُ حبلَهم علىٰ غاربِه، فيقعُ ما لا تُحمدُ عُقباه، ويندم ولاتَ ساعة مندم.

وأرحمُ الخلقِ بالخلقِ وألطفُهم هو محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك فقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلِّمُ الصغارَ والكبارَ من أهلِ بيتِه وأقاربِه ويَغرسُ في نفوسِهم حبَّ الخيرات وتركَ المنكرات، كما يدلُّ علىٰ هذا حديثُ أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ أخذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِخْ كِخْ، ارمِ بها، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»(١).

فهذا قدوتنا ومعلِّمنا وإمامُنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفعلُه مع الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدلُّ علىٰ أنَّ تعليمَ الصغارِ من كمالِ محبتِهم

---

(١) رواه البخاري (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩).

وفيه منفعتُهم، ولا يقلُّ شأنُ تعليمِ الصبيانِ ما ينفعُهم وزجرِهم عما يضرُّهم عن شأنِ حمايتِهم من المخاطر الحسيّة، بل هي أولىٰ وأعظم، أرأيتم لو أراد صبيٌ أنْ يتحسّىٰ سُمًّا، هل من الرحمةِ به أن يُمنعَ من ذلك وإن بكىٰ وصاح أم يُتركَ ليشربَ السمَّ الذي فيه هلاكه؟

وكذلك أرأيتم لو اقترب من شيءٍ فيه هلاكُه فبادر أبوه ليمنعه من الوصول إلىٰ الضرر ويرده عن الاقتراب من الخطر؛ هل ما فعله الأب فيه قسوةٌ علىٰ ولده أم أنه فعَلَ ما يُصلحه؟

الجواب في الحالين: أنَّ الأبَ سيمنعُ عن ولدِه الضَّررَ، ويحولُ بينه وبين الخطر، ولو تركه مع قدرته علىٰ حمايته لكان مقصِّرًا ومفرِّطًا، فكذلك مَنعُ الأولاد من الخطأ وحملُهم علىٰ فعل الصواب لا يَقلُّ أهميةً عن منعهم من المخاطر الحسية.

حتىٰ وإن لم يُدرك الصغارُ أنَّ الآباءَ يُريدونَ مصلحتَهم ويحرصون علىٰ منفعتهم في الصِغَرِ فسيدركون ذلك عند الكِبَر، فلا تُبالوا - يا عبادَ الله -بالدعواتِ التي تدعو إلىٰ إهمالِ تربيةِ الأبناء، ولا تُصغوا بآذانكم إلىٰ المفتونين الذين يُرْهِبُونَ الآباءَ من

الحرصِ علىٰ أبنائهم، فإنَّ هؤلاءِ لا يُؤتمنون ولا يُصدَّقون، فالتربيةُ الحسنةُ مسؤوليةٌ سنُحاسبُ عليها ونُسألُ عنها بين يدي الله سبحانه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ مَالِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْه، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ**»[١].

ولقد ذكر العلماءُ أنَّ من حقوقِ الأبناء علىٰ آبائهم أن يختارَ الرجلُ الزوجةَ الصالحةَ التي تُحسنُ تربيةَ الأبناءِ وتعينُ الرجلَ علىٰ تربيةِ أولادِه تربيةً حسَنةً، ولذلك ورد في حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٨) وعبد الرزاق في المصنف (٢١٧٢٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٤٦٦).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ**»[(١)].

وأحاديثُ أخرىٰ كثيرة فيها الحثُّ علىٰ اختيارِ الزوجةِ الصالحةِ التي يأمنُها الشخصُ علىٰ نفسِها وعلىٰ بيتِه وأولادِه، وتكونُ عونًا لزوجِها وأولادِها علىٰ الصلاحِ والاستقامةِ.

وهاكم بعضَ النماذجِ من تربيةِ النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهلِه وأقاربِه، فمن ذلك ما تقدمَ ذِكْرُهُ من فعله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الحسنِ بنِ عليٍّ عند أنْ أخذَ تمرةً من تمرِ الصدقةِ.

ومن ذلك أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَّمَ ابنتَه الصبرَ عند المصيبةِ، كما في القصةِ التي رواها البخاريُّ ومسلم عَنْ أسامةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ ابنةً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد وَسَعْدٌ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، أَنَّ ابْنِي قَدِ احْتُضِرَ فَاشْهَدْنَا، فَأَرْسَلَ يَقْرَأُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٨) والدار قطني في سننه (٣٧٨٨) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٣٧٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.



أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّىٰ، فَلْتَصْبِرْ وَتَحْتَسِبْ»(١). الحديث إلىٰ آخره، والشاهدُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمها هذا الدرسَ في الصبرِ عند المصائب.

ومن ذلك أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال يومًا علىٰ المنبر: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(٢).

ومن ذلك أنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(٣).

ومن ذلك أنه علَّمَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ آدابَ الأكلِ عندما أكل مع النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت يدُه تطيشُ في الصحفَة، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». قال عمر: فَمَا زَالَتْ تلك طعمتي بعد(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٢٧٩) ومسلم (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٣) ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) رواه مسلم (٢٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٥٠٦١) ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة.

ومن ذلك أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَّم ابنَ عباس العقيدةَ الصحيحةَ، وأوصاهُ بتلك الوصايا النافعةِ، التي ينبغي لكل أبٍ أن يحفَظَها ويعلِّمَها أبناءه، وهي مذكورةٌ في حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

ومن ذلك تعليمُه للفضلِ بنِ عباسٍ غضَّ البصر، كما في حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، **فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَىٰ الشِّقِّ الْآخَرِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) واللفظ له. وصححه لغيره الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٥٢٤).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٩٧) وأحمد في المسند (٣٣٧٥) والبخاري (١٥١٣) ومسلم (١٣٣٤).

وكذلك صحابةُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُقِلَ إلينا نماذجُ يُقتدىٰ بها في حُسنِ تربيتِهم لأولادِهم بالقولِ والفعلِ، وفي الأمر والترك، فمن ذلك: ما رواهُ أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَىٰ عَلَيَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَىٰ حاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهاَ سرٌّ. قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ»[(١)]. فتأمل حُسنَ التربيةِ منذُ الصغرِ كيف جعلتَه طوالَ حياتِه لم يخبرْ بسِرِّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا.

ومن ذلك أيضًا ما فعله الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بنُ مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع قريبِه الذي كان يخذفُ بالحصىٰ فنهاه عن الخذفِ، ثم لما لم يستجبْ زجَرَهُ وهجَرَه، كما في الصحيحِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا إِلَىٰ جَنْبِهِ ابْنُ أَخٍ لَهُ، فَخَذَفَ،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨٢).

فَنَهَاهُ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْهَا، وَقَالَ: «**إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكأ عَدُوًّا، وَإِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ**».
قَالَ: فَعَادَ ابْنُ أَخِيهِ يَخْذِفُ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْهَا، ثُمَّ تَخْذِفُ؟ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا[(١)].

وهذا يدلُّ أيضًا علىٰ التنويعِ في أساليبِ التربيةِ، فالمُرَبِّي يُقدِّرُ المصلحةَ والأسلوبَ الذي ينفع، فبعضُ الأبناء ينفعُ معهم النصحُ والتعليمُ باللسان، ومنهم من يحتاجُ إلىٰ زجرٍ، ومنهم من يحتاج إلىٰ عقوبةٍ بما يناسبُ الحالَ والمَقام، فعلىٰ المُربِّي أنْ يُقَدَّرَ الشيءَ المناسبَ ويضعه في المكانِ المناسب.

وكلُّ أساليبِ التربيةِ النافعةِ داخلةٌ في إعانتِهم علىٰ الخيرِ والبرِّ والتقوىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾[(٢)].

ثم اعلموا - رعاكم الله - أنَّ ربَّنا سبحانه أخبرَ أنَّ الأولادَ من أسبابِ اللهوِ والانشغالِ عن بعضِ الطاعاتِ والواجبات، لا سيِّما

---

(١) رواه مسلم (١٩٥٤) وابن ماجه (١٧) واللفظ له.

(٢) [المائدة: ٢].

إذا لم يَحرصِ المسلمُ علىٰ إعطاءِ كلِّ عبادةٍ حقَّها من الاهتمام، فهم زينةٌ وابتلاء، ونعمةٌ واكتفاء، وقد يكونون سببًا للمشقةِ والعناء، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾[1]. والمراد بالفتنة في هذه الآية الاختبار، كما رُوي عن زيد بنِ أسلم، وقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾[2].

وسببُ نزولِ الآيةِ أنه لمَّا أرادَ بعضُ الصحابة أن يُهاجرَ تذمَّرَ بعضُ أبنائه من هجرتِه وخروجِه، فتأخر عن الهجرة لأجل أولادِه فسماهم الله عدوًا، باعتبار أنهم حالوا بينه وبينَ الخروجِ في سبيل الله فكانتْ عداوةً نسبيةً من هذا القبيل، حيثُ منعوه مما فيه منفعتُه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾[3].

---

(١) [الأنفال: ٢٨].

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٥). والآية في [سورة الأنبياء: ٣٥].

(٣) [التغابن: ١٤].

قال مجاهد عند تفسير هذه الآية: « يَحْمِلُ أَحَدَكُمْ حُبُّ وَلَدِهِ وَزَوْجَتِهِ عَلَىٰ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، أَوْ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَ حُبِّهِ إِلَّا أَنْ يُطِيعَهُ، فَنَهَىٰ اللهُ عَنْ طَاعَتِهِمْ فِي ذَلِكَ »[١].

وفي سنن الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾[٢]. قَالَ: «هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبَىٰ أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقُهُوا فِي الدِّينِ هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾»[٣].

---

(١) تفسير مجاهد (ص/ ٦٦٢).

(٢) [التغابن: ١٤].

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣١٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٠٤) وحسنه الألباني في تحقيق سنن الترمذي.



وقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: « هَذَا يُبَيِّنُ وَجْهَ الْعَدَاوَةِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لِذَاتِهِ وَإِنَّمَا كَانَ عَدُوًّا بِفِعْلِهِ. فَإِذَا فَعَلَ الزَّوْجُ وَالْوَلَدُ فِعْلَ الْعَدُوِّ كَانَ عَدُوًّا، وَلَا فِعْلَ أَقْبَحُ مِنَ الْحَيْلُولَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الطَّاعَةِ »(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم والسنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات الباهِرات والحِكَم المُنيفة، أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم وللمسلمين والمسلمات، من جميع الآثام والخطيئات، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه كان للأوابين غفورًا.



(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٤١).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضل المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد: فإنَّ التربيةَ الحسنةَ منذُ الصغرِ من أهم الأسبابِ لصلاحِ الأولاد، ومما يؤكدُ علىٰ أهميةِ الحرصِ علىٰ تربيةِ الأبناءِ من وقتٍ مبكرٍ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنَّ الأولادَ يولَدُون علىٰ الفطرةِ، ثم بحسبِ تربيةِ الأبِ غالبًا يكونُ الولد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كُلُّ مَوْلُودٍ يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ ترىٰ فيها جدعاء**»[١].

فالمسؤوليةُ علىٰ الآباءِ والأمهاتِ كبيرةٌ، لا سيِّما في زماننا هذا حيثُ كثُرتْ فيه الفتنُ ووسائلُ الشَّر، التي تُسَبِّبُ فسادَ الفِطَر.

---

(١) رواه البخاري (١٣١٩) ومسلم (٢٦٥٨).

عباد الله : منْ لم يهتمْ بتربيةِ أولادِه تربيةً صالحةً فإنه سيجني ثمرةَ تقصيرِه في الدنيا والآخرةِ، ففي الدنيا بعقوقِ الأولادِ والذكر السيء بين الناس، وفي الآخرة سيُحاسبُ علىٰ ضياع الأمانةِ والتفريطِ في المسؤوليةِ.

والكثيرُ ممن لم يهتم بتربيةِ أولادِه صغارًا، صارَ يجني عقوقَهم كبارًا، وهذا كثيرٌ ومشاهدٌ في أوساط الناسِ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فمَنْ أهملَ تعليمَ ولدِه ما ينفعُهُ، وتركَه سُدًىٰ، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءةِ. وأكثرُ الأولادِ إنَّما جاء فَسَادُهُمْ مِنْ قِبَلِ الآباءِ وإهمالِهِم لهم، وتَرْكِ تَعْليمِهم فرائضَ الدِّين وسُنَنِهُ، فأضاعُوهُمْ صغارًا، فلم يَنْتَفِعُوا بأَنْفُسِهِمْ، ولم يَنْفَعُوا آباءَهُمْ كِبَارًا، كما عاتبَ بعضُهُم وَلَدَهُ علىٰ العُقُوقِ، فقال: يا أَبَتِ إنَّك عَقَقْتَنِي صغيرًا، فعققْتُك كبيرًا، وأضَعْتَنِي وليدًا، فأضعتُك شيخًا كبيرًا »[١].

وأما الذكرُ السيءُ بين الناس؛ فإنَّ الناسَ إذا رأوا من الولد سوءًا في القول أو الفعل فإن الذي يتبادرُ إلىٰ أذهانهم هو أنَّ والدَ هذا

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٣٣٧ ط عطاءات العلم).

الولدِ لم يُحسن تربيتَه، وقد يجلبُ الولدُ لأبيه السبَّ والذمَّ، وهذا المعنىٰ يدل عليه حديثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»(١). ففيه دليلٌ علىٰ أنَّ مَنْ تَسبَّبَ في شيءٍ جازَ أنْ يُنسبَ إليه ذلك الشيء. وإنما جُعل هذا الفعلُ عقوقًا لكونه يحصل منه ما يتأذىٰ منه الوالد تأذيًا ليس بالهيِّن.

ثم إنَّ الغشَّ الذي سيُحاسبُ عليه المسلمُ ويُعاقبُ في الآخرة هو الغشُّ في تربيةِ الأبناء وتعليمِهم، وليس في عدمِ توفيرِ ما لا يحتاجونه من الكماليات التي يتباهىٰ بها كثيرٌ من الناس، ولذلك قال عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٩٠).

(٢) رواه البخاري (٦٧٣١) ومسلم (١٤٢) واللفظ له، عن معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفي لفظ قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما من عبدٍ يسترعيهِ اللهُ رعيةً، فلم يُحِطْها بِنُصْحِه، إلا لم يجدْ رائحةَ الجنة**»[(١)].

فاتقوا الله يا عباد الله وتذكروا أنَّ الأولاد هُمْ ثِمَارُ قُلُوبِنَا وَعِمَادُ ظُهُورِنَا وَنَحْنُ لَهُمْ أَرْضٌ ذَلِيلَةٌ وَسَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ، فيجب أن نهتم بهم وأن نعطيَهم من وقتنا ما يكفي لتربيتِهم على الدينِ ومعالي الأخلاق، وأنْ لا نُسلمَهم لأصدقاءِ السوءِ ولا للجوالاتِ ووسائلِ النِّت المفسدةِ التي تهدمُ الأخلاقَ والقيمَ وتُفسدُ المروءاتِ والفِطَر، فأولادُنا أمانة في أعناقِنا وسنسألُ عن تربيتِنا لهم، كما صحَّ في الخبر، عن خير البشر، أنه قال: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ**»[(٢)].

هذا وصلُّوا وسلِّموا علىٰ خير البرية، وأزكىٰ البشرية: محمدِ بنِ عبدِ الله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغُرِّ الميامين، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين، والخلفاء المَرْضِيِّين: أبي بكرٍ، وعمر،

---

(١) صحيح البخاري (٦٧٣١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٨) وعبد الرزاق في المصنف (٢١٧٢٥) واللفظ له.

وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلِحْ أئمتَنا وولاةَ أمورنا، واسلُكْ بهم سبيلَ الرشاد، اللهم كن لهم جميعًا مُوفِّقًا مُسدِّدًا لكل خير.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا، والربا والزنا، والزلازل والمِحَن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسِّر أمورنا، وبلِّغنا فيما يُرضِيك آمالنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم، إنك سميع الدعاء، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾[١].



(١) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].



٢- خطبة جمعة بعنوان/ أهميةُ الوقت وضرورةُ اغتنامِه في الخير

الحمدُ للهِ الذي يُقلِّبُ الليلَ والنهار، ويُصرِّفُ الحوادثَ والأقدار، ويقدِّرُ الآجال والأعمار، أحمدُه حمدَ ذوي البصائر والأبصار، وأشكره شُكرَ أولي الألباب والاعتبار.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ العزيزُ الغفَّار، شهادةً نرجو بها النجاةَ من النار، والفوزَ بمنازلِ الأبرار، في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه المختار، ورسولُه المبعوثُ بالبشارة والإنذار، إلىٰ الثقلين في جميعِ الأزمانِ والأمصار، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه الأطهار، وصحابتِه الأخيار، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ نهاية هذه الدار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا باستمرار.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[(١)].

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

من يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشَد، ومن يَعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا.

أيها المسلمون: تذهبُ السِّنون والأعوام، وتتصرَّمُ الليالي والأيام، وتنقضي بذهابها الأعمار، وتقترب بانصرامها الآجال، ولم نودعْها ما ينفعُنا من الأعمالِ، وكثيرٌ منَّا يضيعُ أوقاته في القيل والقال.

وتذكَّر أيها المسلمُ أَنَّك فِي كلِّ يَوْمٍ يخرجُ عَنْكَ، وَفِي كلِّ لَيْلَةٍ تَأْتِي عَلَيْك لَا تزدادُ من الدُّنْيَا إِلَّا بُعدًا، وَمن الْآخِرَة إِلَّا قُربًا، وعَلىٰ إثرك طَالبٌ لَا تفوتُه، وَقد نُصبَ لَك عَلَمٌ لَا تجوزُه، فَمَا أَسْرع مَا تَبلُغُ الْعلَمَ، وَمَا أوشكَ أَنْ يلْحقَكَ الطَّالِبُ، وَمَا نَحن فِيهِ زائل، وَالَّذِي نَحن صائرون إِلَيْهِ بَاقٍ، إنْ خيرًا فَخير وَإِن شرًّا فشر(١).

والناسُ في هذه الدنيا قسمان: رابحٌ وخاسر، فمن حافظ علىٰ وقتِه واستغلَّه في طاعةِ اللهِ فهو رابحٌ مغبوط، ومن ضيَّع وقتَه في معصيةِ الله عَزَّوَجَلَّ، أو في اللهوِ واللعبِ، مع الصحةِ المواتية لفعلِ

---

(١) من وصية قالها أعرابيٌّ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في كتاب فضائح الباطنية (ص/ ٢٢٠). وكتاب مختصر منهاج القاصدين (ص/ ١٣٥).

الطاعات، والعقلِ الذي يُميِّزُ به بين المباحاتِ والمحرمات فهو خاسرٌ مغبون، وهذا الصنفُ هم الكثيرُ بنصِّ قولِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبشهادة الواقعِ، كما روىٰ البخاريُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»[(١)]. والمغبونُ: الخائبُ المخدوع.

وَالْمَعْنَىٰ: أنه لَا يَعْرِفُ قَدْرَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، حَيْثُ لَا يَكْسِبُونَ فِيهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ كِفَايَةَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ فَيَنْدَمُونَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ عِنْدَ زَوَالِهَا وَلَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ[(٢)].

قال ابن حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ «**كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**» إِلَىٰ أَنَّ الَّذِي يُوفَّق لذَلِك قَلِيل. وَقَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنِ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٩).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٨٥).

اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةُ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمُ كَمَا قِيلَ:

يَسُرُّ الْفَتَى طُولُ السَّلامَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلامَةِ يَفْعَلُ

يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُكَلَّفِ مَثَلًا بِالتَّاجِرِ الَّذِي لَهُ رَأْسُ مَالٍ فَهُوَ يَبْتَغِي الرِّبْحَ مَعَ سَلَامَةِ رَأْسِ الْمَالِ، فَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَحَرَّى فِيمَنْ يُعَامِلُهُ وَيَلْزَمَ الصِّدْقَ وَالْحِذْقَ لِئَلَّا يُغْبَنَ، فَالصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ رَأْسُ الْمَالِ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَامِلَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَعَدُوِّ الدِّينِ لِيَرْبَحَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1].

الوقتُ - يا عبادَ الله - لا يُشترىٰ بالمال، ولا يؤخذُ بمغالبةِ الرجال، ولا يُكتسبُ بالذكاء، ولا يُمنح بالمحبة والاصطفاء.

الوقتُ يمكنُ أنْ تفعلَ فيه أيَّ شيء، وإذا ذهَبَ فلا يُمكنُ استرجاعهُ ولو بذلتَ كلَّ شيء.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٠).

والوَقْتُ أنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحفْظِهِ وأراهُ أسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ[(١)]

ومما يدلُّ علىٰ عَظَمَةِ الوقتِ وأهميّتِهِ أنَّ اللهَ تعالىٰ أقسَمَ به، وربُّنا سبحانه إذا أقسَم بشيء ففيه دلالةٌ علىٰ عَظَمَةِ ذلك الشيء، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾[(٣)]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[(٤)]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[(٥)].

الوقتُ يتمنَّاه الناسُ عند موتِهم، ويتمنَّاه أهلُ الموقف يوم القيامة، ويتمناهُ أهلُ النار إذا دخلوها، قال تعالىٰ:

---

(١) من قول الوزير ابن هبيرة كما في الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٢/ ٢٤٦).

(٢) [الفجر: ١-٤].

(٣) [الشمس: ١-٤].

(٤) [الليل: ١-٢].

(٥) [الضحىٰ: ١-٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

فعند الموتِ يطلبُ الوقت؛ ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ وقال اللهُ سبحانَه عن أهلِ الموقف: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾[٢]. وقال تعالىٰ عن أهلِ النارِ: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾[٣].

ومما يدلُّ على أهمية المحافظة على الوقتِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أننا مسؤولون عن أعمارِنا وأوقاتِنا فيمَ أضعناها وقضيناها، كما في حديثِ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

(٢) [الأنعام: ٢٧].

(٣) [فاطر: ٣٧].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(١). فسيُسأل الشابُّ عن شبابِه فيمَ أبلاه، والمُعمَّرُ عن عُمُره فيمَ أفناه، والصحيحُ عن صحتِه فيمَ استهلكها، والقويُّ عن قوتِه فيمَ أهدرها، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(٢).

ومما يدلُّ على ضرورةِ استغلالِ الوقتِ في الخيرِ: أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَنا باغتنامِ أعمارِنا عمومًا وشبابِنا خصوصًا، وكذلك أمرنا باغتنامِ فراغِنا وصحةِ أبداننا، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٢) [القيامة: ٣٦-٤٠].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٨٣٢) والبيهقي في الشعب (١٠٢٤٨) والحاكم في =

فمن فاته العملُ فيها لَمْ يُدرِكْه عند مجيءِ أضدادِها، ولا ينفعه التمنِّي للأعمالِ، بعد التفريطِ منه والإهمال، في زمَنِ الفرصةِ والإمهال، فإنَّ بعدَ كلِّ شبابٍ هَرَمًا، وبعد كلِّ صحةٍ سَقَمًا، وبعد كلِّ غِنىً فقراً، وبعد كلِّ فراغٍ شُغلاً، وبعدَ كلِّ حياةٍ موتًا، فمَنْ فَرَّطَ في العملِ أيامَ الشبابِ لم يُدرِكْه في أيامِ الهرَم، ومَنْ فَرَّط فيه في أوقاتِ الصِّحةِ لم يُدرِكْه في أوقاتِ السَّقَمِ، ومنْ فَرَّطَ فيه في حالةِ الغِنىٰ فلمْ يَنَلِ القُرَبَ التي لم تُنَلْ إلاّ بالغنىٰ لمْ يُدرِكْه في حالةِ الفقرِ، ومَنْ فرَّطَ فيه في ساعةِ الفراغِ لم يُدرِكْهُ عند مجيءِ الشواغلِ، ومَنْ فرَّطَ في العملِ في زَمَنِ الحياةِ لم يُدرِكْهُ بعد حيلولةِ المماتِ، فعند ذلك يتمنَّىٰ الرجوعَ وقد فات، ويَطلبُ الكَرَّةَ وهيهات، وحِيلَ بينه وبين ذلك، وعظمُتِ حسراتُه حين لا مَدْفَع للحسَرات(١).

= المستدرك (٧٨٤٦) واللفظ له عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٤/ ١١٣ بترقيم الشاملة آليا).

يَا رافلاً فِي الشَّبَابِ الرَّحبِ مُنتشِيًا ... من كأسِه هَل أصَابَ الرُّشدَ نشوانُ
لا تغـترر بشـبابٍ رائـقٍ نضِـرٍ ... فكـم تقـدَّمَ قبـلَ الشـيبِ شُبَّانُ
ويَا أخَا الشّيبِ لو نَاصحتَ نفسَكَ لمْ ... يَكُـنْ لمثلِـكَ فِـي اللَّـذَّاتِ إمعـانُ
هَب الشـبيبة تبـدي عـذرَ صَاحبها ... مـا عُـذرُ أشيبَ يَسْتَغويهِ شَيْطَانُ
كـلُّ الـذُّنُوب فَـإنّ الله يغفرهـا ... إنْ شـيّعَ الْمَـرْءَ إخـلاصٌ وإيمـانُ
وكـلّ كَسْـرٍ فـإنّ الـدّين يَجْبُـرُهُ ... ومـا لكَسْـرِ قنـاةِ الـدّين جُبْـرانُ[(١)]

ومما يدلُّ على أهمية الوقت وضرورة اغتنامه في الخير: أنَّ مَنْ طالَ عمُرُه وقضاه في طاعةِ الله فهو مِنْ خيرِ عبادِ الله، ومن أهدَرَه في معصية الله فهو من شرِّ خلقِ الله، وقد رُوي عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[(٢)].

فالعمر الطويل خيرٌ لمن اغتنمه في طاعة ربِّه، وتجنَّبَ إضاعتَه في الشر وما يضرُّ به، وما أحسنَ طولَ الأعمار، لمن قضاها مع

---

(١) قصيدة عنوان الحكم (ص/ ٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٩٠٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧١٤٣) وأحمد في المسند (٢٠٤٤٣) والدارمي في سننه (٢٧٨٤) والترمذي (٢٣٣٠) والطبراني في الأوسط (٥٤٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٧).

القرآنِ والأذكار، والدعاءِ والاستغفار، وتجديدِ التوبةِ باستمرار، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ، يُكْثِرُ تَكْبِيرَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَتَهْلِيلَهُ، وَتَحْمِيدَهُ»(١).

وقد يسبِقُ المُعمَّرُ الطائعُ من مات قبلَه، حتىٰ إنَّه قد يسبقُ الشهيدَ وغيرَه مع كثرةِ أجرِهِ وفضيلةِ استشهادِهِ، كما روىٰ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، وكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّي. قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنْ الْجَنَّةِ فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: ارْجِعْ، فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٦٠٦) وأحمد في المسند (١٤٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧١) من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ، وَصَلَّىٰ كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[١].

فتأمَّلْ كيف بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ الصحابيَ الذي تأخرتْ وفاتُه قد سبق في المَنزِلةِ صاحبَه الذي ماتَ قبلَه شهيدًا، وذلك بسببِ المُدَّةِ التي عاشها بعده وبما عملَ فيها من الطاعات، واكتسبَ من القُرُبات، وفَعلَ من الخيرات.

وفي صحيحِ البخاريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٢٥) وأحمد في المسند (١٣٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٨٢) وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه (٣٩٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٨٠٨) عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، مَوْلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أزهر، وهو عند ابن حبان في صحيحه (٣٣٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنىٰ «**يستعتِب**»: أَيْ: يَرْجِعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ ويَطلُبُ الرِّضا[١].

وعند مسلم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا**»[٢].

فالزيادةُ في العمرِ خيرٌ للمؤمن ولو يومًا واحدًا، يؤدِّي فيه عبادَة، ويتوبُ فيه عن معصيةٍ، ويفعلُ فيه خيرًا يرفعُ اللهُ به درجته، ويُعلي منزلتَه، ويُقيل عثرتَه، وفي الحديثِ المرويِّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه دخلَ علىٰ العبَّاسِ وهو يَشْتَكي، فتمنَّىٰ الموْتَ، فقال: «**يا عبَّاسُ عمَّ رسولِ الله! لا تتمنَّ الموْتَ، إنْ كُنْتَ مُحْسِنًا تَزْدادُ إحْسَانًا إلىٰ إحْسانِكَ خيرٌ لَك، وإنْ كنْتَ مُسيئًا فأنْ تُؤَخَّرَ تَسْتَعتِبُ مِنْ إساءَتِكَ خيرٌ لك، لا تَتمنَّ الموْتَ**»[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٧٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مسند أحمد (٢٦٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٦٨). وأخرجه الحاكم (١/ ٣٣٩) وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومما يدلُّ علىٰ فضيلةِ الوقتِ: أنَّ من طال عمُره واغتنمه في طاعةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فإنه يحظىٰ بالخيرية الموعودة، ويفوز بالدرجات العالية المحمودة، كما دلَّ عليه حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا»(١).

وكان السلفُ يدركون هذا المعنىٰ ويعملون بمقتضاه، فقد رُوِيَ أنه قيل لبعضِ السلف: طابَ الموتُ. قال: يا ابن أخي، لا تفعلْ، لساعةٌ تعيشُ فيها تستغفرُ اللهَ خيرٌ لك من موتِ الدَّهر.

وقيل لشيخٍ كبيرٍ: أتحبُّ الموت؟ قال: لا، قد ذهبَ الشبابُ وشرُّهُ، وجاء الكِبَرُ وخيرُه، فَإِذَا قمتُ قلتُ: بسم الله، وإذا قعدتُ قلتُ: الحمدُ لله، فأنا أُحِبُّ أن يبقىٰ لي هذا. وكان كثيرٌ من السلفِ يبكي عند موتِه تأسُّفًا عَلَىٰ انقطاعِ أعمالِه الصالحة.

وكان يزيد الرقاشي يقول عند موته: يا يزيدُ من يصلي لك بعدَك ومن يصومُ؟ ومن يتوبُ لك من الذنوبِ السالِفة؟.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٤١) ومسند أحمد (٧٢١٢) وحسنه سعد الشتري في تحقيق مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٤١).

ولهذا يتحسر الموتىٰ عَلَىٰ انقطاع أعمالهم الصالحة.. ورُئي بعضُ الموتىٰ من السلفِ في المنام، فسُئل عن حالِه فَقَالَ: قدمنا عَلَىٰ أمرٍ عظيم، نعلمُ ولا نعملُ، وتعملون ولا تعلمون، والله لَتسبيحةٌ أو تسبيحتان، أو ركعةٌ أو ركعتان في نسخةِ عملي أَحَبّ إليّ من الدُّنْيَا وما فيها(١).

عبادَ الله: إنَّ الآجالَ تقطعُ الآمال، والمنيّات لا تؤخِّرها الأُمنيات، والتسويف لا يرفع التكليف، فالبدارَ إلىٰ الطاعات قبل الفوات، والتوبةَ من المعاصي قبل مجيءِ هاذمِ اللذات، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هذا، وإن أخطأه هذا نَهَشَهُ هذا»(٢).

---

(١) من عند الأثر: (قيل لبعضِ السلف: طاب الموت... وما بعده) منقول من كتاب شرح حديث عمار بن ياسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن رجب الحنبلي (ص/ ١٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٤).

مثَّلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ ابن مسعودٍ أمَلَ ابنِ آدمَ وأَجَلَه وإعراضَ الدنيا التي لا تفارقُه بالخطوط، فجعل أجلَه الخطَّ المحيطَ، وجعلَ أملَه وإعراضَه خارجةً من ذلك الخط، ومعلومٌ في العقولِ أنَّ ذلك الخطَّ المحيطَ به الذي هو أجلُه؛ أقربُ إليه من الخطوطِ الخارجةِ منه، ألا ترىٰ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أنس: «**فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ**». يريدُ أَجلَه؟ وفى هذا تنبيهٌ من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمتِه علىٰ تقصيرِ الأمل، واستشعارِ الأجل، خوفَ بغتةِ الأجلِ، ومن غُيِّبَ عنه أجلُه فهو حريٌّ بتوقُّعِه وانتظارِه خشيةَ هجومِه عليه في حالِ غِرَّةٍ وغفلةٍ، ونعوذُ بالله من ذلك، فَلْيُرِضِ المؤمنُ نفسَه علىٰ استشعارِ ما نُبِّه عليه، ويجاهدْ أملَه وهواه ويستعينُ بالله علىٰ ذلك، فإنَّ ابنَ آدمَ مجبولٌ علىٰ الأملِ، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ**»(١).

---

(١) شرح صحيح البخاري - ابن بطال (١٠/ ١٥٠) والحديث رواه البخاري (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الطبريُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[1]: « ذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَأْكُلُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا هُمْ آكِلُوهُ، وَيَتَمَتَّعُوا مِنْ لَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهِمْ فِيهَا إِلَىٰ أَجَلِهِمُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُمْ، وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ عَنِ الْأَخْذِ بِحَظِّهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيهَا، وَتَزَوُّدِهِمْ لِمَعَادِهِمْ مِنْهَا بِمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ غَدًا إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ وَقَدْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَشِرْكِهِمْ، حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تَمَتُّعِهِمْ بِمَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ كَانُوا فِي خَسَارٍ وَتَبَابٍ »[2].

ورُوي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: «ثَلَاثٌ أَعْجَبَتْنِي، ثُمَّ أَضْحَكَتْنِي، مُؤَمِّلُ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَضَاحِكٌ مِلْءَ فِيهِ وَلَا يَدْرِي أَسَاخِطٌ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ أَمْ رَاضٍ عَنْهُ. وَثَلَاثَةٌ أَحْزَنَتْنِي حَتَّىٰ أَبْكَتْنِي: فِرَاقُ

---

(١) [الحجر: ٣].

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (١٤/ ١٣).

مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِزْبِهِ وَالْأَحِبَّةِ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي، لَا أَدْرِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ يُؤْمَرُ بِي أَوْ إِلَىٰ النَّارِ»(١).

وبناءً علىٰ هذا فالعاقل لا يؤخِّرُ عملًا حانَ وقتُ أدائه، ولا يؤخِّرُ التوبةَ من ذنبٍ يعلمُ أنه سببٌ في خُسرانه وشقائه، ولنا في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسوة، وكفىٰ به قدوة، عَنْ عُقْبَةَ بنِ الحارثِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّىٰ رِقَابَ النَّاسِ إِلَىٰ بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَىٰ أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»(٢). ففي هذا الحديثِ المبادرةُ إلىٰ فعلِ الخيرِ، وألا يتوانىٰ الإنسانُ عن فعلِه، وذلك لأنَ الإنسانَ لا يدري متىٰ يفاجئه الموتُ؛ فيفوته الخيرُ، والإنسانُ ينبغي أن يكون كيِّسًا، يعملُ لما بعدَ الموتِ ولا يتهاون، وإذا كان الإنسانُ في

---

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص/ ٤٠) رقم (٢٩).

(٢) رواه البخاري (٨٥١).

أمور دنياه يكون مسرعًا، وينتهزُ الفُرَصَ، فإنَّ الواجبَ عليه في أمورِ أُخراه أنْ يكونَ كذلك بل أولىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾(١).

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرعُ الناسِ مبادرةً إلىٰ الخير(٢).

لَعَمْـرُكَ مَـا الأَيَّـامُ إلا مُعَـارَةٌ فَمَا اسْتَطعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

ومن تأمَّلَ أحوالَ السلفِ ومن سار علىٰ نهجِهم، وجدَهُم أحرصَ الناسِ علىٰ كسبِ الوقتِ ومَلئه بالخير، وإليكم بعضَ أقوالِهم وأحوالِهم في ذلك.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَا نَدِمْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ نَدَمِي عَلَىٰ يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقُصَ فِيْهِ أَجَلِيْ، وَلَمْ يَزِدْ فِيْهِ عَمَلِي»(٣).

---

(١) [الأعلىٰ: ١٦-١٩].

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٢١).

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٣٠).

وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «ابْنَ آدَمَ: طَأِ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ، فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ تَكُونُ قَبْرَكَ، ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ. ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ يَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: « إِضَاعَةُ الْوَقْتِ أَشدُّ من الْمَوْت؛ لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تقطعُك عَن اللهِ وَالدَّار الْآخِرَة، وَالْمَوْتُ يقطعُك عَن الدُّنْيَا وَأَهْلهَا »[٢].

وقال أيضًا: « وَأعظمُ الإضاعاتِ إضاعتانِ هما أصلُ كلِّ إِضَاعَة: إِضَاعَةُ الْقلبِ، وإضاعةُ الْوَقْتِ، فإضاعةُ الْقلبِ من إِيثَارِ الدُّنْيَا على الْآخِرَةِ، وإضاعةُ الْوَقْتِ من طولِ الأمل، فَاجْتمع الْفسادُ كُلُّه فِي اتباعِ الْهوىٰ وَطولِ الأملِ، وَالصَّلَاحُ كُلُّه في اتِّبَاعِ الهدىٰ والاستعدادِ للقاء »[٣].

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا (ص/ ١٨٧).

(٢) فوائد الفوائد (ص/ ٣٨٥).

(٣) المصدر السابق (ص/ ٣٨٥)

إنّا لنفرحُ بالأيامِ نقطعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدني من الأجَل
فاعمَلْ بنفسِك قبلَ الموْتِ مُجتهِدًا ... فإنَّما الرِّبْحُ والخُسْرانُ في العمَل

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: « مَنْ أَمْضَىٰ يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ قَضَاهُ، أَوْ فَرْضٍ أَدَّاهُ، أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أَوْ حَمْدٍ حَصَّلَهُ، أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ »[(١)].

وكتب ابنُ عقيلٍ بخطِّ يدِه: إِنِّي لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أُضَيِّعَ سَاعَةً مِنْ عُمُرِي، حَتَّىٰ إذَا تَعطَّلَ لِسَانِي عَنْ مُذَاكَرَةٍ وَمُنَاظَرَةٍ، وَبَصَرِي عَنْ مُطَالَعَةٍ أَعْمَلَتْ فِكْرِيْ فِي حَالِ رَاحَتِي وَأَنَا مُسْتَطْرِحٌ، فَلَا أَنْهَضُ إِلَّا وَقَدْ خطَرَ لِي مَا أُسَطِّرُهُ، وَإِنِّي لَأَجِدُ مِنْ حِرْصِيْ عَلَىٰ العِلْمِ وَأَنَا فِي عَشْرِ الثَّمَانِيْنَ أَشَدُّ مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ وَأَنَا ابنُ عِشْرِيْنَ سَنَةٍ[(٢)].

وكان السلفُ يوصون أولادَهم بالمحافظةِ علىٰ الوقتِ وأنْ لا يذهبَ منه شيءٌ بغيرِ فائدةٍ ولا مَنفعة، ومن ذلك قولُ ابنِ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالته اللطيفةِ التي نصحَ بها ولده، وسماها: (لفتة الكبد في نصيحة الولد)، حاضًّا ولَدَه علىٰ حفظِ

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص/ ٥٥).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة - لابن رجب (١/ ٣٢٤ ت العثيمين).

الوقت: « واعلم يا بُني أنَّ الأيامَ تُبْسِطُ ساعات، والساعاتِ تبسطُ أنفاسًا، وَكُلُ نَفَسٍ خِزَانَةٌ، فاحْذَرْ أن يَذهبَ نَفَسٌ بغيرِ شَيءٍ، فَتَرَىٰ في القيامةِ خِزَانَةٌ فَارِغةً فَتَنْدَمَ وَلا ينفعكَ الندم!

وانظرْ كلَّ ساعةٍ من ساعاتِك بماذا تذهبُ، فلا تُودِعْهَا إلا إلىٰ أشرفِ ما يُمكن، ولا تهملْ نفسَك، وعوِّدْها أشرفَ ما يكونُ من العملِ وأحسنَه، وابعثْ إلىٰ صندوقِ القبرِ ما يَسرُّكَ يومَ الوصولِ إليه »[١].

بل وكانوا يُعوِّدون أولادَهُم علىٰ حفظِ الوقتِ واغتنامِه في الخير، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: كُنَّا نَسِيرُ مَعَ أَبِينَا فِي مَوْكِبِهِ فَيَقُولُ لَنَا: « سَبِّحُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَنُسَبِّحُ حَتَّىٰ نَأْتِيَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَإِذَا رُفِعَتْ لَنَا شَجَرَةٌ أُخْرَىٰ قَالَ: كَبِّرُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَنُكَبِّرُ فَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِنَا »[٢].

وإذا كان هذا حرصُ السلفِ علىٰ الوقتِ في المستحباتِ والنوافلِ، فما بالُ كثيرٍ من الناسِ يُهملون الفرائض، يؤخرونَ

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء (ص/ ٦٢).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص/ ١٨٦) رقم (١٢٦٨).

الصلاةَ بغيرِ عذرٍ شرعي، وبعضُ الناسِ يؤخرُ إخراجَ الزكاةِ بدونِ عذرٍ ولا مانع، وكثيرٌ من الناسِ يؤخر التوبةَ مع علمِه بأنه واقعٌ في الخطأ والمعصية.

عباد الله : علينا أنَّ نُدرِكَ أنَّ الوقتَ لا ينتظرُنا، والأيامَ إن ذهبتْ لا تعودُ إلينا، كما رُوي عن الْحَسَنِ، قَالَ: « لَيْسَ يَوْمٌ يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَىٰ مَنْ يَعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، وَإِنِّي لَوْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[١].

مضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيدًا مُعدَّلا ... وَأَعْقَبَهُ يَوْمٌ عَلَيْكَ جَدِيدُ

فَإِنْ كُنْتَ بِالأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ... فَثَنِّ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ

فَيَوْمُكَ إِنْ أَعْتَبْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ ... عَلَيْكَ وَمَاضِي الأَمْسِ لَيْسَ يَعُودُ

وَلا تُرْجِ فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْمًا إِلَى غَدٍ ... لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ[٢]

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا (ص/ ١٨٦).

(٢) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا (ص/ ٢٣).

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكمة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [عبس: ١٧-٢٣].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ مما يدلُّ علىٰ أهميةِ اغتنام الأوقات، والمبادرةِ إلىٰ فعلِ الخيرات؛ هو تغيُّرُ الأحوالِ والظروف، وتبدّلُ الأوضاع والصروف، ولذلك أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمبادرةِ قبل حلولِ البلاء، وأخبر ببعض ما يقع للإنسان في حياته من التعب والعناء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[١].

---

(١) رواه مسلم (١١٨).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بَادِرُواْ بِالأَعْمَالِ خِصَالاً سِتًّا [أَيْ سَارِعُواْ بِالصَّالحَاتِ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَكُمْ هَذِهِ الأُمُورُ السِّتّ]: إِمْرَةَ السُّفَهَاء، وَكَثْرَةَ الشُّرَط، وَقَطِيعَةَ الرَّحِم، وَبَيْعَ الحُكْم، واسْتِخْفَافًا بِالدَّم، وَنَشْأً يَتَّخِذُونَ القُرْآنَ مَزَامِير، يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لَيْسَ بِأَفْقَهِهِمْ وَلَا أَعْلَمِهِمْ؛ لَا يُقَدِّمُونَهُ إِلَّا لِيُغَنِّيَهُمْ»(٢).

ورُوِي عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَىٰ فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٤٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٧٣٦) والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٢) عَن عَابس الْغِفَارِيّ.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال (١) والبيهقي في الشعب (١٠٥٧٢) والترمذي (٢٣٠٦) =

فمقصودُ هذه الأخبارِ كلِّها الحثُّ علىٰ المسارعةِ بالأعمالِ قبل حلولِ الآجال، واغتنامِ الأوقاتِ قبل هجومِ الآفاتِ، فقد كان المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك بالمحل الأسنىٰ والحظ الأوفىٰ، قام في رضا اللهِ تعالىٰ حتىٰ ورمت قدماه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ(١).

وقد جعلَ اللهُ الوقتَ حجَّةً علىٰ من يطلب العَودةَ من أهلِ النار، إذ كان يمكنهم أن يغتنموا أوقاتهم في هذه الدار، قال تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾(٢).

قَالَ ابن عباس والمُحَقِّقُونَ: معناه أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً. وقيل: معناه ثمانيَ عَشْرَةَ سَنَةً. وقيل: أَرْبَعينَ سَنَةً. وَنَقَلُوا أنَّ أَهْلَ المدينةِ كانوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أربعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعِبادَةِ. وقيل: هُوَ

= واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وصححه السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم (٣٠٢١).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٣٠) من قول العلائي رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) [فاطر: ٣٧].

البُلُوغ. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قَالَ ابن عباس والجمهور: هُوَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: الشَّيبُ[(١)].

فمن عمَّره الله فقد أعذرَه، ومن جاءه الشيبُ فقد أنذرَه، عَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَىٰ امْرِئٍ أَخَّر أَجَلَهُ حَتَّىٰ بلَّغه سِتِّينَ سَنَةً»[(٢)].

أي: أعذرَ إليه غايةَ الإعذار، الذي لا إعذارَ بعدَه، لأنَّ الستينَ قريبٌ من مُعترَكِ العِباد، وهو سِنُّ الإنابةِ والخُشوعِ والاستسلامِ لله تعالىٰ، وترقُّبِ المنيةِ ولقاءِ اللهِ سبحانه، فهذا إعذارٌ بعد إعذارٍ في عمرِ ابنِ آدم، لُطفًا من اللهِ لعبادِه حين نقلَهم من حالةِ الجهلِ إلىٰ حالةِ العِلم، وأعذَرَ إليهم مرةً بعد أُخرىٰ، ولم يعاقبْهُم إلا بعد الحُججِ اللائحةِ المُبْكتَةِ لهم[(٣)].

أبعدَ بياضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَسْكنًا ... سوى القبرِ إنِّي إنْ فَعَلْتُ لأحمقُ
يخبِّرني شَيبي بأني مَيِّتٌ ... وشيكًا وينعاني إليَّ فَيَصْدُقُ

---

(١) رياض الصالحين (ص ٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦).

(٣) شرح صحيح البخاري - ابن بطال (١٠/ ١٥٢).

تخرَّقَ عُمْري كلَّ يومٍ وليلة ... فهل مستطيعٌ رَفْو ما يتخرَّقُ
كأني بنفسي فوق نعشي ممددًا ... فمَنْ ساكتٍ أو مُعْولٍ يتحرَّقُ
إذا سألوا عنِّي أجابوا وأَعْوَلُوا ... وأَدْمُعُهُمْ تنهلُّ هذا الموفَّقُ
وغُيِّبْتُ في صَدْعٍ من الأرض ضَيِّقٍ ... وأُوْدِعْتُ لحدًا فوقه التُّرْبُ مُطبِقُ
فيا رَبِّ كُنْ لي مُؤنسًا يومَ وَحْشَتي ... فإنِّي بما أَنْزَلْتَهُ لمصدِّقُ
وما ضَرَّني أني إلى الله صائرٌ ... ومَنْ هو مِنْ أَهْلي أَبَرُّ وأَشْفَقُ[1]

وعند الموتِ - يا عباد الله - يُدركُ الإنسانُ أهميةَ اغتنامِ الوقت، ويتذكرُ شدةَ الخسارةِ بسببِ ضياعِه، فيتذكرُ أعمالًا صالحةً كثيرةً، ويتمنىٰ أنْ لو عمِلَها قبلَ تلك الساعة، ويتذكرُ أعمالًا أخرىٰ سيئةً، ويتمنىٰ أنْ لو كان تركها وتابَ منها قبلَ تلك اللحظة.

دعَ التَّواني فِي أمرٍ تهُمُّ بهِ ... فَإنَّ صرفَ اللَّيالِي فايتٌ عَجِلُ

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصي أصحابَه باغتنامِ الوقتِ والاستعدادِ للدارِ الآخرةِ قبلَ حلولِ الأجلِ، وانقطاع العمل، فعَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ،

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ٢٦٨).



فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»(١).

وَيُرْوَىٰ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»(٢).

وعن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ صَفْوَانَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ الْحَسَنِ فِي جِنَازَةٍ، فَقَالَ: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَمِلَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، إِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِخْوَانُكُمْ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، فَاغْتَنِمُوا الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، قَبْلَ يَوْمِ الْفَزْعَةِ وَالْحِسَابِ»(٣).

فالتوبةَ التوبةَ ما دامتِ الفرصةُ سانحة، والأوبةَ الأوبةَ ما دامتِ الأنفاس غاديةً ورائحة.

دَعِ التَّكاسُلَ فِي الخَيراتِ تَطلُبُها ... فَلَيسَ يَسعَدُ بِالخَيراتِ كَسلانُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٨).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٣٨ ت شاكر).

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص/ ١٠٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم أصلح أولادنا، واشف مرضانا، وعاف مبتلانا، وارحم موتانا، وخذ بأيدينا إلىٰ كل خير، واعصمنا من كل شر، واحفظنا من كل ضر، واغفر اللهم للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إنك قريب مجيب الدعوات، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلىٰ النار مصيرنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلب نعمتك عنا، وكن معنا حيثما كنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأقمِ الصلاة.



٣- خطبة جمعة بعنوان/
ضرورةُ تحقيقِ التوحيد وضررُ الشركِ بالله العزيز الحميد

الحمد الذي يُبدئ ويُعيدُ، أحمدُه حمدَ أهلِ التوحيد، وأشكرُه شُكرَ عبدٍ يطلبُ من ربِّه المزيد.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أولُ بِلَا ابْتِدَاءٍ، آخِرٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ، حيٌّ لا يموت، قيُّومٌ لا ينام، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(١). خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَاراً، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالاً، ولَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِم قَبْلَ أَنْ خلقَهُمْ،

---

(١) [الشورى: ١١].

وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلاً.

وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ

إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.

وَأَنَّهُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ، وَكُلُّ ادّعاءِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهوىً، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ وَجَمِيعِ الوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وبالنور والضياء، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبِه صلاةً مستمرةَ الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.



أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلَن، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[١].

أيها المسلمون: إنَّ أعظمَ واجبٍ أمرَ اللهُ به وحثَّ عليه هو التوحيد، وأعظمَ ذنبٍ نَهىٰ اللهُ عنه وحذّرَ منه هو الشركُ بالله العزيز الحميد، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فالتوحيدُ حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين »[٢].

وقال بعض العلماء: التوحيدُ موضوعٌ عظيمٌ، هو أساسُ الملةِ وأساسُ جميعِ ما جاءت به الرسلُ عليهم الصلاة والسلامُ من أولهِم إلىٰ آخرهِم[٣].

ولذلك كان من دعاء الخليلِ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنْ يُجنِّبَه اللهُ وبنيه ما يَنقضُ التوحيدَ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[٤].

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥).

(٣) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز (٩/ ٦٣).

(٤) [إبراهيم: ٣٥].

ولأهميةِ التوحيدِ وضرورةِ تحقيقِه: أرسلَ اللهُ جميعَ الرسلِ بالدعوةِ إلىٰ التوحيدِ، كما أخبر تعالىٰ في كتابه الكريمِ عن دعوةِ الأنبياءِ، فقال عن جميعِ الأنبياءِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[2].

وقال عن نوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾[3].

وقال عن هودٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾[4].

---

(١) [النحل: ٣٦].

(٢) [الأنبياء: ٢٥].

(٣) [الأعراف: ٥٩].

(٤) [الأعراف: ٦٥].

وقال عن صالحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾(١).

وقال عن شعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾(٢).

فكلُّ الرسلِ دعوتُهم الأم كانت متفقةً علىٰ الدعوةِ لتحقيقِ التوحيدِ، وفي بقيةِ التفاصيلِ تختلفُ الشرائع: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾(٣).

ولأجلِ التوحيدِ أُنزل هذا القرآنُ وبقيةُ الكتبِ، قال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾(٤).

---

(١) [هود: ٦١].

(٢) [الأعراف: ٨٥].

(٣) [المائدة: ٤٨].

(٤) [هود: ١-٢].

ومِنْ أجْلِ التوحيدِ أَذِنَ اللهُ في الجهاد: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(١).

ومِنْ أجْلِ التوحيدِ شُرع الولاءُ والبراء، فيُوالَىٰ أهلُ التوحيدِ والإيمان، ولا يُوالَىٰ أهلُ الشركِ والطغيان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(٢).

وقال عن الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾(٣).

وقال عن المنافقين: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾(٤).

وحرَّم اللهُ علىٰ أهلِ الإيمانِ أنْ يُوالُوا أهلَ الشركِ والطغيانِ، ولو كانوا من أقاربِ الإنسانِ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

---

(١) [الأنفال: ٣٩].

(٢) [التوبة: ٧١].

(٣) [الأنفال: ٧٣].

(٤) [التوبة: ٦٧].

يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

ولأهميةِ تحقيقِ التوحيدِ: لا يُقبلُ عملٌ صالحٌ إلا به، فمهما عمِلَ الإنسانُ من عملٍ صالحٍ وقد نقضَ التوحيدَ وأشركَ باللهِ العزيزِ الحميد فإنَّ عملَه مردود، وسعيَه غيرُ محمود، ومصيره النارُ خالدًا فيها وبئسَ الخلود.

وقد ذكر اللهُ في سورةِ الأنعامِ ثمانيةَ عشَرَ نبيًّا ورسولًا، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

---

(١) [المجادلة: ٢٢].

(٢) [التوبة: ٢٣].

﴿٨٨﴾[1]. فتأمَّل كيف ذكر اللهُ الأنبياءَ ومن هداهم من آبائهم وذرياتِهم وإخوانِهم ثم قال عنهم كلّهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وقال سبحانه مخاطبًا نبيَّه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو موجَّهٌ لكل من يصلحُ له الخطابُ من أمته: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

عباد الله: لا نجاةَ إلا بالتوحيد، مهما كثُرتِ الأعمال، وتعدَّدتْ في الخيرِ الخصال، فلا بُدَّ من التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[3].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: إيمانًا صحيحًا لا شِركَ معه ولا تكذيبَ، فَأُولئِكَ الجامعون للشروطِ الثلاثةِ كانَ سَعْيُهُمْ

---

(١) [الأنعام: ٨٧-٨٨].

(٢) [الزمر: ٦٥].

(٣) [الإسراء: ١٩].

مَشْكُوراً من الله تعالىٰ، أي: مقبولاً عنده مُثابًا عليه، فإنَّ شُكرَ اللهِ الثوابُ علىٰ الطاعة(١).

فشرطُ القبولِ لجميعِ العباداتِ: هو التوحيدُ والسلامةُ من الشرك، وأن يكون العملُ صالحًا موافقًا لهدي سيدِ الأنام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾(٢).

قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾: « أي: مِنْ خَلْقِهِ سَوَاءٌ كَانَ صَالِحًا، أَوْ طَالِحًا، حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا، وإِنَّ دُخُولَ الشِّرْكِ الْجَلِيِّ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَىٰ دُخُولِ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ، وَلَا مَانِعَ مِنْ دُخُولِ هَذَا الْخَفِيِّ تَحْتَهَا، إِنَّمَا الْمَانِعُ مِنْ كَوْنِهِ هُوَ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ »(٣).

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٥١).

(٢) [الكهف: ١١٠].

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

ومهما أذنبَ الإنسانُ من ذنبٍ وهو موحِّدٌ لله عَزَّوَجَلَّ فتُرجىٰ له النجاة، ومهما عملَ الإنسانُ من خطيئةٍ - وتلك الخطيئة لا تَنقُضُ التوحيدَ ولا تُنافيه - فإن النجاةَ مرجوّةٌ له، وقد يعفو اللهُ عنه، وقد يُطهِّرُه بسببِ ذنوبِه وخطاياه ثم إنَّ مصيرَه الجنة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يَروي عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٢).

فقد دلَّ هذا الحديثُ علىٰ أنَّ الإنسانَ مهما أتىٰ من ذنوبٍ، واقترفَ من آثام، ولكنه سلم من الإشراك؛ بدَّلَ الله سيئاتِه حسنات، وآتاه بقرابِ هذه الذنوبِ مغفرة، فظهرَ أنَّ الذنوبَ تتضاءلُ أمام عقيدةِ التوحيد، وأنَّ بركتَها تغشىٰ المذنبَ فتمحو

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) والطبراني في الأوسط (٤٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

خطاياه، كما أنَّ للشركِ شؤمًا وظُلمّة تطغىٰ علىٰ جميعِ الحسنات، وتُحبطُ جميعَ العبادات(١).

الله أكبر: ما أعظمَ التوحيدَ وما أجلَّ قَدْرَه، وما أقبحَ الشركَ وما أسوأَ أثَرَه، فالشركُ أعظمُ الذنوبِ، وأسوأُ العيوب، كما صحَّ في الخبرِ من قولِ سيدِ البشر، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ(٢). وفي لفظ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(٣).

أيها المسلمون: إن الخطيئة التي تُحيطُ بالإنسانِ وتُهلكُه هي خطيئةُ الشرك بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾(٤).

---

(١) رسالة التوحيد المسمىٰ بـ تقوية الإيمان (ص/ ٩٦).

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٧) ومسلم (٨٦).

(٣) صحيح مسلم (٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) [البقرة: ٨١].

قال الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وإجماع أهل التفسير: أن السيئةَ هاهُنا الشرك »[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذًا، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإنَّ مَنْ معه الإيمان لا تحيطُ به خطيئته »[٢].

ومن أعظمِ أضرارِ الشرك: أنَّ صاحبَه لا يدخلُ الجنةَ إنْ ماتَ مُشرِكًا، وهذا حُكْمُ الله سبحانه الذي خَلقَ الخلقَ وأوجدَ الجنةَ والنارَ، وهو الحَكَمُ العَدْلُ المتَّصِفُ بالرحمةِ والغضب، فالمشركُ لا يدخلُ جنةَ الله، وإنْ عمِلَ ما عملَ من الصالحات، ومن يشكُّ في مصيرِ المشركين فهو جاهلٌ بأحكامِ اللهِ أو مخالفٌ عمدًا لنصوص القرآن والسنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[٣].

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٩٧).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٥٧).

(٣) [المائدة: ٧٢].



فهذه كلماتُ الله ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾(١).

وبالمقابلِ من مات علىٰ التوحيد فيُرجىٰ له الخير، كما في الصحيحِ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»(٢).

وفي لفظ زيادة: «مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ»(٣).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي، أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي، أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤).

فالتوحيد شأنُهُ عظيمٌ - يا عباد الله - وهو أولُ وأهمُّ ما يتعلمُه الناس، ولذلك لَمَّا بَعَثَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ

---

(١) [الأنعام: ٣٤].

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٤٣٥).

(٤) رواه البخاري (١١٨٠) ومسلم (٩٤).

قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»[1]. وفي لفظ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»[2].

ومِنْ جَهلِ بعضِ الناسِ أنْ يقولَ قائلُهم: نحن موحِّدونَ ولا نحتاجُ إلىٰ الحديثِ عن التوحيد، وهذا من الجهلِ بأهميةِ التوحيدِ، وقد قيل في المثل: من جهِل شيئًا عاداه، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[3]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾[4].

---

(١) رواه مسلم (١٩) من حديث معاذ وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) صحيح مسلم (١٩).

(٣) [يونس: ٣٩].

(٤) [الأحقاف: ١١].

فالجهلُ بالشيء يُعمي ويُصم، وإلا فكلُّنا بحاجةٍ إلىٰ العنايةِ بالتوحيدِ والاهتمامِ بمسائلِه وتفاصيلِ أحكامِه.

أيها المسلمون: يُستحبُّ لكلِّ مسلمٍ الإكثارُ منَ الدعاءِ بالثباتِ علىٰ التوحيدِ والموتِ عليه، وسؤالُ ذلك للأهلِ والأقاربِ والذريةِ، كما فعلَ الخليلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والخليلُ هو الذي بذَلَ في سبيلِ الدعوةِ إلىٰ التوحيدِ كلَّ شيءٍ حتىٰ نفسَه، فقد أُلقيَ في النارِ بسببِ دعوتِه إلىٰ التوحيد، ومع ذلك كان يدعو الله أنْ يُجَنِّبَه وبنيه عبادةَ الأصنام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[١].

وجاء في دعاءِ يوسفَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[٢].

فإذا كان هذا دعاءُ الأنبياءِ! فنحن أحوجُ إلىٰ هذا الدعاءِ وإلىٰ الإكثارِ منه.

---

(١) [إبراهيم: ٣٥].

(٢) [يوسف: ١٠١].

ويُستفادُ من دعاءِ إبراهيمَ أيضًا: أنَّ المسلمَ لا يأمنُ علىٰ نفسِه الوقوعَ فيما يَنقضُ التوحيدَ أو يُنافي كمالَه، ولذلك قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ يَمَانٍ: « سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: قَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَمْرَضَ وَأَمُوتَ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَيْتَنِي مُتُّ فَجْأَةً لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ أَتَحَوَّلَ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ، مَنْ يأمَنُ البلاءَ بعد خليلِ الرحمان؟ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾»[1].

وعَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: مِنْ يأمن البلاء بعد قول إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾[2].

ومما يدلُّ على ضرورةِ تحقيقِ التوحيدِ وضررِ الشرك بالله العزيز الحميد: أنَّ الأممَ بغيرِ التوحيدِ لا وزنَ لها ولا قيمةَ عندَ اللهِ يومَ القيامة، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾[3].

---

(١) التمهيد – ابن عبد البر (١٨/ ١٤٩ ط المغربية).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩).

(٣) [الكهف: ١٠٥].



والشركُ سببٌ للهلاكِ العاجلِ والعقابِ النازل، فقد أغرقَ اللهُ قومَ نوحٍ لمّا أشركوا باللهِ ولم يُوحِّدوهَ سبحانه، وأرسلَ علىٰ عادٍ قومِ هودٍ ريحًا أهلكَتْهُم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾(٢).

وبسببِ الشركِ بالله والإعراضِ عن التوحيدِ أهلك اللهُ قومَ صالحٍ بالصيحةِ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٧﴾(٣)، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ۝٣١﴾(٤).

---

(١) [الحاقة: ٦-٧].

(٢) [القمر: ١٨-٢٠].

(٣) [فصلت: ١٧].

(٤) [القمر: ٣١].

فيجبُ علىٰ المسلمِ أنْ يهتمَّ بتحقيقِ التوحيد، وأنْ يتعلَّمَ مسائلَه، وأنْ يجتنبَ كلَّ ما يَنقُضُ توحيدَه أو ينافي كمالَه، حتىٰ يلقىٰ اللهَ موحِّدًا توحِيدًا خالِصًا، وذلك خيرُ ما يلقىٰ به العبد ربَّه، قال عمرو بنُ العاصِ عندَ مرضِ موتِه: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»(١).

فالتوحيدُ شأنُه عظيمٌ، والشركُ خطَرُه جسيم، إذِ الخسارةُ بالشركِ مُتحَقَّقَة، والنجاةُ بالتوحيدِ واردةٌ ومصدَّقة، كما جاء في حديثِ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٢١).

(٢) رواه البخاري (١١٨١) ومسلم (٩٢).

(٣) [النساء: ٤٨].



بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحكمِ المُنيفة، قلتُ ما سمعتم وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

عباد الله: إنَّ الأمورَ التي تناقضُ التوحيدَ في هذا الزمان كثيرةٌ يقعُ فيها كثير ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام، ومِنْ أظهرِ تلك الصورِ وأشهرِ تلك الأمور: دعاءُ غير الله عَزَّوَجَلَّ فيما لا يقدرُ عليه إلا الله تعالىٰ. والدعاءُ عبادةٌ لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[1].

فالدعاءُ عبادةٌ محضةٌ ولا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يدعوَ نبيًّا مُرسلًا ولا مَلَكًا مُقرَّبًا، ولا وليًّا صالحًا، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[2].

---

(١) [الجن: ١٨].

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقد سمىٰ اللهُ دعاءَ غيرِه شركًا، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾(١). فقد بيَّن اللهُ خسارةَ مَنْ يدعو غيرَه بأنهم يدْعونَ من لا يسمعُ ولا ينفع، ومع ذلك بيَّن سبحانه أنَّ فِعلَهم ذلك شركٌ به سبحانه فقال: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾، فسمَّاه الله شِركًا، فاحذروا يا عبادَ الله من دعاءِ غيرِ الله، وحذِّروا منه القريبَ والبعيدَ في جميعِ الوسائلِ وعلىٰ كلِّ الأحوال.

ومن صورِ الشركِ المنتشرةِ عند بعضِ الناسِ: الذبحُ لغيرِ اللهِ سبحانه، فالذين يذبحون للأولياءِ أو يذبحون لأجلِ طردِ الجنِّ والشياطين كمن يذبحُ علىٰ عتبةِ بيتِه الجديد، أو يذبحُ عند شراءِ سيارةٍ ويُلطخُ سيارتَه بدمِ الذبيحة – حتىٰ ولو كان المذبوح عصفورًا أو دجاجة – فإنَّ ذلك فعلٌ محرمٌ وذبحٌ لا يجوز.

(١) [فاطر: ١٣-١٤].

وهكذا الذين يذهبون إلىٰ السحرةِ والمشعوذين ويصدقونهم، فإنهم ينقضون توحيدَهم ويقعونَ في الشرك بالله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(١).

فاتقوا الله - يا عباد الله - واعلموا أنَّ السحرةَ والمشعوذين ليس عندهم إلا ضررٌ محض، قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾(٢).

وهم المفسدون الذين لا يُفلحون ولا يُرجىٰ منهم خيرٌ أبدًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾(٤).

---

(١) [البقرة: ١٠٢].

(٢) [البقرة: ١٠٢].

(٣) [طه: ٦٩].

(٤) [يونس: ٨١].



وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾[١].

فالسحرةُ والمنجمون والمشعوذون والكهنةُ والعرافون لا يفلحون ولا يُفلح من يذهبُ إليهم، ومن ذهب إليهم فإنه يرجعُ وقد أضاع دنياه وأخراه.

ومما يُنافي كمالَ التوحيد: الحلفُ بغير اللهِ، فاتركوه -يا عباد الله- في الجدِّ والهزْلِ والخطأِ والعمدِ، فقد سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عُمَرَ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «نَهَىٰ عَنْهَا، ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا»[٢].

أي: ما حلف بها مبتدئًا من نفسه، ولا روىٰ عن أحد أنه حلف بها. فليكنْ عندنا استجابةٌ واقتداءٌ بأميرِ المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) [يونس: ٧٧].

(٢) رواه البخاري (٦٢٧١) ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر عن أبيه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وأرضاه، ولا تقلْ: قد تعوَّد عليها لساني. فإنَّ هذا لا يُبيحُ الاستمرارَ علىٰ الخطأ.

وصُورٌ أخرىٰ كثيرةٌ ينبغي أنْ يتنبَّهَ لها المسلمُ، وأنْ يحرصَ علىٰ تصحيحِ أخطائه وعلىٰ مناصحةِ الآخرين، حتىٰ يكونَ من الدعاةِ إلىٰ تحقيقِ التوحيد والتحذيرِ من الشركِ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا وصلُّوا وسلِّموا علىٰ خير خلق الله، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، الداعي إلىٰ توحيدِ ربِّه، المعظمِ لشأنِ التوحيد، فقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند سكراتِ الموت يحذرُ من الشركِ بالله سبحانه.

اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحابتِه أجمعين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصرْ من نصرَ الدينَ، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا وسائرً بلاد المسلمين.

اللهم توفَّنا مسلمين، وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللهمَّ إنا نعوذُ بك من الشركِ والكفرِ والنفاقِ والسُّمعةِ والرياء، ونعوذُ بك من الصممِ والبكمِ والبرصِ والجنونِ والجذامِ وسيءِ الأسقام.

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[(١)].



(١) الصافات: ١٨٠-١٨٢.





٤- خطبة جمعة بعنوان/

لفتُ الانتباه، إلى تعظيمِ قدر الصلاة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الصلاةَ قُرَّةَ عيونِ المُوحِّدينَ الأبرار، وروضةَ المتقينَ الأخيار، أحمدُه عدَدَ التسبيحِ في الركوعِ والسجود، وعددَ التكبيرِ عندَ القيامِ والقعود.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، جعلَ الصلاةَ خيرَ موضوع، وأعظمَ عملٍ بدنيٍّ مشروع.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، أتمُّ الناسِ صلاةً وخشوعًا، وأحسنُ الخلق سجودًا وركوعًا، كان يأنَسُ بالصلاةِ ويرتاح، ويؤديها بطُمأنينةٍ وانشراح، وإذا حزبه أمرٌ قال: أذِّن يا بلالُ لنرتاح. فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابِه وكلِّ تابع، الذين كانوا لأجلِ الصلاةِ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلَن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ

﴿١٠٢﴾(١). من يُطعِ اللهَ وسولَه فقد رَشَد، ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ، ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئًا.

أيها المسلمون: إنَّ من أهمِّ المواضيعِ التي ينبغي طرحُها باستمرار، وتعاهدُها بالنصحِ والتّذكار، هو ما عظُم في الشرعِ قدرُه وفضلُه، وتكرَّر في حياة الناسِ قولُه وفعلُه، ألا وإنَّ من أعظمِ العباداتِ قدرًا، وأكثرِها في القرآنِ ذِكرًا، وأجزَلِها ثوابًا وأجرًا، هي عبادةُ الصلاة.

فالصلاة ذاتُ قدرٍ عظيم، ومما يدل علىٰ عظيمِ قدرِها: أنها شُرعت علىٰ الأممِ السابقة، كما دلَّ عليه القرآنُ الكريم، ففي دعاء إبراهيمَ الخليلِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾(٢).

وقال تعالىٰ عن إسماعيلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾(٣).

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [إبراهيم: ٤٠].

(٣) [مريم: ٥٥].

وقال الله لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾(١).

وقال عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾(٢).

وقال عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾(٣).

وأخبر تعالىٰ أنَّ الملائكةَ قالت لمريم: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾(٤).

وقال لنبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خطابٌ لجميعِ الأمةِ المحمديةِ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾(٥).

---

(١) [طه: ١٤].
(٢) [آل عمران: ٣٩].
(٣) [مريم: ٣١].
(٤) [آل عمران: ٤٣].
(٥) [طه: ١٣٢].

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُؤَخِّرَ سَحُورَنَا، وَأَنْ نَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ**»(١)، والشاهدُ من الحديثِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرَ أنَّ الأنبياءَ أُمروا بوضعِ اليمينِ على الشمالِ في الصلاةِ، ومِنْ لازِمِ ذلك الأمر بالصلاةِ، وهذا يدلُّ على عِظمِ قدرِ الصلاة وعلوِّ مكانتِها في شرعنا وشرعِ مَن قَبلنا.

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قَدْرِ الصلاةِ: أنَّ اللهَ سمَّاها إيمانًا في كتابِه الكريم، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٢).

قال المفسرون: أي: صلاتكم(٣).

وقال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وليس من العباداتِ بعد الإيمانِ الرافعِ للكفرِ عبادةٌ سماها الله عَزَّ وَجَلَّ إيمانًا، وسمىٰ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترْكَها كفرًا إلا الصلاة »(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٨٨٤) والبيهقي في الكبرىٰ (٨١٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٨٦).

(٢) [البقرة: ١٤٣].

(٣) الوجيز للواحدي (ص/ ١٣٥).

(٤) المنهاج (٢/ ٢٨٨). وذكره البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٨٨).

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قدرِ الصلاةِ: أنَّ من عرفَ قَدْرَ الصلاةِ أحبَّها وعظَّم شأنها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[١]، وقرةُ العين: هي ما يُصادفُ المرءُ به سرورًا فلا تطمحُ العينُ إلىٰ ما سواه[٢].

ومما عُرف عن الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ الصلاةَ كانت أحبَّ إلىٰ قلوبهم من أموالِهم وأولادِهم، كما في حديث جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ لَاقتطعناهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**قالوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ**». الحديث إلىٰ آخره وفيه مشروعيةُ صلاةِ الخوف.

والشاهدُ في الحديث أنَّ محبَّةَ النبيِّ صلىٰ الله عليه وصحابتِه للصلاةِ كانت معلومةً ظاهرةً جليةً حتىٰ عند الكفارِ، حتىٰ قال

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٨١٨٧) وأحمد في المسند (١٤٠٣٧)

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٧٩٦) مادة: قرر.



قائل الكفار عن المسلمين: «إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ»، وذلك لعلمِهم بقدرِها وشدّةِ المحافظة علىٰ أدائها.

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قدرِ الصلاة: أنها عمودُ الدين، وسببٌ أساسٌ للنصر والتمكين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾[(١)]، فبيَّنَ سبحانه أنَّ إقامةَ الصلاةِ سببٌ للنصرِ والتمكين، وبها يدومُ الخيرُ علىٰ المسلمين.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[(٢)].

---

(١) [الحج: ٤٠-٤١].

(٢) [المائدة: ١٢].

والصلاةُ عمودُ الدينِ الذي عليه يقوم، وركنُه المتينُ الذي به يدوم، عن معاذ بنِ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»[١].

وقوله: «عمودُه» أي: ما يَعتمِدُ عليه الدينُ وهو له بمنزلةِ العمودِ في البيت، وعمودُ الشيء هو الذي يُقيمه مما لا ثباتَ له في العادةِ بغيرِ عمود[٢].

ومما يلفتُ الانتباه إلى تعظيمِ قدرِ الصلاة: أنها آخرُ عُرىٰ الإسلامِ انتقاضًا، وآخرُ معالمِ الدين انقراضًا، فإذا ضيَّعها المسلمون فهم لما سواها أَضْيَع، وإذا حافظوا عليها فيُرجىٰ أن تنفعَهم الصلاةُ ولشأنهم ترفع، وعن الفواحشِ والمنكراتِ تَنهىٰ وتَمنع، وفي القيامة تشفعُ لِمُقيمِيها وتنفع، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، كُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص/ ١٠١).

وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[١]. وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولُّ ما يرفعُ من الناسِ الأمانةُ وآخرُ مَا يَبْقَىٰ مِنْ دينِهِمُ الصّلاة ورُبَّ مُصَلٍّ لَا خَلاقَ لهُ عِنْدَ الله تَعالَىٰ»[٢].

ومما يدلُّ على عظَمةِ قدْرِ الصلاةِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأمرُ بالمحافظةِ عليها ويُوصي بالعنايةِ بها حتىٰ في مرضِ موتِه، كما في حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: «الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّىٰ مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[٣].

وقَوْلُهُ: «الصَّلَاةَ» أَيِ: الْزَمُوهَا وَاهْتَمُّوا بِشَأْنِهَا وَلَا تَغْفُلُوا عَنْهَا.

وقَوْلُهُ: «حَتَّىٰ مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ» أَيْ: مَا يَجْرِي وَلَا يَسِيلُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لِسَانُهُ مِنْ فَاضَ الْمَاءُ إِذَا سَالَ وَجَرَىٰ حَتَّىٰ لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ الْإِفْصَاحِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ[٤]. مما يعاني من سكرَاتِ الموت.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٠) وابن حبان في التقاسيم والأنواع (٤٨٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٥).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٥) وأحمد (٢٦٦٥٧) وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ٢٣٨).

(٤) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ٤٩٥).

وعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[١]. وقَوْلُهُ: «آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ» أَيْ: فِي الْأَحْكَامِ وَإِلَّا فَقَدْ جَاءَ أَنَّ آخِرَ كَلَامِهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ: «**الرَّفِيقُ الْأَعْلَىٰ**»[٢].

وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كانت عامةُ وصيةِ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[٣]. حَتَّىٰ جَعَلَ يُغَرْغِرُ لَهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ.

ومما يدلُّ على فضل الصلاةِ: أنها أولُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ، وأنها فُرضت ليلةَ الإسراء والمعراج، وقد أمرنا الله بالاستعانةِ بها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٠١).

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ١٥٥).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (٧٠٥٨) وابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (٣٤) والزيادة له. وصححه شعيب في تخريج المسند (١٢١٦٩).

(٤) [البقرة:١٥٣].

وكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّىٰ[(١)].

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قدرِ الصلاة: ما رواه مالكٌ في الموطأ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، دَخَلَ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا، فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّىٰ عُمَرُ، وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا»[(٢)].

وَقَوْلُهُ: «فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ» يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَسْقُطُ بِجُرْحٍ وَلَا شِدَّةٍ مَعَ بَقَاءِ الْعَقْلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ: نَعَمْ وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ. يَعْنِي أَنَّهُ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ أَعْمَالُهُ، إِذْ الصَّلَاةُ أَوَّلُ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ قَبُولًا وَأَرْفَعُهَا شَأْنًا، فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَطَلَ

---

(١) مسند أحمد (٢٣٢٩٩) وسنن أبي داود (١٣١٩) وحسنه الألباني في المشكاة (١٣٢٥) عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) موطأ مالك (١١٧) وكتاب الزهد للإمام أحمد (٦٥٦) والسنن الكبرىٰ للبيهقي (١٦٧٣). وصححه الألباني في الإرواء: (٢٠٩).

نَصِيبُهُ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا[١].

ومما يدلُّ على عظيمِ قدرِ الصلاةِ: ما صحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيانِ مكانةِ الصلاةِ وعُلوِّ قدرِها على بقيةِ الأعمالِ الصالحةِ الظاهرة، فقد جاء عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[٢].

والحرصُ على أدائها في أولِ وقتها من أحبِّ الأعمالِ إلى الله، كما في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٣].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (١/ ٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٣٧٨) وابن ماجه (٢٧٧) والطبراني في الصغير (١٠١١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٢).

(٣) رواه البخاري (٥٦٢٥) ومسلم (١٣٩).



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ»(١).

ومن فِقْهِ عثمانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه أخبرَ أنَّ الصلاةَ أحسنُ عملٍ يعملُه الناسُ، كما جاء عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ ما ترىٰ، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ عثمانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فأحسِنْ معَهُم، وإذا أساؤوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»(٢). فأفاد أنَّ الصلاةَ أفضلُ أعمالِ المسلمين الظاهرة.

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قدرِ الصلاة: أنَّ الصلاةَ سببٌ لتكفيرِ الذنوبِ والسيئات، وتساقطِ الأوزارِ والخطيئات، كما دلّت عليه الأحاديثُ الواردات، عن نبينِّا خيرِ البريّات، فعن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ قُلْتُ:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣).

بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ. فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً» قَالَ: مَعْدَانُ ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ ثَوْبَانُ[(١)].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ زَمَنَ الشِّتَاءِ، وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فَأَخَذَ بِغُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ، قَالَ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»[(٢)].

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنّ العَبْدَ إِذا قامَ يُصَلِّي أَتي بِذُنوبِهِ كلِّها فوُضِعَتْ علىٰ رأْسِهِ وعاتِقَيْهِ فَكُلَّما رَكَعَ أَوْ سَجدَ تَساقَطَتْ عنهُ»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٥٦) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٦).

(٣) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٩٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تحْتَرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ حَتَّىٰ تَسْتَيْقِظُونَ»(١).

ومعنىٰ تحترقون: أي: تقعونَ في الهلاكِ بسببِ الذنوبِ الكثيرة.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَىٰ نِيرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا بِالصَّلَاةِ»(٢).

فكم يُفوِّتُ المتساهلون بالصلاةِ علىٰ أنفسِهم من الثواب، وكم يُوقِعون أنفسَهم فيما يوجبُ العقابَ والعذاب، ولو أنهم عظَّموا الصلاةَ وعرفوا قدرَها، وحافظوا عليها لنالوا خيرَها وأجرَها،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٢٢٤) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٥٢) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٣) وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٨).

فالصلاةُ سببٌ لتكفيرِ الذنوب، وطريقٌ موصلٌ إلىٰ مرضاةِ علّامِ الغيوب، بل كلّما تجدَّد أداءُ الصلاةِ، تجدّدتِ المغفرةُ بفضلِ اللهِ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»(١).

بل إنها كالنهرِ الجارِ، تغسلُ عن المصلين الخطايا والأوزار، كما دلَّ عليهِ حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ**»؟ قَالُوا: لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**»(٢).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨). عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٦٦٧) والترمذي (٢٨٦٨).

(٣) رواه مسلم (٦٦٨).

فالصلواتُ كفاراتٌ متجددة، وحسناتٌ متزايدة، وفضائلُ وهباتٌ من الله مُتعدِّدَةٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**»[1].

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[2].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكَمِ المُنيفة، قلتُ ما سمعتم وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) [هود: ١١٤].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ مما يلفتُ الانتباهَ إلىٰ تعظيمِ قدرِ الصلاة: أنها عونٌ علىٰ تركِ الفواحشِ والمنكرات، وسببٌ من أسباب البُعد عن المعاصي والمحرمات، كما جاء في محكم الآيات: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنه سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ**»[2]. فأنت ترىٰ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبرَ أنَّ

---

(١) [العنكبوت: ٤٥].

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٧٨) وابن حبان (١٩٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٨٢).

هذا الرجلَّ سينتهي عن السرقةِ بسببِ صلاتِه إذا كانت علىٰ الوجهِ الأكمَلِ شرعًا، بحيثُ يحرصُ علىٰ أداءِ وجباتِها وأركانِها، مع الخشوعِ فيها والتدبُّرِ في قراءتِها[١].

ومما يدلُّ على عظيمِ قَدْرِ الصلاة: أنها شرطٌ للنجاة والفلاح، وسببٌ من أسبابِ السعادةِ والصلاح، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[٢].

والصلاة عنصرٌ أساسٌ من عناصرِ التجارةِ الرابحةِ التي لا تبور، وسببٌ من أسبابِ الظفَرِ بالفضلِ من الله والكثيرِ من الأجور، كما قال ربُّنا الغفورُ الشكور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾[٣].

---

(١) الكلام للألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٥٨) بتصرف يسير.

(٢) [المؤمنون: ١-٢].

(٣) [فاطر: ٢٩-٣٠].

والصلاةُ عونٌ للعبد علىٰ تحمُّلِ البلاء، وقوةٌ للمؤمن عند نزول الأحزان والضراء، وقرينةٌ للصبرِ في الإعانةِ علىٰ الشدائدِ والبأساء، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[1].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: «رَجَعْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شَمْلَةٍ يُصَلِّي، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ»[2]. ومعنىٰ حزَبَه: أي: نزل به أمرٌ شديدٌ مهم، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، أَنَّهُ نُعِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ قُثَمُ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا، فَقِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْنَا كَمَا فَعَلْتَ، فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتُمُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾[3]،[4].

---

(١) [البقرة: ١٥٣].

(٢) أخرجه أبو داود (١٣١٩) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢١٢) واللفظ له. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) [البقرة: ٤٥].

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري (٤/ ٣٥) وسنن سعيد بن منصور (٣٣١) وشعب الإيمان =

ومما يلفتُ الانتباهَ إلى تعظيمِ قدر الصلاة: أنها سببٌ لتهذيبِ الطباع، وتزكيةِ النفوس، وصلاحِ الأخلاق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ٢٣﴾(١).

فأخبر تعالىٰ أنَّ أهلَ الصلاة لا يصيبهم الجزعُ عند الشدائد، ولا البُخلُ عند اليُسر والسَّعةِ، كما يصاب بهذه الصفات الذميمة غيرُهم من الناس، فاستثناهم بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ٢٣﴾.

عَنْ قَتَادَةَ قال: « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ دَانْيَالَ نَعَتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يُصَلُّونَ صَلَاةً لَوْ صَلَّاهَا قَوْمُ نُوحٍ مَا أُغْرِقُوا، وَعَادٌ مَا أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ، وَثَمُودُ مَا أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا خُلُقٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حَسَنٌ »(٢).

= للبيهقي (٩٦٨٢).

(١) [المعارج: ١٩-٢٣].

(٢) تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر المروزي (١/ ١٣٩).

ومما يدلُّ على عظيمِ قدرِ الصلاة: أنها سببٌ للرضىٰ والسعادة، وأهلُها في طمأنينة وزيادة، قال الله تعالىٰ لنبيه محمدٍ صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكل من له إرادةٌ، ويفهمُ الخطابَ والإفادة: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[١].

وقد فسر ابنُ عباسٍ الأمر بالتسبيحِ في هذه الآيةِ بأداءِ الصلاةِ المكتوبة[٢].

فأَمَرَ اللهُ جلَّ ثناؤه نبيَّه محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نوائبِه بالفَزَعِ إلىٰ الصبرِ والصلاة[٣]. ووعدَه بالرضىٰ، فإنَّ ﴿لَعَلَّ﴾ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ، كما روي عن بعض السلف[٤].

وبالصلاةِ مع التسبيحِ تُطردُ الهمومُ والأحزان، ويُنال الرضىٰ والاطمئنان، وتحلُّ السعادةُ والسُّلوان، كما قال تعالىٰ في محكم

---

(١) [طه: ١٣٠].

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٤٠١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٦٢٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٣) من قول عون بن عبد الله وسفيان الثوري.

القرآن: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1].

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**»[2]. فَكَانَ يَسْتَرِيحُ بِالصَّلَاةِ لِماَ فِيهَا مِنْ مُنَاَجاة اللهِ تَعَالَىٰ، ولهذَا قَالَ «**قَرَّةُ عيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» وَمَا أقْرَب الرَّاحة مِنْ قُرَّة العَين. يُقَالُ: أَرَاحَ الرَّجُلُ واسْتَرَاحَ إِذَا رَجَعت نفسُه إِلَيْهِ بعدَ الإعْياءِ[3].

بل إن أداءها وحثَّ الأهلِ والأولاد علىٰ إقامتها سببٌ لنزول البركات وحلولِ الخيرات، كما قال رب الأرض والسماوات: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[4].

---

(١) [الحجر: ٩٧-٩٩].

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) عن رجل من خزاعة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٧٤).

(٤) [طه: ١٣٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يعني: إذا أقمت الصلاةَ أتاك الرزقُ من حيثُ لا تحتسب، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[١]، ولهذا قال: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[٢].

قال الثوري: أي: لا نكلفك الطلب »[٣].

عباد الله: تبيَّن من كلِّ ما سبقَ أنَّ قدرَ الصلاةِ عظيم، وأنَّ المحافظةَ عليها في أوقاتِها وأماكنِها وبهيئاتِها المشروعةِ أمرٌ من الأهميةِ بمكان، فأنصحُ نفسي وإخواني السامعين بالمحافظةِ علىٰ الصلاةِ، وأنْ لا نُقدِّمَ عليها غيرَها، وأن نُخضِعَ أوقاتنا وأعمالَنا

(١) [الطلاق:٢-٣].

(٢) [طه:١٣٢].

(٣) تفسير ابن كثير ط ابن الجوزي (٥/ ٣١٩).



بما يتناسبُ مع إقامةِ الصلاة، ولا نُضيعَ صلاتَنا من أجلِ الأشغالِ والأعمال، ولنحذرِ الكسلَ والتساهُلَ بأداءِ الصلاة، فإنَّ الصلاةَ قدرُها عظيم ومكانتُها عاليةٌ رفيعة، فنسألُ الله أن يجعلنا ممن يقيمُ الصلاةَ ويؤديها كما شرع سبحانه.

هذا وصلوا وسلموا علىٰ خير البشر، الشافع المشفع في المحشر، فمن صلىٰ عليه صلاة واحدة صلىٰ الله عليه بها عشرًا. اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد عددَ ما ذكره الذاكرون، وصلِّ وسلمْ علىٰ نبينا محمد عدد ما غفَلَ عن ذكره الغافلون.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابَه.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم انصرْ من نصر الدين، واخذل من يخذلُ المسلمين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفرْ لمن حضر هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتح للموعظة قلبَه وأذنيه، واجعل ما سمعه حجةً له لا عليه، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم توفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واغفر لنا ولوالدينا والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأقمِ الصلاة.







٥- خطبة جمعة بعنوان/

أسبابُ انشراحِ الصدر

الحمدُ لله الذي يشرحُ الصدورَ بالإيمان، ويُنيرُ القلوبَ بالقرآن، أحمدُه حمداً ممدوداً مداه، وأُوَحِّدُهُ كما وحَّدَهُ الأوَّاه(١)، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، لا إلهَ للخلائقِ سواه، ولا صادعَ لِمَا عدَّلَه وسوَّاه:

يَا مَنْ يُرجَّى للشَّدائِدِ كُلِّها ... يَا مَنْ إليْهِ المُشْتَكى وَالْمَفْزَعُ

يَا مَنْ خَزائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ

مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... وَبالافْتِقارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ

مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... وَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ

وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ

حَاشَا لِجُودِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا ... الفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، نبيٌّ شرَحَ اللهُ له صدرَه، ووضعَ عنه وزرَه، ورفعَ له ذِكرَه، وجعل الذِّلةَ والصَّغارَ علىٰ من خالف أمرَه:

---

(١) المراد بالأواه: إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأوفــرُ كــلِّ خلــقِ اللهِ حظًّــا	مــن الإكــرامِ خــيرُ المرســلينَ
فصَــلَّى اللهُ ربِّــي كــلَّ حــينٍ	علــى المختــارِ خــيرِ العــالمينَ

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الأقوالِ والأعمالِ والنيّات، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَىٰ، ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾[2].

أيها الناس: إنَّ سعيَ العُقلاءِ في هذهِ الحياةِ يَتفقُ في مطلوبٍ واحدٍ وإن تعددت مشارِبُهم واختلفت أحوالُهم ووسائلُهم، لكنَّ الجميعَ مُتَّفِقون علىٰ هدفٍ واحد، وهو البحثُ عن السعادة، عن الراحةِ، عن الطُّمأنينةِ، عن انشراحِ الصدر، عن راحةِ القلب، عن هدوء البال والنفس، ولذلك قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: « فَكَّرْتُ فِيمَا

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) [الأنعام:١٣٤].



يَسْعَىٰ فِيهِ الْعُقَلَاءُ، فَرَأَيْتُ سَعْيَهُمْ كُلِّهِمْ فِي مَطْلُوبٍ وَاحِدٍ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَحْصِيلِهِ، رَأَيْتُهُمْ جَمِيعَهُمْ إِنَّمَا يَسْعَوْنَ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ عَنْ نُفُوسِهِمْ، فَهَذَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَهَذَا بِالتِّجَارَةِ وَالْكَسْبِ، وَهَذَا بِالنِّكَاحِ، وَهَذَا بِسَمَاعِ الْغِنَاءِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ، وَهَذَا بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، فَقُلْتُ: هَذَا الْمَطْلُوبُ مَطْلُوبُ الْعُقَلَاءِ، وَلَكِنَّ الطُّرُقَ كُلَّهَا غَيْرُ مُوَصِّلَةٍ إِلَيْهِ، بَلْ لَعَلَّ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا يُوَصِّلُ إِلَىٰ ضِدِّهِ، وَلَمْ أَرَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الطُّرُقِ طَرِيقًا مُوَصِّلَةً إِلَيْهِ إِلَّا الْإِقْبَالَ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَمُعَامَلَتَهُ وَحْدَهُ، وَإِيثَارَ مَرْضَاتِهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ »[1].

فالعناية بالقلوب أمرٌ مطلوب، والحرصُ علىٰ أسبابِ انشراحِ الصدورِ من أهمِّ الأمور، ومما يدلُّ علىٰ أهميةِ العنايةِ بما يشرحُ الصدور، ما ذكره بعض العلماء من أَنَّ حَالَ الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ كَحَالِ الْقَلْبِ فِي الصَّدْرِ نَعِيمًا وَعَذَابًا، وَسِجْنًا وَانْطِلَاقًا، وَلَا عِبْرَةَ بِانْشِرَاحِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ، وَلَا بِضِيقِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ، فَإِنَّ

---

(١) الداء والدواء = الجواب الكافي لابن القيم - ط دار المعرفة (ص١٩٣).

الْعَوَارِضَ تَزُولُ بِزَوَالِ أَسْبَابِهَا، وَإِنَّمَا الْمُعَوَّلُ عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي قَامَتْ بِالْقَلْبِ تُوجِبُ انْشِرَاحَهُ وَحَبْسَهُ، فَهِيَ الْمِيزَانُ[(١)].

هذا وإنَّ أعظمَ أسبابِ انشراحِ الصدر: الإسلام، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[(٢)]. وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾[(٣)].

ومنْ أرادَ أنْ يَنجحَ ويُفلحَ في أيِّ أمرٍ من أمورِ الحياة، فلْيعلم أنَّ من أعظمِ أسبابِ نجاحِه وفلاحِه: انشراحُ صدرِه لذلك الأمرِ ولغيرِه من الأمور المشروعة المحمودة، ولهذا لما أرسلَ اللهُ نبيَّه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أعظمِ مُهمّة - وهي الدعوةُ إلىٰ التوحيد - وأرسلَه إلىٰ أكفرِ الناسِ في عهدِه - وهو فرعون - كان لموسىٰ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم - ط الرسالة (٢/ ٢٥).

(٢) [الأنعام:١٢٥].

(٣) [الزمر:٢٢].

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعواتٌ ومطالبُ من ربِّه جَلَّ جَلَالُهُ حتىٰ يقومَ بما أُمر بِه علىٰ أكملِ وجهٍ، وأحسن صورة.

وأولُ تلك المطالبِ أنه سألَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يشرحَ صدرَه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آمرًا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝٢٨﴾(١). الآيات إلىٰ آخرها. فكان أولُ مطلبٍ من مطالبِ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنْ يشرحَ اللهُ له صدرَه حتىٰ يؤدِّيَ ما أُمرَ به، ويبلِّغَ ما أرسلَ بهِ، فدلَّ هذا علىٰ أنَّ انشراحَ الصدرِ من أعظمِ ما يُعينُ العبدَ علىٰ تحقيقِ غاياتِه، ونيلِ مصالحه وأمنياتِه.

ومن النعم التي امتنَّ اللهُ بها علىٰ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكَّرَه بها، وذكرَ ذلك في كتابِه قبلَ ذِكرِ بقيةِ النعم: أنْ ذكَّره اللهُ بأنْ شرحَ له صدرَه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾(٢).

---

(١) [طه:٢٤-٢٨].

(٢) [الشرح:١].

فذكَرَ الامتنانَ بشرحِ الصدرِ قبلَ الامتنانِ بوَضْعِ الوِزْر، ورَفْعِ الذِّكْرِ، وهذا يدلُّ علىٰ أهميّةِ انشراحِ الصدرِ وفضيلتِه.

وبعدَ العلمِ بأهميةِ انشراح الصدور، في جميع ما يُحمدُ من الأمور، فينبغي أنْ نذكرَ بعضَ أسبابِ انشراحِها، وأبواب السعادةِ النفسيّة.

فأولُ تلك الأبوابِ، وأهمُّ تلك الأسباب: التوحيدُ؛ لأنَّ القلوبَ أوعيةٌ تغشاها الظلمةُ بالذنوبِ، ويُجلِّيها نورُ الإيمان، ولا ذنبَ أعظم من الشرك، ولا حسنةَ تمحو ظلمةَ الشركِ من القلوبِ أعظمَ من التوحيد، فأعظمُ أسبابِ سعادةِ القلوب: توحيدُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأعظمُ أسبابِ ضيقِها: الشركُ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: التَّوْحِيدُ، وَعَلَىٰ حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[١]».

---

(١) [الزمر:٢٢].

فَالْهُدَىٰ وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَالشِّرْكُ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ، وَمِنْهَا: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ، فَإِذَا فُقِدَ هَذَا النُّورُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ ضَاقَ وَحَرَجَ، وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ.

فَيُصِيبُ الْعَبْدَ مِنِ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِحَسَبِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا النُّورِ، وَكَذَلِكَ النُّورُ الْحِسِّيُّ، وَالظُّلْمَةُ الْحِسِّيَّةُ، هَذِهِ تَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَهَذِهِ تُضَيِّقُهُ »[١].

ومن أسبابِ انشراحِ الصدر: الْعِلْمُ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُوَسِّعُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضِّيقَ وَالْحَصْرَ وَالْحَبْسَ، فَكُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ، وَلَيْسَ هَذَا لِكُلِّ عِلْمٍ، بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، فَأَهْلُهُ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا[٢].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٣).

ومن أسبابِ انشراحِ الصدر: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالتَّنَعُّمُ بِعِبَادَتِهِ، فَلَا شَيْءَ أَشْرَحُ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ أَحْيَانًا: إِنْ كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنِّي إِذًا فِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَلِلْمَحَبَّةِ للهِ تعالىٰ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطِيبِ النَّفْسِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ لَهُ حِسٌّ بِهِ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ أَقْوَىٰ وَأَشَدَّ كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ[١].

والإنابةُ والطاعةُ سببٌ للحياة الطيبة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والإقبالُ علىٰ الله تعالىٰ، والإنابةُ إليه، والرضىٰ به وعنه، وامتلاءُ القلبِ من محبتِه، واللَّهَجُ بذكرِه، والفرحُ والسرورُ بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضرة، وعَيْشٌ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٣).

(٢) [النحل:٩٧].



لا نسبةَ لعيشِ الملوكِ إليه ألبتّة، قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلْها لا يدخل جنة الآخرة». وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة »[(١)].

ومن أسبابِ انشراحِ الصدر: الصلاة؛ فإنها علامةُ الفلاحِ، وطريقُ النجاحِ، وسببُ السعادةِ والانشراح، كما في الأحاديث الصحاح، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [(٢)]، وكان يقول: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[(٣)]، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[(٤)].

---

(١) الوابل الصيب - ط عطاءات العلم (١/ ١٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢٩٣) والنسائي (٣٩٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٦٨١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥) والطبراني في المعجم الكبير (٦٢١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢) عن رجل من خزاعة.

(٤) [المؤمنون:١-٢].

ومن أعظمِ أسبابِ انشراحِ الصدور: كثرةُ ذكرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾(١).

فذكرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يجلو عن القلوبِ الصّدَأَ والأسقام، ويطردُ عنها الشياطين والوساوسَ والأوهام، فاحرصْ - أخي المسلم - علىٰ أذكارِ الصباحِ والمساء وأدبارِ الصلوات، وأذكارِ النومِ والاستيقاظ والركوبِ ونحو ذلك، فإنَّ ذلك من أعظمِ أسبابِ انشراحِ الصدر، ومن تأمَّل في فوائدِ الأذكار فلن يقصِّر في أدائها ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، وقد جُمعت بعضُ فضائلها في هذه الأبيات:

بعضُ الدقائق من زمانك كافيةْ ... لقراءةِ الأذكار - نلتَ العافيةْ

فيها التحصُّنُ من عدوٍّ ماكرٍ ... فيها الدعاءُ غنيمةٌ لك وافيةْ

فيها اتّباعُ المصطفى في هديهِ ... وأجورُ ذكرِ اللهِ ليستْ خافيةْ

فيها انشراحُ الصدرِ من همٍّ فكمْ ... جعلَتْ قلوبًا بعد غمٍّ صافيةْ

فيها السلامةُ من بلايا جَمةٍ ... وكذاك للأمراضِ نِعمَ الشافيةْ

---

(١) [الرعد:٢٨].



فاحرصْ علىٰ ذكر الله ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلًا، تكنْ من السعداء بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَلِلْغَفْلَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضِيقِهِ وَحَبْسِهِ وَعَذَابِهِ »[(١)].

ومن أسباب انشراح الصدر: الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همًّا وَغمًّا، وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ: «كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ حَتَّىٰ يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِيَ أَثَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ»[(٢)]،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٥) ومسلم (١٠٢١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ(١).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فالإحسانُ له جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ... ولو لم يكن إلا ما يُجَازىٰ به المُحْسِنُ: من انشراحِ صدرِه، وانفساحِ قلبه وسرورِه، ولذّتهِ بمعاملةِ ربِّه عَزَّوَجَلَّ وطاعتِه، وذكرِه ونعيمِ روحهِ بمحبتِه وذكرِه، وفرحُه بربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظمُ مما يُفرِحُ القريبَ من السلطانِ الكريمِ عليه بسلطانه »(٣).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة» (٢/ ٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الوابل الصيب - ط عطاءات العلم (١/ ١٠٨).

ومن أعظمِ أسبابِ انشراحِ الصدر: ملازمةُ قراءةِ القرآن والتأمُّلُ في آياتِه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾(١).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾(٢)، فالقرآنُ شفاءٌ للصدور، ودواءٌ لأدوائها.

بل أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابه أنَّ الإيمانَ محلُّه القلوب، والقلوبَ في الصدورِ كالمِشكاة التي فيها مصباح، والمصباحُ في زجاجةٍ، والزجاجةُ فيها إضاءةٌ، فذلك الذي يُضيءُ هو القرآن، كما ذكر المفسرون في تفسير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾(٣).

---

(١) [يونس:٥٧-٥٨].

(٢) [فصلت:٤٤].

(٣) [النور:٣٥].

قال المفسرون: الذي يضيء ذلك المصباح وينيره هو القرآنُ، فبقدرِ ما تستقلُّ وتستكثرُ من القرآن، يكون انشراح صدرِك وقوة إيمانك، فلا تبخلنَّ علىٰ نفسِك، واحرصْ علىٰ قراءةِ القرآن وتعاهُدِهِ ما استطعتَ إلىٰ ذلك سبيلًا [(١)].

ومن أسباب انشراح الصدر: الشَّجَاعَةُ الناتجةُ عن التوكلِ علىٰ اللهِ والاعتمادِ عليهِ، وتفويضِ الأمورِ إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَإِنَّ الشُّجَاعَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ، وَاسِعُ الْبِطَانِ، مُتَّسِعُ الْقَلْبِ، وَالْجَبَانُ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَحْصَرُهُمْ قَلْبًا، لَا فَرْحَةٌ لَهُ وَلَا سُرُورٌ، وَلَا لَذَّةٌ لَهُ، وَلَا نَعِيمُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ مَا لِلْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيِّ، وَأَمَّا سُرُورُ الرُّوحِ وَلَذَّتُهَا وَنَعِيمُهَا وَابْتِهَاجُهَا فَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ كُلِّ جَبَانٍ، كَمَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَىٰ كُلِّ بَخِيلٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ مُعْرِضٍ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ، غَافِلٍ عَنْ ذِكْرِهِ، جَاهِلٍ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ وَدِينِهِ، مُتَعَلِّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ » [(٢)].

---

(١) روي عن الحسن وابن زيد أن النور القرآن والإيمان، كما في تأويل مشكل القرآن (ص١٩٧)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٩٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٥).

ومن أسباب انشراح الصدر، بَلْ مِنْ أَعْظَمِهَا: إِخْرَاجُ دَغَلِ الْقَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تُوجِبُ ضِيقَهُ وَعَذَابَهُ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُصُولِ الْبُرْءِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَتَىٰ الْأَسْبَابَ الَّتِي تَشْرَحُ صَدْرَهُ، وَلَمْ يُخْرِجْ تِلْكَ الْأَوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَحْظَ مِنَ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِطَائِلٍ، وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَادَّتَانِ تَعْتَوِرَانِ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَهُوَ لِلْمَادَّةِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ مِنْهُمَا.

وَمِنْهَا: تَرْكُ فُضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالِاسْتِمَاعِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالْأَكْلِ وَالنَّوْمِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْفُضُولَ تَسْتَحِيلُ آلَامًا وَغُمُومًا وَهُمُومًا فِي الْقَلْبِ، تَحْصُرُهُ وَتَحْبِسُهُ وَتُضَيِّقُهُ وَيَتَعَذَّبُ بِهَا، بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهَا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَضْيَقَ صَدْرَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ آفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ بِسَهْمٍ، وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَهُ، وَمَا أَسْوَأَ حَالَهُ، وَمَا أَشَدَّ حَصْرِ قَلْبِهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ بِسَهْمٍ، وَكَانَتْ هِمَّتُهُ دَائِرَةً عَلَيْهَا، حَائِمَةً حَوْلَهَا، فَلِهَذَا نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾[1]، وَلِذَلِكَ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ

(١) [الانفطار:١٣].

تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾[(١)]، وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(٢)].

ومن أسبابِ انشراحِ الصدر: الدعاءُ؛ وقد كان النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا نزلَ به البلاء، أو أصابه همٌّ أو عناء، يفزعُ إلىٰ الدعاء، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ قَالَ: «**يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[(٣)].

وعن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[(٤)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا هَمٌّ قَطُّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ،**

---

(١) [الانفطار:١٤].

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٤) عن أنس، والحاكم (١٨٩٢) عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٤٣٠) وأبو داود (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: **«بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**[(١)].

فعلىٰ المسلمِ أنْ يلجأَ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ليرفعَ ما به من الضيقِ والحرَجِ الذي يجدُه في صدرِه، وأن يشرحَ صدرَه، فإنَّ القلوبَ سعادتَها وضيقَها بيد اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أمر مهمٌّ ينبغي التفطُّنُ له.

بارك الله ولكم في القرآن والسنة، ونفعي وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢) البيهقي في الدعوات الكبير (١٨٤)، والحاكم في المستدرك (١٨٧٧)، وصححه الألباني في الترغيب (١٨٢٢)، وهو مما تراجع عن تضعيفه كما ذكره صاحب كتاب: (تراجعات الألباني).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفدْ، أفضلَ ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضل المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد:

فكما ذكرنا بعضَ أسبابِ انشراحِ الصدرِ؛ فمن المناسبِ أن نذكرَ بعضَ أسبابِ ضيقِ الصدرِ التي لا يتنبهُ لها كثيرٌ من الناس، والعلمُ بها مهمٌّ لاجتنابها لا لارتكابها، وكما يقال: الوقاية خيرٌ من العلاج.

ومن أعظمِ تلك الأسباب: عقوقُ الوالدين، فمن كان عاقًّا لوالديهِ فليعلمْ أنَّ العقوباتِ المعجَّلةَ التي تلحقُه في الدنيا كثيرةٌ، ومنها ضيقُ الصدر، وعقوبةُ الآخرة أشد وأبقىٰ، وقد جاء بذلك الوعيدُ الشديد، والإنذارُ الأكيدُ، في حديثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ**

لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» [(١)].

وفي قول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عند أنْ حمدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما امتنَّ به عليه قال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢﴾ [(٢)]. دليلٌ علىٰ أنَّ العقوقَ من أعظمِ أسبابِ الشقاء.

ومن أسبابِ الشقاءِ وضيقِ الصدرِ: الإعراضُ عن طاعةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والبعدُ عن ذكرِه والغفلةُ عن الإقبالِ إليه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ [(٣)]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ [(٤)]، أي: مستمِرًّا متزايدًا في الدنيا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٣٩٨) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٢) [مريم:٣٢].

(٣) [طه:١٢٤].

(٤) [الجن:١٧].

والآخرة، كما جاء عن قتادة في قوله: ﴿عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ قال: صَعودًا من عذابِ اللهِ لا راحةَ فيه(١).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦﴾(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ: الْإِعْرَاضُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَمَحَبَّةُ سِوَاهُ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ عُذِّبَ بِهِ، وَسُجِنَ قَلْبُهُ فِي مَحَبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَىٰ مِنْهُ، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا، وَلَا أَتْعَبُ قَلْبًا، فَهُمَا مَحَبَّتَانِ: مَحَبَّةٌ هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَسُرُورُ النَّفْسِ، وَلَذَّةُ الْقَلْبِ، وَنَعِيمُ الرُّوحِ وَغِذَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا، بَلْ حَيَاتُهَا وَقُرَّةُ عَيْنِهَا، وَهِيَ مَحَبَّةُ اللهِ وَحْدَهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ، وَانْجِذَابُ قُوَىٰ الْمَيْلِ وَالْإِرَادَةِ، وَالْمَحَبَّةُ كُلُّهَا إِلَيْهِ.

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (٢٣/ ٦٦٤).

(٢) [الزخرف:٣٦].

وَمَحَبَّةٌ هِيَ عَذَابُ الرُّوحِ، وَغَمُّ النَّفْسِ، وَسِجْنُ الْقَلْبِ، وَضِيقُ الصَّدْرِ، وَهِيَ سَبَبُ الْأَلَمِ وَالنَّكَدِ وَالْعَنَاءِ، وَهِيَ مَحَبَّةُ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ »[١].

ومن أسبابِ ضيقِ الصدورِ التي لا يَتَنبَّهُ لها كثير من الناس: المؤاذاةُ والاعتداءُ علىٰ الآخرين، والبغيُ عليهم، سواءً باللسانِ أو باليدِ أو بهضمِ حقوقهم، وليعلمِ الذي يتعمَّدُ ظُلمَ الآخرين ويكبتُهم ويقهرُهُم أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد يعاقبُه بالضيقِ في صدره ولا يدري، فمن العقوبات العاجلةِ التي لا يختلفُ فيها العقلاء: ضيقُ الصدور، فعند أنْ تقهرَ غيركَ وتُسيءَ إليه، تذكَّرْ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد يُعاقبك بعقوبات لا تدري بها، ومن ذلك ضيقُ الصدر، ولذلك تجدُ بعضَ الناس مالُه كثير، وصحتُه طيبة، وأولادُه في خير وعافية وكثرة، ومسكنُه واسع، ومركبه هنيء، وملبسه جميل، ومنظره طيب، لكنه في ضيقٍ ونكَدٍ، وهمٍّ وغمّ، وهذا قد يكونُ بسببِ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٤).

مؤاذاةِ الضعفاءِ والمساكين، فمن أعظمِ أسبابِ ضيقِ الصدور والتعاسةِ في الدنيا: مؤاذاةُ الآخرين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما يُجَازىٰ به المسيءُ مِنْ ضيقِ الصدرِ، وقسوةِ القلبِ، وتَشَتُّتِه، وظُلْمَتِه، وحزازاته، وغمه، وهمه، وحزنه، وخوفه، وهذا أمرٌ لا يكادُ يرتابُ فيه من له أدنىٰ حِسٍّ وحياة، بل الغمومُ والهمومُ والأحزانُ والضيقُ عقوباتٌ عاجلةٌ، ونارٌ دنيوية، وجهنَّمُ حاضرةٌ»[1]، فليتقِ اللهَ المسلمُ وليكفَّ أذيتَه عن الناسِ.

ومن أسبابِ ضيقِ الصدور: الكبرُ، فالمتكبرُ يرىٰ أنَّ له حقًّا علىٰ جميعِ الناسِ وليس لأحدٍ عليه حق، فهو يتذمَّرُ من هذا ويمتعضُ من هذا، ويريدُ أنْ يُعاملَه الناس معاملةً خاصّة، ليس لأنه يستحقها لكن لِمَا يجدُ في قلبِه من الكبرِ ولِمَا يرىٰ من أنه أعلىٰ من الآخرين، فيعيشُ في همٍّ ونكد.

(١) الوابل الصيب - ط عطاءات العلم (١/ ١٠٨).

ومن أسباب ضيق الصدور: الانشغالُ بالناس ومتابعةُ الآخرين، فيقارنُ لبسَه بلبسِ الناس، ومركبَه بمراكبهم، ومسكنَه بمساكنهم، ودخْلَه بدخلِهم، وراتبه برواتبهم، وحياتَه بحياتهم، فيتابعُ هذا ويتأملُ هذا ويريدُ أنْ يزيدَ علىٰ هذا وأنْ يسبقَ هذا، فيبقىٰ في همٍّ دائمٍ، وضيقٍ لا ينقطع، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: صَحِبْتُ الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي أَرَىٰ دَابَّةً خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي وَثَوْبًا خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي، وَصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ (١).

فعلىٰ الإنسانِ أنْ ينشغلَ بنفسِهِ، وأنْ يحمدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما أعطاه ولا يبالي بالآخرين، وليقنعْ بما أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليعلمْ أنَّ اللهَ فضَّل بعضَ الناسِ علىٰ بعضٍ لحكمٍ يعلمها سبحانه، فمهما بلغ في دينٍ أو دنيا فإنه يوجد من هو أفضلُ منه، فما عليه إلا أنْ يرضىٰ بما أعطاه الله، ويسلِّمَ لما قدَّره، ليسعدَ في الدنيا وينجوَ في الآخرة.

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٣٧٨) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٧) وحلية الأولياء (٤/ ٢٤٢).

ومن أسبابِ ضيقِ الصدور: الأمراضُ القلبية، كالحسدِ والحِقدِ والبغضاء والكراهية، ونحو ذلك من الأمراض التي هي كالنيران يحملها بعضُ الناس بين جنبيه.

ومن أسباب ضيق الصدور: مجالسةُ المتشائمين، فالجلساءُ المتشائمون يذمُّون كلَّ ما حولَهم، وينتقدون كلَّ ما يرون، ويلومون جميعَ الناس، فمجالسةُ هؤلاء همٌّ دائمٌ، ونكدٌ متواصل، وغمٌّ لا ينقطع، والبعدُ عنهم حقٌّ للنفس، وخير لدينِ المرء ودنياه، وفي تركهم سلامةٌ للقلب، وراحةٌ للنفس، وانشراحُ للصدر، فابذلْ لهم النصحَ ثم تنحَّ عنهم فهو خير لك.

هذا وإنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَكْمَلَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَاتِّسَاعُ الْقَلْبِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ، وَحَيَاةُ الرُّوحِ، فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا الشَّرْحِ وَالْحَيَاةِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ مَعَ مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الشَّرْحِ الْحِسِّيِّ، وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ مُتَابَعَةً لَهُ، أَكْمَلُهُمُ انْشِرَاحًا وَلَذَّةً وَقُرَّةَ عَيْنٍ، وَعَلَى حَسَبِ مُتَابَعَتِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ مِنَ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ وَلَذَّةِ رُوحِهِ مَا يَنَالُ، فَهُوَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذُرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ وَرَفْعِ الذِّكْرِ وَوَضْعِ الْوِزْرِ، وَلِأَتْبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ نَصِيبِهِمْ مِنَ اتِّبَاعِهِ.

وَهَكَذَا لِأَتْبَاعِهِ نَصِيبٌ مِنْ حِفْظِ اللهِ لَهُمْ، وَعِصْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَدِفَاعِهِ عَنْهُمْ، وَإِعْزَازِهِ لَهُمْ، وَنَصْرِهِ لَهُمْ، بِحَسَبِ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْمُتَابَعَةِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ. فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ(١).

ومن أخذ بأسبابِ انشراحِ الصدر، واجتنبَ أسبابَ ضيقِها؛ فيرجىٰ له أنْ يكونَ من السعداء في الدنيا والآخرة.

ولنعلمْ جميعًا أنَّ سعادةَ القلوب وانشراحَ الصدورِ واستنارةَ العقولِ وهدوءَ البال وراحةَ الضمير بيدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلنطلبْها منه عَزَّ وَجَلَّ، مع الأخذِ بالأسبابِ التي شرعَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن شرحَ الله صدرَه لا يستطيعُ الخلقُ كلُّهم أن يُضيِّقوه، ومن ضيَّق اللهُ صدره فلن يَسعدَ أبداً، ولو اجتمع الخلق كلهم ليمنحوه السعادة ما استطاعوا، فالسعادةُ عطاءُ الله، والله هو المعطي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (٢/ ٢٥).

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحقَّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم انصرْ من نصر الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اجعلْ خير أعمالنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخيرَ أيامِنا يومَ نلقاك، اللهم توفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم إنا نسألك غيثَ الإيمانِ في قلوبنا، وغيثَ الرحمة في أوطاننا، اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار.

اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.







٦- خطبة جمعة بعنوان:

تحري الإصابة في واجبنا نحو الصحابة

الحمدُ للهِ الذي فضَّلَ بعضَ الناسِ على بعض، أحمدُه ملءَ السماواتَ وملءَ الأرض، وملءَ ما شاءَ من شيءٍ بعدُ في طولٍ أو عَرْض.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، فضَّلَ الأنصارَ والمهاجرين، على بقيةِ أتباعِ الأنبياءِ والمرسلين.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه المجتبى ورسوله المرتضى، وإمامُ الأتقياء وخاتمُ الأنبياء، وسيدُ المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين، فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلى آلِه الكُرماء، وأصحابِه الرُّحَماء، ما همَرَ رُكام، وهدَرَ حَمام، وسرَحَ سوام، وسطا حُسام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلَن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[١].

(١) [آل عمران:١٠٢].

أيها المسلمون عباد الله: إنَّ مِن واجِبِنا نحوَ أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّ نعرفَ لهم فضلَهم، وأنَّ نتَّبِعَهم بإحسانٍ في هديِهِم، وأن ندعوَ لهم ونترضَّىٰ عنهم، وأن نُحبَّهم، ونُدافعَ عنهم.

أما فضلُهم؛ فقد ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم، بل وُصفوا في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ بأفضلِ الأوصاف، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾[١]، وقد أخبر اللهُ في كتابه أنه رضيَ عنهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ

---

(١) [الفتح:٢٩].

﴿١٠٠﴾[1]. ورضي عمَّن بايعَ منهم تحتَ الشجرةِ، التي هي بيعةُ الرضوان، فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[2]. ووعدهم جميعًا بالحُسنىٰ، التي هي الجنة، فقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3].

وأخبر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أصحابَ الشجرةِ من أهلِ الجنة، كما في حديثِ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[4]، وقد صحَّتِ الرواياتُ أنهم كانوا ألفًا وأربعمائة.

---

(١) [التوبة:١٠٠].

(٢) [الفتح:١٨].

(٣) [الحديد: ١٠].

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٥٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٠).

وقال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[2]، هذه الآيةُ في الثناءِ علىٰ المهاجرين،

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الأنصار في الآيةِ التي بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[3].

وحثَّ اللهُ من جاء بعدَهم علىٰ محبتِهم والاستغفارِ لهم وسلامةِ القلوبِ نحوَهم، كما في الآية التي بعدها، قال

---

(١) [التوبة:١١٧].

(٢) [الحشر:٨].

(٣) [الحشر:٩].

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعدِ المهاجرين والأنصارِ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[1].

وأشارَ القرآنُ الكريمُ إلىٰ فضيلةِ اتّباعِ الصحابة، وأنَّ اتباعَهم من أسبابِ نيلِ مرضاةِ الله والفوزِ بجَنَّتِه سبحانه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[2].

وأخبر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنَّ الصحابةَ خيرُ الناس، وأفضلُ الأمم، وأصلحُ القرون؛ فعن عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[3].

---

(١) [الحشر:١٠].

(٢) [التوبة:١٠٠].

(٣) رواه البخاري (٢٥٠٩) ومسلم (٢٥٣٣).

وأخبَر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنهم أفضلُ من غيرِهم، ومهما عمِلَ غيرُهم من عملٍ فلن يبلغَ مكانتَهم، ولن يصل إلىٰ منزلتهم، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قَالَ: قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»**(١)، يعني: لو أنَّ الْمُدَّ - الذي هو ملءُ الكفين - مِنْ الصحابي إذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا لو تصدق به أحدٌ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ(٢). فالمُدُّ من أصحابِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خيرٌ من مثلِ جبلِ أحدٍ ذهَبًا من غيرِهم، وهذا يدلُّ علىٰ فضلِ أصحابِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك صحَّ عنِ ابنِ عمرَ أنه كان يقول: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»**(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٠) والبخاري (٣٤٧٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٥). بتصرف يسير.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢) وحسنه الألباني والأرناؤوط.

وقال عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ دِينِهِ، فَمَا رَأَىٰ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ»(١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَسَبَقَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ، فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَهَنَّأَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِبُلُوغِ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ »(٢).

وقد كان العلماء يحثُّون علىٰ الاقتداءِ بالصحابة، فإنهم أوسعُ الناس بعد الأنبياءِ والرسلِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ علمًا، وأحسنُهم رأيًا، وأصدقُهم إيمانًا، وأكثرُهم صوابًا، وأقلُّهم خطأً، قال عبدُالله بن

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠) وحسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٤٠٢).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٤٢).

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيَرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْهُدَىٰ الْمُسْتَقِيمِ»(١).

ومن اطَّلعَ علىٰ أخبارِهم، وتأمَّلَ فيما كان من أحوالِهم، أدرَك أنهم كانوا خيرَ خلقِ اللهِ بعد الأنبياءِ والمرسلين، وأنَّ اللهَ اصطفاهم لصُحْبَةِ سيدِ الأولين والآخرين، وتبليغِ دينِ ربِّ العالمين، قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ »(٢).

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٤/ ٢٨٥)، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٤٣٢) عن ابن عمر.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٦).

وفي الرأي هم خيرٌ ممن بعدَهم، وفي الاجتهادِ هم أصوبُ من غيرِهم، وما أحسنَ ما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصحابة، حيثُ قال: «هم فوقنا في كلِّ علمٍ وعقلٍ ودينٍ وفضل، وفي كلِّ سببٍ يُنالُ به علمٌ أو يُدْرَكُ به هدىً، ورأيُهُم لنا خيرٌ مِن رأينا لأنفسنا»(١).

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَيْسَ فِي الأمة كالصَّحابَة ... فِي الْفضل وَالْمَعْرُوف والإصابة
فَإنَّهم قد شاهدوا المختارا ... وعاينوا الْأَسْرَار والأنوارا
وَجَاهدُوا فِي الله حَتَّى بانا ... دينُ الْهدى وَقد سَما الأديانا
وَقد أَتَى فِي مُحكم التَّنْزِيل ... من فَضلهمْ مَا يشفي للغليل
وَفِي الأَحَادِيث وَفِي الآثار ... وَفِي كَلام الْقَوْم والأشعار
مَا قد رَبَا من أَن يُحِيط نظمي ... عَن بعضه فاقنعْ وَخذ عَن علم
وَاحْذَرْ من الْخَوْض الَّذِي قد يُزري ... بفضلِهم مِمَّا جرى لَو تَدْرِي
فَإِنَّهُ عَن اجْتِهَاد قد صدرْ ... فَاسْلَمْ أذلَّ الله من لَهُم هجَرْ
وبعدَهم فالتابعون أَحْرَى ... بِالْفَضْلِ ثمَّ تابعوهم طُرّا(٢)

---

(١) الانتصار لأهل الأثر لابن تيمية (ص٢٢٤).

(٢) العقيدة السفارينية = الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (ص/ ٨٨).



فهذا ما ينبغي أن يُعلَمَ ويُعتقدَ في أصحابِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم دافعوا عن رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلَّغوا دينَ الله، وكانوا بدينِ الله نِعْمَ المتمسكون، ونِعْمَ المُبلِّغون، ونِعْمَ القائمون به حقَّ القيام.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحِكم المُنيفة، قلتُ ما سمعتم وأستغفرُ اللهُ إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفَد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضلِ المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد: فمما يجبُ علينا - أيضًا - نحو صحابةِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن نَكُفَّ عمَّا شجرَ بينهم من الخلاف، ولمَّا ذكر اللهُ ما جرىٰ منهم يومَ أحدٍ بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه قد عفا عنهم، إشارةً إلىٰ أنه لا ينبغي لأحدٍ أنْ يلومَ أصحابَ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أنْ ينتقدَهم، أو يُقيِّمَ أفعالَهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥﴾[1]. فبعد أن ذكر ما جرىٰ من بعضهم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾[2] فلَمْ يبقَ لأحدٍ حقٌّ أن يتدخلَ

(١) [آل عمران:١٥٥].

(٢) [آل عمران:١٥٥].

فيما جرىٰ بين أصحابِ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولذلك لمَّا سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ قِتَالِ أَهْلِ صِفِّينَ قَالَ: « تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللهُ عَنْهَا يَدِي لَا أُرِيدُ أَنْ أُلَطِّخَ بِهَا لِسَانِي »[١].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « من السنةِ الواضحةِ الثابتةِ البينةِ المعروفةِ ذكرُ محاسنِ أصحابِ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أجمعين، والكفُّ عن ذكرِ ما شجرَ بينهم، فمن سبَّ أصحابَ رسولِ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو واحداً منهم أو انتقصه أو طعَن عليه أو عرَّضَ بعيبِهِم أو عابَ أحداً منهم فهو مبتدعٌ رافضيٌّ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبلُ اللهُ منه صرفًا ولا عدلاً، بل حبُّهم سُنةٌ، والدعاءُ لهم قُربةٌ، والاقتداء بهم وسيلةٌ، والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ »[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو يذكر العقيدةَ الصحيحةَ فيما جرىٰ من بعضِ الصحابةِ -: « ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٣٤).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٣٠) والجامع لعلوم أحمد (٣/ ١٦).

ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بحسناتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ-، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كَفَّرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ، فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ؟ ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ: مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ »[١].

فيجبُ علينا أن نُحبَّ أصحابَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبُّهُمْ علامةٌ علىٰ الإيمان، وبغضُهم علامةٌ علىٰ النفاق، كما في الصحيحين عن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الأنصار: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»[٢].

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥).

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: « وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وطغيان »[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِها أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ علا وفضائلٌ ... لكِنَّما الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ[٢]

فهذه العقيدةُ في الصحابةِ هي التي يجبُ أن يكونَ عليها كلُّ مسلم، وإذا رأيتم من ينتقصُ أحدًا من أصحابِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاعلموا أنه علىٰ غيرِ الحقِّ، وقد تجرأَ علىٰ أولياءِ الله؛ لأنَّ أصحابَ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هم حمَلةُ الدينِ إلىٰ هذه الأمة، ومبلِّغوه إلىٰ الأقطار، فإذا طُعن في الذين بلغوا هذا الدينَ، فقد طُعن في دينِ الإسلام، حيثُ وهم من بلَّغه عن رسولِ

---

(١) متن العقيدة الطحاوية - شرح وتعليق الألباني (ص٨١).

(٢) بدر التمام شرح لامية شيخ الإسلام (ص/ ٨).



الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف سيكونُ الدينُ صحيحًا مقبولًا عند من طعنَ في حملتِه، أو قَبِلَ الطعنَ فيهم؟.

وإنها لطامةٌ كبرى، ومصيبةٌ عظمى: أن يتجرَّأَ أحدٌ على النَّقْدِ والطعنِ في الذينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأَحبَّهمْ وأخبرَ عنهم في كتابِه الكريم بأفضلِ الأوصافِ، وأجملِ الخصال.

اللهم ارضَ عن الصحابة أجمعين، واجعلنا لهديهم متبعين، اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، واجعلْ هذا البلد آمنا مطمئنا رخاء وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



٧- خطبة جمعة بعنوان/

الإشارة والتشويق إلى سيرة أبي بكر الصديق

الحمدُ للهِ الذي يُفضِّل من يشاءُ من خلقهِ، ويَبسطُ لمن يشاءُ في رزقِه، أحمدُه حمدَ العالمينَ بأمره القائمين بحقه، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المَلِكُ القهار، شهادةً نرجو بها النجاةَ من النار، والسُّكنىٰ في دارِ القرار، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ في أُمِّ القُرىٰ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ أبي بكرٍ الذي أَنفقَ المال، وبذَلَ النفسَ، وصاحَبَ في الدارِ والغارِ بلا مِرا ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾(١).

وأوفــرُ كــلِّ خلْــقِ اللهِ حظًّــا	مــن الإكــرامِ خــيرُ المرســلينَ
فصــلى اللهُ ربــي كــلَّ حــينٍ	علــى المختــارِ خــيرِ العــالمينَ

---

(١) [التوبة:٤٠].

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[١].

أيها الناس: إنَّ مما ينبغي أنْ يتذاكرَه الناسُ بين حينٍ وآخر، سيرةَ أعلامِ الإسلام وأئمةِ المسلمين؛ فإنَّ في ذلك تذكيرًا بعظمةِ هذا الدين، لأنَّ العظماء قبلوه، واعتنقوه، وفيه معرفةٌ بحقِّ من قام بأمرِه حقَّ القيام، وبلَّغه خيرَ بلاغ، وفيه شحذُ الهممِ للاقتداءِ بهديِهم، والسيرِ بسيرهم، لا سيّما الخلفاء منهم، حيثُ وقد قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «عليكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٢].

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٥) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩) وحسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٤٤٨) من حديث العرباض بن سارية.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»[(١)].

وسنذكرُ في هذا المقامِ - بعونِ الله - بعضًا من سيرةِ خيرِ هذه الأمةِ بعد نبيِّها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل هو أفضلُ الخلق بعد الأنبياء، كما قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأفضلُ الصحابة، بل أفضلُ الخلقِ بعد الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ عثمان التيميّ، خليفةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُمِّي بالصديقِ لمبادرتِه إلىٰ تصديقِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبلَ الناسِ كلِّهم»[(٢)].

ولو استفصلنا في ذكرِ سيرتِه لاحتاجَ المتكلمُ إلىٰ الساعاتِ الطوال، بل وإلىٰ الأيامِ والليالي، ولكننا سنأتي علىٰ ما به يُعرف ويُذكر، دون إطالةٍ ولا إملال.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٤٤)، عن ابن مسعود.

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ط ابن الجوزي (ص/ ٣٧٠).

أما نسبهُ فإنه يلتقي مع النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجَدِّ السادس، وُلِدَ أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد عامِ الفيلِ بثلاثِ سنواتٍ أو أقلّ من ذلك على اختلافِ الروايات.

كان هذا الرجلُ من أشرافِ قريش، وقد ذكروا أنَّ الشرفَ في قريش قبلَ الإسلامِ انتهى إلى عشرةِ رهطٍ من عشرة أبطُن، فالعباسُ من بني هاشمٍ، وعمرُ بن الخطاب من بني عدي، ومن بني تيمٍ أبو بكرٍ الصديق: وكانت إليه الأشناقُ في الجاهلية، وهي الدِّيات والمغْرمُ، فكان إذا احتمل شيئًا يسألُ فيه قُريشًا صدَّقوه وأمضوا حَمالةَ من نهض معه وإن حملها غيره خذلوه[١].

وكان أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعلمَ قريشٍ بأنسابِها، وكان يمتازُ عن بقيةِ النسَّابةِ أنه لا يعيبُ الأنسابَ ولا يذكرُ المثالبَ، وذلك مما حبَّبه إلى العَرَبِ، وقد قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسانَ بنِ ثابت: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّىٰ يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (١/ ١٣٢).

قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ[١].

ومن خصائصِ أبي بكر قبل الإسلام: أنه لم يسجدْ لصنمٍ قط، ولم يشربِ الخمرَ في جاهليةٍ ولا إسلام، ولقد سُئِلَ يومًا فِي مَجْمَعٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ أَصُونُ عِرْضِي وَأَحْفَظُ مُرُوءَتِي، لِأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ كَانَ لِعِرْضِهِ وَمُرُوءَتِهِ مُضَيِّعًا[٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «حَرَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَمْرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَشْرَبْهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ»[٣].

وممَّا يمتازُ به أنَّ الناسَ أجمعوا علىٰ محبتِه وعدالتِه، فلم يعِبْهُ أحدٌ بشيءٍ قطّ في جاهليةٍ ولا إسلام، إلا أنه آمن باللهِ ورسولِه، كما نصَّ علىٰ ذلك الإمامُ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: « وَلَمْ يُعْلَمْ

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٣٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣٣٣).

(٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم (١١٠).

أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ عَابَ أَبَا بَكْرٍ بِعَيْبٍ، وَلَا نَقَصَهُ وَلَا اسْتَرْذَلَهُ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَهُمْ عَيْبٌ إِلَّا إِيمَانَهُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ قَطُّ بِهِ عَيْبٌ عِنْدَ قُرَيْشٍ وَلَا نَقْصٌ وَلَا يَذُمُّونَهُ بِشَيْءٍ قَطُّ، بَلْ كَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَهُمْ بَيْتًا وَنَسَبًا مَعْرُوفًا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَكَذَلِكَ صِدِّيقُهُ الْأَكْبَرُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَيْبٌ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ »[(١)].

بل لقد وصفه ابْنُ الدَّغِنَةِ يومَ أن ردَّه في جوارِه عند أنْ خرج مهاجراً قبل هجرتِه مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنظيرِ ما وصفتْ خديجةُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: «مثلُك لا يُخرج، إنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي، فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ ابْنُ الدَّغِنَةَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضَنَّ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ، قَالَتْ: فَكَفُّوا عَنْهُ»[(٢)].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/ ٥٤٧).

(٢) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٣٧٣).

وقال ابنُ حجر معلِّقًا علىٰ خبرِ ابنِ الدَّغِنَةِ بقوله: « ومن أعظمِ مناقب أبي بكر أنَّ ابنَ الدَّغِنَةِ سيدَ القارة لمّا ردّ إليه جوارَه بمكةَ وصفَه بنظيرِ ما وصفتْ به خديجةُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا بُعِث، فتواردا فيهما علىٰ نعتٍ واحدٍ من غيرِ أنْ يتواطئا علىٰ ذلك، وهذا غايةٌ في مدحِه، لأنَّ صفاتِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ نشأ كانت أكملَ الصفات »[(١)].

هذا الرجلُ لما بعثَ اللهُ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عرضَ عليه الإسلامَ وأخبرَه بأمرِ اللهِ، فما قامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا وقد أسلم أبو بكر، كما في صحيح البخاري أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ»[(٢)].

ثمَّ ما إنْ أسلمَ إلا وقامَ يدعو إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرًّا وجهرًا، ويَعرِضُ الإسلام علىٰ الناسِ فُرادىٰ وجماعات، وقد أسلم علىٰ

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٩).

(٢) رواه البخاري (٤٦٤٠)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يديهِ من العشرةِ المبشرينَ بالجنةِ سِتةٌ، كما في حديثِ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، حيث قالت: «وَمَضَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَرَاحَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ جَاءَ الْغَدَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ فَأَسْلَمُوا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ»(١). وغيرُهم الكثير.

وكان أبو بكرٍ في تبليغ دينِ الله أشجعَ هذه الأمةِ بعدَ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، حتىٰ إنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ سَألَ مِنْ علىٰ المِنْبَرِ يومًا عن أشجعِ الناس؟ ثم شهدَ بذلك لأبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، كما جاء عن محمدِ بنِ عقيلٍ، قَالَ: خَطَبَنا عَليُّ بْنُ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فقالَ: أيُّها النَّاسُ أخبروني مَن أشجعُ النَّاسِ؟ قَالُوا: أنتَ يا أميرَ المؤمنين، قَالَ: أما إِنِّي ما بارزتُ أحدًا إِلَّا انتصفتُ مِنْهُ، ولكن أخبروني بأشجعِ النَّاسِ، قَالُوا: لا نعلمُ، فمنْ؟

قَالَ: أبو بكرٍ: وذلك أنَّه لما كانَ يومَ بدرٍ، جعلنا لرسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَرِيشًا، فقُلنَا: من يكونُ مَعَ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

---

(١) من حديث خيثمة بن سليمان (ص١٢٥)، البداية والنهاية (٤/ ٧٥ ت التركي).

لِئلَّا يَهوِي إليه أحدٌ مِنَ المشركينَ، فواللهِ ما دَنَا مِنه أحدٌ إلَّا أبو بكرٍ شاهرًا بالسيفِ عَلَىٰ رَأْسِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يَهْوِي إليه أحدٌ إلَّا أهوىٰ إليه، فهذا أشجعُ النَّاسِ.

قال عَليٌّ: ولقد رأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَخَذَتْهُ قريشٌ، فهذا يجأه، وهذا يتلتله، وهم يقولونَ: أنتَ الذي جعلتَ الآلهةَ إلهًا واحدًا؟ قَالَ: فواللهِ ما دنا مِنَّا أحدٌ إلَّا أبو بكرٍ يَضْرِبُ هذا، ويجأ هذا، ويتلتِلُ هذا، وهو يقولُ: وَيلكُم! أَتقتُلُونَ رَجُلًا أن يقولَ: ربِّي اللهُ.

ثم رَفَعَ عليٌّ بُردَةً كانت عَلَيه، فبكَىٰ حَتَّىٰ اخضلَّت لِحيتُهُ، ثم قَالَ عليٌّ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ، أمؤمنُ آل فِرعونَ خَيرٌ أم أبو بكرٍ؟ فسَكَتَ القومُ، فقالَ: أَلَا تُجِيبُونِي؟! فواللهِ لساعةٌ من أبي بكرٍ خَيرٌ من مثلِ مؤمنِ آلِ فِرعونَ، ذاكَ رجُلٌ كَتَمَ إيمانَهُ، وهذا رجلٌ أعلنَ إيمانَهُ(١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَنْ صَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ حَسَّانَ:

---

(١) مختصر زوائد مسند البزار علىٰ الكتب الستة ومسند أحمد (٢/ ٢٨٣).

إذا تـذكَّرتَ شجوًا من أخي ثقةٍ فـاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
القائمَ الثانيَ المحمودَ مشهدُهُ وأوَّلَ الناس منهم صدَّقَ الرُّسُلا
خيرَ البريَّةِ أتقاها وأعدلها إلا النبيَّ وأوفاها بما حملا
بَرًّا حميدًا لأمر اللَّه متَّبِعًا بهدي بصاحبه الماضي وما انتقلا
وثانيَ اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذْ صعَّدوا الجبلا
وكان حِبَّ رسول اللَّه قد علموا من البريَّةِ لم يعدلْ به بدلا[(١)]

ومن فضائلِ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه ذُكر في القرآنِ في أكثر من آيةٍ تلميحًا، ومنه ما يكادُ أن يكون صريحًا، فمن ذلك: أنه الصدِّيقُ الذي صدَّقَ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما روى الطبري عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾[(٢)] قال: «الذي جاء بالصدقِ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾[(٣)]، قال: ذاك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(٤)].

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص٩٢) وأنساب الأشراف للبلاذري (١٠/ ٥٦).

(٢) [الزمر:٣٣].

(٣) [الزمر:٣٣].

(٤) تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (٢١/ ٢٩٠).

والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سمَّاه صدِّيقًا؛** كما في البخاري عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»(١). فالصديق: أبو بكر، والشهيدان: عمر وعثمان.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعت الأئمة علىٰ تسميته صديقًا»(٢).

وذكروا أنه سُمِّي بالصِّدِّيقِ بعد خبرِ الإسراء والمعراج، لشدةِ تصديقِه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَىٰ صَاحِبِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا:

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٥).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١).

نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»[١].

وأبو بكر هو صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سمَّاه الله صاحبًا، ولم يَصِفْ غيرَه بالصحبةِ في كتابه الكريم، قال تعالىٰ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[٢].

وقد أجمعَ العلماءُ علىٰ أنَّ المرادَ بالصاحبِ في هذه الآيةِ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: "مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٣/ ٦٥ ط العلمية) رقم (٤٤٠٧) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(٢) [التوبة:٤٠].

(٣) رواه البخاري (٤٦٦٣).

قال ابنُ حجر: « فإنّ المرادَ بصاحبِه: أبو بكرٍ بلا نزاع، لأنا نقولُ: لم يصحبْه في الغارِ سوىٰ أبي بكر »[(١)].

وأبو بكر هو الأتقى، الذي قال الله فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾[(٢)]. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: « الْأَتْقَىٰ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي قَوْلِ جَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ »[(٣)].

وأبو بكر هو العتيق، كما في الترمذي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ له: «**أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ**»، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا[(٤)].

ولكنّـــي أحـــبُّ بكـــلِّ قَلْبِـــي ... وأَعْلَـــمُ أن ذاك مـــن الصـــوابِ
رســـولَ الله والصِّـــدِّيقَ حبًّـــا ... بـــه أرجـــو غـــدًا حُسْـــنَ الثـــوابِ

وكان أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا حازمًا في مواطن الحزم، وقد ظهَرَ حزمُهُ عند وفاةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عند أنْ جَزِعَ من جَزِعَ من

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٨).

(٢) [الليل:١٧].

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٢).

(٤) سنن الترمذي (٣٦٧٩) وصحيح ابن حبان (٣١٩٩) ومستدرك الحاكم (٣٥٥٧) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٨٢).

الصحابةِ، فثبتَ أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتلا عليهم الآياتِ حتىٰ هدأَ روعُهم واستقرَّ الأمرُ في نفوسهم، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

وعند أنْ تولَّىٰ الخِلافة وارتدَّ من ارتدَّ من العرب ومنعوا الزكاة؛ قاتلهم أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولمَّا راجعه عمرُ في ذلك قال: «وَاللهِ لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يؤدُّونه إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»[١].

وأما كرَمُهُ وإنفاقُه في أبوابِ الخير: فمنذُ أسلم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سعىٰ في إعتاقِ العبيدِ وتحريرِهم، وحرَصَ علىٰ إنقاذِ المستضعفين من المؤمنين وتخليصِهم من الرقِّ والعذابِ الذي كانوا يُلاقونه في مكةَ علىٰ أيدي كفارِ قريش، ومنهم: بلالٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقد أعتقَه وأنقذَه، كما في سيرةِ ابن هشام: «أنَّ أُميّةَ ما زال يعذبُ بلالًا حَتَّىٰ

---

(١) رواه البخاري (٦٨٥٥) ومسلم (٢٠)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَوْمًا، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِأُمَيَّةِ بْنِ خَلَفٍ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟ حَتَّىٰ مَتَىٰ؟

قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَىٰ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَفْعَلُ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَىٰ، عَلَىٰ دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ، قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ. فَقَالَ: هُوَ لَكَ. فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ، وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ»[(١)]، وفي بعضِ الرواياتِ: «أنَّه اشتراه بأربعين أوقية ذهبية وأعتقه لوجهِ اللهِ سبحانه.

ثُمَّ أَعْتَقَ مَعَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ سِتَّ رِقَابٍ، بِلَالٌ سَابِعُهُمْ، وَأَعْتَقَ النَّهْدِيَّةَ وَبِنْتَهَا، وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا وَقَدْ بَعَثَتْهُمَا سَيِّدَتُهُمَا بِطَحِينٍ لَهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَاللّٰهِ لَا أُعْتِقُكُمَا أَبَدًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: حِلِّ يَا أُمَّ فُلَانٍ، - يُرِيد: تحلَّلي من يَمِينك وَاسْتثنىٰ فِيهَا - فَقَالَتْ: حِلَّ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتِقْهُمَا.

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٣١٨).

قَالَ: فَبِكَمْ هُمَا؟ قَالَتْ: بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُمَا وَهُمَا حُرَّتَانِ، أَرْجِعَا إِلَيْهَا طَحِينَهَا، قَالَتَا: أَوَنَفْرُغُ مِنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ نَرُدُّهُ إِلَيْهَا؟ قَالَ: وَذَلِكَ إِنْ شِئْتُمَا»(١).

حتىٰ إن أباه يومًا قال له: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَتِ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ، لله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ، وَفِيمَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾(٢) »(٣).

---

(١) سيرة ابن هشام - ت السقا (١/ ٣١٨).

(٢) [الليل:١٤-٢١].

(٣) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٣١٩).

ولقد ورد أنَّ أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنفق مالَه كلَّه في أكثر من مرةٍ، فعند هجرتِه مع النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جهَّزَ راحلتين، وأخذَ كلَّ ما بقي من مالِه، كما ورد عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كلَّه، وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةُ آلَافٍ، فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ»[١].

ولما نَدبَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الناسَ إلىٰ غزوةِ تبوك وحثَّهم علىٰ الصدقةِ جاء أبو بكرٍ بكلِّ مالِه صدقةً في سبيل الله، قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٤٨٨).

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا[١].

هكذا كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما وفاءُ أبي بكر؛ فقد كان في الوفاءِ مثلًا أعلىٰ، خصوصًا مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ففي هجرتِه مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت له أفعالٌ وأحوالٌ تدلُّ علىٰ وفائهِ وشدةِ حرصِه علىٰ سلامةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ علىٰ مستوىٰ شرب اللبن فقد كان يبدأُ بتجهيزِ الحليبِ وتبريدِه قبل أن يشربَه، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «انْطَلَقْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَىٰ كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَىٰ، فَحَلَبَ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨) والحاكم في المستدرك (١٥١٠) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٩٨٨).

اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً، عَلَىٰ فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ»(١).

وكان يحمي النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ من حرِّ الشمس؛ فعند قدومهم المدينة، خرج المسلمون فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ(٢)، وهذا يدلُّ علىٰ شدةِ وفائه، وعنايتِه بالنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما يدل علىٰ وفائه وخدمتِه للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرصِه الشديدِ علىٰ سلامتِه وراحتِه: أنه كان يحرصُ علىٰ تهيئةِ مكانِ

---

(١) رواه البخاري (٢٣٠٧) ومسلم (٢٠٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٦).

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ أنْ يجلسَ، ثم يُراقبُ المكان بعد نزول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، كما جاء في حديثِ الهجرةِ، عن البراءِ بنِ عازبٍ: «أنَّ أباه سألَ أبا بكرٍ عنْ الهجرةِ، فقال له: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ، أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَىٰ مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا...»[١].

صِدّيقُ أحمدَ صاحبُ الغارِ الذي ... هو في المَغارةِ والنبيّ اثنانِ

أعني أبا بكرٍ الذي لم يختلفْ ... من شرعِنا في فضلِه رجُلانِ

هو شيخُ أصحابِ النبيِّ وخيرُهم ... وإمامُهمْ حقًّا بلا بُطلانِ

وأبو المطهرةِ التي تنزيهُها ... قد جاءنا في النورِ والفرقانِ[٢]

(١) رواه البخاري (٣٦٥٢).

(٢) نونية القحطاني (ص/ ٢٧).

هذا ولم يختلفِ المسلمون في أنَّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يغِبْ عن مشهدٍ من المشاهدِ مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طوالِ حياةِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد شهدَ بدرًا، وأُحُدًا، والخندقَ، والحديبيةَ، والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفع رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَايَته العُظْمَىٰ يَوْم تبوك إِلَىٰ أَبِي بَكْر، وكانت سوداءَ، وأطعَمَه رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر مائةَ وسقٍ، وكان فيمن ثبتَ مَعَ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْم أُحُد ويومَ حُنين حين ولَّىٰ النَّاسُ(١).

قال ابن الأثير: «ولم يختلفْ أهلُ السيَر فِي أنَّ أبا بَكْر الصديق، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يتخلف عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مشهدٍ من مشاهدِهِ كلِّها»(٢).

ذاك الوفيُّ على الأحوالِ أجمعِها ... في السِّلمِ والحربِ والأفراحِ والحَزَنِ
ذاك المصدِّق للأخبارِ إنْ صدرتْ ... من قولِ أحمدَ في سرٍّ وفي علَنِ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: (٣/ ١/ ١٢٤).

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ط الفكر (٣/ ٢١٤).

ولا يختلفُ المسلمون أيضًا في أنَّ أبا بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أهلِ الجنَّةِ، بنصِّ قولِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حيثُ قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»[(١)]. وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهَ[(٢)].

وقد نُقِلَ الإجماعُ علىٰ أنَّ أبا بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو أعلمُ هذه الأمةِ بعد النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولذلك قال ابنُ تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: « وَقَدْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٩) والترمذي (٣٧٤٧) وابن ماجه (١٣٣) وأبو داود (٤٦٤٩) من حديث سعيد بن زيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠) من حديث سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٣٦٩٣) ومسلم (٢٤٠٣).

اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَحَكَىٰ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ»[(١)].

فأبو بكرٍ هو أعلمُ هذه الأمةِ بعد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك أمَّرَهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الحجِّ بعد فتحِ مكةَ وقبلَ حجةِ الوداعِ أرسلَه أميرًا علىٰ الناسِ في الحج، ولمَّا أرسلَ علياً بعدَه بالبراءةِ من عُهُودِ المشركين والكافرين، قال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟ فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَيَا، فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ»[(٢)].

وقدَّمَه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاةِ بالناسِ عند مرضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يقدِّمْ غيرَه، وقد قال عمر في يوم السقيفة: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ قَالُوا: نَعُوذُ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٣٧).

(٢) سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٥٤٦) وحسنه العلي صاحب كتاب صحيح السيرة النبوية (ص/ ٤٩٨) وذكر تخريجه في الحاشية.

بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ»(١)، فبايعوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم اختلفوا في مكانِ دفنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرهم أبو بكرٍ بأن النَّبِيَّ لَا يُحَوَّلُ عَنْ مَكَانِهِ، وإنما يُدْفَنُ حَيْثُ يَمُوتُ، كما في حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَهُ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ. فَنَحَّوْا فِرَاشَهُ، وَحَفَرُوا لَهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ(٢).

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقرأ الصحابةِ وأوعاهم لحديثِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قَالَ ابْن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ الصّديقُ أَقرَأَ الصَّحَابَة، أَي: أعلمهم بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدَّمَه

---

(١) رواه أحمد (١٣٣) والنسائي (٧٧٧) وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٧٤٩) وحسنه شعيب في تحقيق المسند (١٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مسند أحمد (٢٧) وسنن الترمذي (١٠١٨) ومسند أبي بكر المروزي (٤٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٢٢)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٥٧٣). وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع (٥٦٠٥).

إِمَامًا للصَّلَاة بالصحابة مَعَ قَوْله: «**يؤم الْقَوْم أقرؤهم لكتاب الله**»، وَكَانَ مَعَ ذَلِك أعلمهم بِالسنةِ، كلما رَجَعَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي غيرِ مَوضِعٍ يبرزُ عَلَيْهِم بِنَقْل سنَنٍ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحفظها ويستحضرها عِنْد الْحَاجة إِلَيْهَا لَيست عِنْدهم، وَكَيف لَا يكون كَذَلِك وَقد واظب صُحْبَة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أول الْبعْثَةِ إِلَىٰ الْوَفَاةِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِك من أزكىٰ عباد الله وأفضلِهم، وَإِنَّمَا لم يُروَ عنه من الْأَحَادِيث إِلَّا الْقَلِيل لقصرِ مدَّتِه وَسُرْعَةِ وَفَاته بعد النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَّا فَلَو طَالَتْ مدَّتُه لكثُر ذَلِك عَنهُ جدًّا وَلم يتْرك الناقلون عَنهُ حَدِيثا إِلَّا نقلوه، وَلَكِن كَانَ الَّذِي فِي زَمَانه من الصَّحَابَة لَا يحْتَاج أحدٌ مِنْهُم أَن ينْقل عَنهُ مَا قد شَاركهُ هُوَ فِي رِوَايَته فَكَانُوا ينقلون عَنهُ مَا لَيْسَ عِنْدهم[١].

وقد كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشارَ في حياتِه إلىٰ أحقيّةِ أبي بكر بالخلافةِ في أحوالٍ كثيرة، منها تقديمُه في الصلاةِ، ومنها ما رواه أحمدُ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الصواعق المحرقة علىٰ أهل الرفض والضلال والزندقة للهيتمي (١/ ٤٨).

جُلُوسًا فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي - وَأَشَارَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ - وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ عَمَّارٍ، وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ»(١).

وفي صحيح البخاري عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»(٢).

وفي قولِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، قَالَ الْعلمَاء: فِي هَذَا الحَدِيث أوضح دلَالَة علىٰ أَن الصّديق أفضلُ الصَّحَابَةِ علىٰ الْإِطْلَاقِ وأحقُّهم بالخلافةِ وأولاهم بِالْإِمَامَةِ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٧٦) وابن ماجه (٩٧) والترمذي (٣٦٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١١).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٩٤).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص/ ٥٢)، والصواعق المحرقة للهيتمي (١/ ٦٠)، والحديث رواه البخاري (٦٦٤) ومسلم (٤١٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

ففي هذه الأدلةِ - وغيرها الكثير - إشارةٌ إلىٰ خلافةِ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد أجمعَ الصحابةُ علىٰ أحقيتِه بالخلافةِ، كما قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اضْطربَ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَمْ يَجِدُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَوَلَّوْهُ رِقَابَهُمْ»[١].

ولما تولىٰ الخلافةَ قامَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذلك المقامَ الشهيرَ، وخطبَ تلك الخطبةَ الشهيرةَ المختصرةَ التي توجِزُ مقصِدَه وسيرتَه في الخلافة، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه بما هو أهلُه، ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ ضَعُفْتُ فَقَوِّمُونِي، وَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، الضَّعِيفُ فِيكُمُ الْقَوِيُّ عِنْدِي حَتَّىٰ أُزِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّىٰ آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالْفَقْرِ، وَلَا ظَهَرَتْ

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٣٤).

- أَوْ قَالَ: شَاعَتِ - الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّمَهُمُ الْبَلَاءُ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، قُومُوا إِلَىٰ صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ» (١).

ومن خيريةِ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه استفتحَ خلافتَه بتنفيذِ أوامرِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد عقَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبيلَ وفاتِه لواءً لأسامةَ بنِ زيد، وأرسلَه غازيًا، فلما ماتَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستتبَّ الأمرُ للصديقِ بإجماعِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أرادَ أبو بكرٍ أنْ يُنفذَ هذا الجيش، وأنْ يواصلَ هذا الغزو، فرأىٰ بعضُ الناسِ أنْ يؤخرَه قليلًا، أو أنْ يَحُلَّ اللواء، فكان موقفُ أبي بكرٍ إنفاذَ ذلك الجيشِ تنفيذًا لأوامر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يستجبْ لأيِّ رأيٍ يُخالفُ أمرَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَوْ خَطَّفَتْنِي الْكِلابُ وَالذِّئَابُ لَمْ أَرُدَّ قَضَاءً قَضَىٰ به رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي روايةٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السِّبَاعَ تَخَطَّفُنِي لأَنْفَذْتُ بَعْثَ أُسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ

(١) الجامع - معمر بن راشد (١١/ ٣٣٦)، وموطأ مالك (٦٣١) ومصنف عبد الرزاق (٢١٧٧٧).

رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَىٰ غَيْرِي لأَنْفَذْتُه»(١).

فخرج ذلك الجيشُ، وتراجعَ بعضُ من كان يُكنُّ في نفسِه أنْ يُحدِثَ شيئًا ضدَّ المسلمين، ولذلك قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَسَارَ جيشُ أسامةَ وَأَوْقَعَ بِقَبَائِلَ مِنْ نَاسِ قُضَاعَةَ الَّتِي ارْتَدَّتْ، وَغَنِمَ وَعَادَ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: سَبْعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ إِنْفَاذُ جَيْشِ أُسَامَةَ أَعْظَمَ الْأُمُورِ نَفْعًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَالُوا: لَوْ لَمْ يَكُنْ بِهِمْ قُوَّةٌ لَمَا أَرْسَلُوا هَذَا الْجَيْشَ، فَكَفُّوا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلُوهُ »(٢).

عباد الله: إنَّ مما يُرفَعُ به الشخصُ في الدنيا والآخرة: اتباعُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعملُ بسنتِه، وإذا تأمَّلنا في سيرةِ أبي بكرٍ الصديقِ رأينا من ذلك عِظةً وعبرةً تؤكد هذا المعنىٰ في النفوس وتُقرِّرُه.

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٦) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٤٩).

(٢) الكامل في التاريخ - ت تدمري (٢/ ١٩٦).

فأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان عنده استجابةٌ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليس لها مثيلٌ في الصحابةِ ولا مَن بَعدَهم في جميعِ الأحوال؛ في الشدةِ والرخاء، في الخوفِ والأمنِ، في العسرِ واليسرِ، في المنشطِ والمَكرَه، ويدلُّ علىٰ هذا أمثلةٌ كثيرة من مواقفِه وسيرتهِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ ومنها أنهم لما رجعوا من غزوةِ أُحُد، وفيهم ما فيهم من الجراحِ أراد النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنْ يتبَعَ كفارَ قريش حتىٰ لا يُفكِّروا بالرجوعِ إلىٰ المدينةِ، انتدبَ سبعون فيهم أبو بكر وعمر، وفي ذلك جاء عن عروةَ بنِ الزبيرِ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «أَبَوَاكَ وَاللهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، تَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرَ»[١]. فكان أبو بكرٍ لا يُقَدِّم بين يدي كلامِ الله وكلامِ رسولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمراً، ولا قولًا، ولا رأيًا، وهذا من أسبابِ رفعتِه وفلاحِه وعِزِّه وخيريتِه وتقدُّمِه علىٰ غيرِه من الناسِ في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٨).

فمن أراد الرفعةَ والنجاح، والعزةَ والفلاح؛ فعليهِ باتباعِ سنةِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وتعظيمِها والعملِ بما بلغَه منها قدرَ المُستطاع، فإنَّ في ذلك خيرًا له في الدنيا والآخرة.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحكمة، قلت ما سمعتم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم وللمسلمين والمسلمات من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ اللهُ وسلم علىٰ أفضل المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد: فإن فضائل الصديق كثيرة، ومناقبه مستفيضة شهيرة، ولا يسع المقامُ لسرد فضائله، والتفصيلِ في شمائله، كما قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومناقب الصديقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يمكنُ استقصاؤها ولا الإحاطةُ بعُشرِ مِعشارِها [١]. ولكن ما لا يدركُ كلُّه لا يُتركُ جُلُّه، ويكفي من القلادةِ ما أحاطَ بالعنق، وقد حان وقتُ ذكرِ وفاتِه ومرضه قبل موته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

كان أوّلُ بَدْءِ مرض أبي بكرٍ أنّه اغتسلَ يومَ الاثنينِ لسبعٍ خلونَ من جمادىٰ الآخرةِ، وكان يومًا باردًا، فحُمّ خمسةَ عشرَ يومًا لا يخرجُ إلىٰ صلاةٍ، وكان يأمرُ عمرَ بنَ الخطّابِ أنْ يصلّيَ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨٩).

بالنّاس، ويَدْخُلُ النّاسُ عليه يعودونه وهو يثقُل كلّ يومٍ، وكان عثمان ألْزَمَهُم له في مرضِه(١).

وجاءت عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إلىٰ أبي بكرٍ وهو يعالجُ ما يُعالجُ الميّتُ ونفَسُه في صدره فتمثّلتْ هذا البيت:

لعمرُك ما يُغْنى الثراءُ عن الفَتى ... إذا حشرَجتْ يومًا وضاقَ بها الصدرُ

فنظر إليها كالغضبان ثمّ قال: ليس كذاك يا أمّ المؤمنين ولكن: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾(٢)، إني قد كنتُ نَحَلْتُكِ حائطًا وإنّ في نفسي منه شيئًا فرُدّيه إلىٰ الميراثِ، قالت: نعم فرددتُه، فقال: أما إنّا منذ وَلِينا أمرَ المسلمين لم نأكلْ لهم دينارًا ولا درهمًا ولكنّا قد أكلنا من جَريشِ طعامِهم في بطونِنا ولبسنا من خَشِنِ ثيابِهم علىٰ ظهورِنا وليس عندنا من فيءِ المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلّا هذا العبدَ الحبَشيّ وهذا البعيرَ الناضحَ وجَرْدَ هذه القطيفةِ فإذا مِتّ فابْعثي بهنّ إلىٰ عمرَ وابْرَئي منهنّ. قالت: ففعلتُ.

---

(١) الطبقات الكبير (٣/ ١٨٥ ط الخانجي).

(٢) [ق:١٩].

فلمّا جاء الرسولُ إلىٰ عمرَ بكىٰ حتَّىٰ جعلتْ دموعه تسيلُ في الأرضِ، وجعل يقول: رحم اللهُ أبا بكرٍ لقد أتْعَبَ من بعدَه، رحم اللهُ أبا بكرٍ لقد أتعبَ مَن بعدَه، يا غلامُ ارفعهنّ(١).

ذاك رفيقُ المصطفى في الغار شيخُ المهاجرين والأنصار

ورُوي عن عائشةَ أنَّ أبا بكر قال لها: في أيّ يومٍ ماتَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: «في يوم الاثنين، قال: ما شاء الله، إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيمَ كَفَّنْتُمُوه؟ قالت: في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُوليّة يَمانِيَة ليس فيها قميصٌ ولا عِمامَة، فقال أبو بكر: انْظُري ثَوْبي هذا فيه رَدْعُ زَعْفَرَان أو مِشْقٍ فاغسليهِ واجعلي معه ثوبين آخَرين، فقالت عائشة: يا أبتِ هو خَلَقٌ، فقال: إنّ الحيَّ أحقُّ بالجديدِ وإنّما هو للمُهْلة» (٢).

وفي رواية أنها قالت: «يا أبتاه قد رزقَ اللهُ وأحسن، نُكفِّنُك في الجديدِ، قال: إنَّ الحيَّ هو أحوجُ يصونُ نفسَه ويقنعها من الميت، إنما يصيرُ إلىٰ الصديدِ وإلىٰ البلىٰ».

---

(١) الطبقات الكبير (٣/ ١٧٩ ط الخانجي).

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٨٥ ط الخانجي).

وأقبل الناس يُعزُّون ويُثنون خيراً، ومنهم عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، كما روي عَنْ أُسَيْدِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: لَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَحِمَهُٱللَّهُ، وَسُجِّيَ عَلَيْهِ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ بِالْبُكَاءِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ: وَدُهِشَ النَّاسُ كَيَوْمِ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُٱللَّهُ بَاكِيًا مُسْرِعًا مُسْتَرْجِعًا، وقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، كُنْتَ إِلْفَ رَسُولِ اللهِ، وَأُنْسَه وَمُسْتَرَاحَه، وَمَوْضِعًا لِسِرِّهِ وَمُشَاوَرَتِهِ، وَأَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا، وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا، وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ، وَأَعْظَمَهُمْ غِنًىٰ فِي دِينِ اللهِ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَأَحْدَبَهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَيْمَنَهُمْ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَأَحْسَنَهُمْ صُحْبَةً، وَأَكْثَرَهُمْ مَنَاقِبًا، وَأَرْفَعَهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبَهُمْ وَسِيلَةً، وَأَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ هَدْيًا وَسَيْفًا، دَرَجَةً وَفَضْلًا، وَأَوْثَقَهُمْ عِنْدَهُ فَجَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا، وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خَيْرًا، صَدَّقْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ، فَسَمَّاكَ اللهُ فِي تَنْزِيلِهِ صَدِّيقًا فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[1]، وَوَاسَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حِينَ تَخَلَّوْا،

---

(١) [الزمر:٣٣].

وَقُمْتَ مَعَهُ عِنْدَ الْمَكَارِهِ حِينَ عَنْهُ قَعَدُوا، وَصَحِبْتَهُ فِي الشِّدَّةِ أَكْرَمَ الصُّحْبَةِ، ثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ، وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَرَفِيقُهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَخَلَفْتَهُ فِي دِينِ اللهِ وَأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ حِينَ ارْتَدَّ النَّاسُ، وَقُمْتَ بِالْأَمْرِ مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ خَلِيفَةُ نَبِيٍّ، قَوِيتَ حِينَ ضَعُفَ أَصْحَابُكَ، وَنَهَضْتَ حِينَ وَهَنُوا، وَلَزِمْتَ مِنْهَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ هَمُّوا... كُنْتَ وَاللهِ لِلدِّينِ يَعْسُوبًا أَوَّلًا حِينَ نَفَرَ عَنْهُ النَّاسُ، وَأَخِيرًا حِينَ أَقْبَلُوا، كُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبًا رَحِيمًا إِذْ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالًا، فَحَمَلْتَ أثقالَ مَا عَنْهُ ضَعُفُوا، وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا، وَحَفِظْتَ مَا أَضَاعُوا لِعِلْمِكَ بِمَا جَهِلُوا، شَمَّرْتَ إِذْ خَنَعُوا، وكُنْتَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَذَابًا صَبًّا، وَلِلْمُسْلِمِينَ غَيْثًا وَخِصْبًا، لَمْ تَفلَلْ حُجَّتُكَ، وَلَمْ تَضْعُفْ نُصْرَتُكَ، وَلَمْ تَخْتَرْ نَفْسَكَ، وَلَمْ يَزِغْ قَلْبُكَ، كُنْتَ كَمَا الْجَبَلِ، فَلَا تُحَرِّكُهُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْقَوَاصِفُ، كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِكَ وَذَاتِ يَدِكَ**... فَسَبَقْتَ وَاللهِ سَبْقًا بَعِيدًا، وَأَتْعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ إِتْعَابًا شَدِيدًا، وَفُزْتَ بِالْحَقِّ فَوْزًا مُبِينًا، فَجَلَلْتَ



عَنِ الْبُكَاءِ، وَعَظُمَتْ رُزْيَتُكَ فِي السَّمَاءِ، وَهَدَّتْ مُصِيبَتُكَ الْأَنَامَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ، فَوَاللهِ لَنْ يُصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا، كُنْتَ لِلدِّينِ عِزًّا وَحِرْزًا وَكَهْفًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ فَيْئًا وَحِصْنًا وَغَيْثًا، فَأَلْحَقَكَ اللهُ بِمِيتَةِ نَبِيِّكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا أَحْرَمَنَا اللهُ أَجْرَكَ، وَلَا أَضَلَّنَا بَعْدَكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». قَالَ: فَسَكَتَ النَّاسُ حَتَّىٰ انْقَضَىٰ كَلَامُهُ، ثُمَّ بَكَوْا عَلَيْهِ حَتَّىٰ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَقَالُوا: صَدَقْتَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وأوصىٰ أبو بكر عائشةَ أن يُدْفَنَ إلىٰ جَنْبِ رسول اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمّا تُوفِّي حُفر له وجُعل رأسُه عند كَتِفَي رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُلصِقَ اللّحدُ بقبرِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقُبر هناك[٢].

(١) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢٨٧) ومسند البزار (٣/ ١٣٨) والشريعة للآجري (٥/ ٢٣٤٣).

(٢) الطبقات الكبير (٣/ ١٩٢ ط الخانجي).

عبادَ الله: تلك نُـبَـذٌ من حياةِ الصديق، وشيءٌ من سيرتِه، التي ينبغي لكلِّ مسلمٍ أنْ يعلَمها وأنْ يطَّلعَ عليها وأنْ يفهمَها وأنْ يعملَ بما استطاع من تلك الخلال والشمائلِ التي فيها الصلاحُ والنجاحُ والمروءةُ التامّةُ، والشهامةُ الوافيةُ، والأخلاقُ العاليةُ، والتنسكُ الذي ينفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرة، ذلك أبو بكرٍ خيرُ الناس بعد الأنبياءِ والمرسلين، الذي يُشرعُ الاقتداء به وتجبُ محبته وتوقيرُه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وجمعنا به في جناتِ النعيم.

هذا وصلُّوا وسلموا علىٰ نبيكم محمد، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، فقد أمركم بذلك ربكم في محكم تنزيله، فقال قولاً كريمـًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1].

اللهم صلِّ وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأزواجه وذريته، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين والتابعين

---

(١) [الأحزاب:٥٦].

ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك المؤمنين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الدين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبادك الصالحين.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين، اللهم اجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم إنا نعوذ بك الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، واغفر لنا ولوالدينا أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[١].



(١) [الصافات:١٨٠-١٨٢].



٨- خطبة جمعة بعنوان/

فضلُ القناعةِ وأسبابُ اكتسابِها

الحمدُ للهِ الذي يُعطي من يشاءُ ويَمنع، ويَخفضُ من يشاءُ من عباده ويَرفع، أحمدُه حمدَ مُسَلِّمٍ لجميعِ قضائه، شاكرٍ وقانعٍ بجميعِ عطائه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، يفعلُ مَا يَشَاء وَيحكم بِمَا يُرِيد، مَن حكم بشقاوته فَذَاك الشقيُّ وَمن قضىٰ بسعادته فَذَاك السعيد، يُعْطي الْعَطاء فَلَا يمانعه مَانع، ويقْضِي الْقَضَاء فَلَا يدافعه دَافع، إن أعطىٰ فبفضلِه ورحمتِه ونعمتِه، وإنْ منعَ أو عاقبَ فبعدله وحكمتِه.

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ ... كلا ولا سعيٌ لديه ضائعُ

إن عُذِّبُوا فبعدلِه، أو نُعِّموا ... فبفضله، وهو الكريم الواسعُ

وهو الملِكُ لا شريكَ له، والفردُ فلا نِدَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا صاحبةَ ولا ولدَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له ولا سميَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه، وكلُّ ملكٍ زائلٌ إلا مُلكَه، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضلَه، لن يُطاعَ إلا بإذنه ورحمتِه، ولن يُعصىٰ

إلا بعلمِه وحكمتِه، يطاعُ فيشكُرُ، ويُعصىٰ فيتجاوزُ ويغفِرُ، فله الحمدُ دائبًا، وله الشكرُ واصبًا، لا إلهَ إلا هو ربُّ العرشِ العظيم.

وأشهدُ أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من خلقه، وأمينُه علىٰ وحيه، وسفيُره بينه وبين عباده. أرسله اللهُ رحمةً للعالَمين، وقدوةً للعامِلين، ومحجّةً للسالكين، وحُجّةً علىٰ العباد أجمعين.

وأوفــر كــلِّ خلْــقِ الله حظًّــا مــن الإكــرام خــيرُ المرســلينَ
فصــلى الله ربـي كــلَّ حــينِ علــى المختــار خــير العــالمينَ

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

عبادَ الله: حديثُنا اليومَ عنِ حقيقةِ الغِنىٰ وعنِ الكنزِ الذي لا يفنىٰ، والعطاءِ الذي لا يَنفدُ، والعزِّ الذي لا يُقهر، عن خُلقٍ من أخلاقِ المؤمنين، وسجيةٍ من سجايا المتقين، من اتصف بهذا الخلقِ وتحلَّىٰ بهذه الصفةِ فإنه يَغنىٰ بغيرِ مال، ويَعِزُّ بغيرِ جاه، ويَقوىٰ بغيرِ عشيرة، ويسودُ بغيرِ منصب.

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

إنها صفةُ القناعةِ، التي من اتصفَ بها فإنه أغنىٰ الناسِ، كما صحَّ في الخبر، عن خيرِ البشر، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ»(١).

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القناعةُ مالٌ لا نفادَ له»(٢).

وقال سعد بنُ أبي وقاصٍ لابنه: «يا بني: إذا طلبتَ الغِنىٰ فاطلبْه بالقناعةِ، فإنها مالٌ لا ينفد؛ وإياك والطمعَ فإنه فقرٌ حاضر؛ وعليك باليأس، فإنك لم تيأسْ من شيء قطّ إلا أغناك اللهُ عنه» (٣).

ومن كلام الحكماء: من قنِعَ كان غنيًّا وإن كان مقترًا، ومن لم يقنعْ كان فقيرًا وإن كان مُكثرًا. عزَّ من قنِع، وذلَّ من طمِع. ومن قنع طابَ عيشُه، ومن طمعَ طال طيشُه.

ومن اتصفَ بالقناعة تيسَّر له أنْ يَشكرَ اللهَ سبحانه، ومن لم يقنعْ فيصعبُ عليه أنْ يكونَ شكورًا، وكيف سيشكرُ ربَّه من لم يقنعْ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٩٥) والترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ١٦٩)..

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ١٦٩).

بعطائه، ولم يرضَ بما قسم له، فأهلُ القناعةِ هم أشكرُ الناسِ لربِّهم، ويدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ**»(١).

وفي القناعةِ الاستغناءُ عن الخلقِ، وفي الاستغناءِ عن الخلقِ عزُّ النفسِ وإكرامُها، كما في حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»(٢). فمن كان قانعًا بما أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يعيشُ في راحةِ بال وعزٍّ وغنىٰ، لا يتطلعُ إلىٰ ما في أيدي الخلق، ولا يبحثُ عمّا لا يمكنُ الوصولُ إليه، وقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧) والطبراني في مسند الشاميين (٣٤٠٨) والبيهقي في الشعب (٥٧٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) والحاكم في المستدرك (٧٩٢١) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦٥٦١) والنسائي في الكبرىٰ (٥٥٣٨) والطبراني في الكبير (١٤٤٢٧) عن ابن عمرو وزيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥١١١).

وقال ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواجبُ علىٰ العاقلِ تركُ الطمعِ إلىٰ الناسِ كافةً، إذ الطمعُ فيما لا يشكُّ في وجودِه فقرٌ حاضر، فكيف بما أنت شاكٌّ في وجودِه أو عدَمِه، ولقد أحسن الذي يقول:

لأجعلنَّ سبيلَ اليأسِ لي سُبلا ... مَا عشتُ منك ودارَ الهمِّ أوطانًا

والصبرَ أجعلُه غرمًا أنالُ به ... في الناسِ قُربًا وعند اللّهِ رضوانًا

فالنفسُ قانعةٌ والأرضُ واسعةٌ ... والدارُ جامعةٌ مثنى ووحدانا[(١)]

ومن قنِعَ بما أُعطِيَ فإنه يعيشُ حياةً طيبةً لا هَمَّ فيها ولا نكَد، ولا بغيَ علىٰ الآخرين ولا حسَد، وقد ذكروا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[(٢)]. عَن مُحَمَّد بْن كعب القرظي أنَّ الحياةَ الطيبةَ هي القناعة[(٣)].

وقد أخبر النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ طِيبَ النفس من النعيمِ العاجل، والسرورِ الكامل، والخيرِ المتواصل، كما روىٰ مُعَاذُ بْنُ

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٤١).

(٢) [النحل:٩٧].

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ص/ ١٥٣).

عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ، فَطَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ! قَالَ: «**أَجَلْ**» قَالَ: ثُمَّ خَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا بَأْسَ بِالْغِنَىٰ لِمَنْ اتَّقَىٰ اللهَ، وَالصِّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَىٰ اللهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَىٰ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ**» [(١)]. ولا يتأتَّىٰ طِيبُ النفسِ إلا بالقناعةِ والرضا، والتسليمِ لما قدَّرَ ربُّنا وقضىٰ.

ومن رُزق القناعة فقد أَفلح وهُدي، وطابَ عيشُه وكُفي، فالقناعةُ عطاءٌ عظيم، ذُكرَ مع الإسلامِ في المدحِ والتكريم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[(٢)].

وبالقناعةِ يَطيبُ العيشُ في الدنيا، والقانعون مُبَشَّرون بالنعيم في الآخرة، كما جاء في حديثِ فَضالةَ بنِ عُبَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣١٥٨) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠١) وابن ماجه في السنن (٢١٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٨٢) وذكر أن اسم الصحابي الذي روىٰ الحديث يسار بن عبيد.

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤).



صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ للإِسْلامِ، وكانَ عَيْشُهُ كَفافًا وقَنِعَ»(١). فطوبىٰ له: أي ما أطيبَ عيشَه دُنيا وأُخرىٰ، ولا ترغيبَ في الكفافِ كهذا، وإياك والفضولَ إياك، ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ﴾(٢) الآية (٣).

ومن مَلَك الضرورياتِ من قوتِ يومِه وعافيةِ بدنِه وسلامةِ وطنِه وأمنِه في سكَنِه مع القناعة فإنه من ملوك الدنيا، بل كأنما ملك الدنيا بأجمعها، كما صح في الآثار عن النبي المختار، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَن أَصبَحَ آمِنًا فِي سِربِهِ مُعافًى فِي جَسَدِه عِندَّهُ طَعامُ يَومِه فَكأَنَّما حِيزَتْ لَهُ الدُّنيا»(٤).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٤) والنسائي في السنن الكبرىٰ (١١٧٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣١).

(٢) [التوبة:٨٥].

(٣) حدائق الأولياء لابن الملقن الأندلسي (١/ ٥٣٩).

(٤) الأدب المفرد للبخاري (٣٠٠) وسنن ابن ماجه (٤١٤١) وسنن الترمذي (٢٥٠٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقوله: في سربه: المشهور كسر السين أي: في نفسه، وقيل: السرب الجماعة فالمعنىٰ: في أهله وعياله، وقيل: بفتح السين أي: في مسلكه وطريقه، وقيل: بفتحتين أي: في بيته.

فلماذا التسخط والجشع؟ ولماذا التذمرُ والطمع؟ ولماذا التشكي والهلَع؟ وأنت آمِنٌ في نفسِك ومالِك وأهلِك، معافىً في بدنك، عندك قوتُ يومِك، بل قوتُ عامٍ أو يزيد..

ومن فضائل القناعةِ أنها سببٌ للزهدِ في الدنيا، والزهدُ الشرعيُّ فيها سببٌ لنيلِ محبةِ الله، كما أخبر بذلك رسول الله، في حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ، إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ**»[(١)].

فهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ الله يحبُّ الزاهدين في الدنيا، والمذمومُ من حبِّ الدنيا هو تقديمُها على الآخرة وشدةُ التعلقِ بها، إذِ الدنيا ضِرةُ الآخرة، أما السعيُ فيها بالحلالِ بدون تعلقِ القلبِ بها فليس فيه حرجٌ ولا ضرر، إذ العبرةِ بما في القلبِ وليس

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) والطبراني في الكبير (٥٩٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٨٧٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.



بما في اليدِ منها، وقد ذمَّ الله تعالىٰ من يُحبُّ الدُّنيا ويؤثِرُها علىٰ الآخرة، كما قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾[(١)]، وقال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾[(٣)]، والمرادُ حبُّ المال، فإذا ذمَّ من آثرَ وأحبَّ الدُّنيا دلَّ علىٰ مدحِ مَنْ لا يحبُّها ويُؤثرُها علىٰ الحياةِ الأخرىٰ، بل يرفُضها ويترُكُها، وفي بعضِ الآثار: من أحبَّ دُنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرتَه، أضرَّ بدُنياه، فآثروا ما يَبقىٰ علىٰ ما يَفنىٰ[(٤)].

والقناعة سببٌ لنيلِ مرضاةِ اللهِ سبحانه، حيثُ من اتصفَ بالقناعةِ فإنه يرضىٰ بما أعطاه الله وقدَّر له، ومن رضيَ بقضاءِ الله وعطائه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما دلَّ عليه حديثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ

---

(١) [القيامة:٢٠-٢١].

(٢) [الفجر:٢٠].

(٣) [العاديات:٨].

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠٢ ت الأرنؤوط) بتصرف يسير.

إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[١]. فمَن عدِم القناعة ازداد تسخّطُه وقلقُه، وحُرِمَ الرضا بما رزقه الله وآتاه، وحينئذ لا يُرضيه طعام يُشبعه، ولا لباسٌ يُواريه، ولا مركبٌ يحملُه، ولا مسكنٌ يُؤويه؛ وفي الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ»[٢]. فالذي لا يقنعُ تراه يَبحثُ عن المالِ في كل مكان، وربما يخلطُ بين الحلالِ والحرامِ، بل ربما كان مالُه كلُّه من الحرامِ لأنه لا يقتنعُ بما هو حلال، فمن فوائد القناعةِ: البُعدُ عن الحرام، إذِ الطمعُ والجشعُ يدفعانِ العبدَ إلىٰ الاستكثار من المال والتوسع في الدنيا.

وقليلُ المالِ من حلالٍ خير من الكثرةِ من حرامٍ، وفي شعر أبي العتاهية:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣١) والترمذي (٢٥٥٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠).

(٢) صحيح مسلم (١٠٤٨) والبخاري (٦٠٧٢) من حديث ابن عباس.

رَغِيـفُ خُبْـزٍ يـابسٍ ... تَأكُلُـهُ فـي زاوِيَـهْ
وكُـوزُ مَـاءٍ بـارِدٍ ... تَشْـرَبُه مِـن صَـافِيَهْ
وغُرْفَـةٌ ضَـيِّقَةٌ ... نَفْسُـك فِيهـا خالِيَـهْ
أوْ مَسْـجِدٌ بِمَعْـزِلٍ ... عـن الـوَرَى في نَاحِيَـهْ
تَـدْرُسُ فِيـه دَفْتَـرًا ... مُسْـتَنِدًا لِسَـارِيَهْ
مُعْتَـبِرًا بِمَـنْ مَضَـى ... مِـن القُـرونِ الخَالِيَـهْ
خَـيرٌ مِـن السَّـاعَاتِ في ... فَـيْءِ القُصُـورِ العَالِيَـهْ
تَعْقِبُهَـا عُقُوبَـةٌ ... تُصْـلَى بِنَـارٍ حَامِيَـهْ

وكسبُ المالِ بإشرافٍ وطمعٍ يُذهبُ بركتَه، ويَمحقُ فائدته، ومع القناعةِ والسخاء، تكون البركة والنماء، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» (١). ومعناه: من أخذَ المال بغير سؤالٍ ولا إشرافٍ ولا تطلُّعٍ بورك له فيه، ومن أخذه بجشَعٍ وتطلعٍ لم يُبارك له فيه، وقوله: (بإشراف نفس) قال

(١) رواه البخاري (١٤٠٣) ومسلم (١٠٣٥) عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

العلماء: إشرافُ النفسِ تطلُّعُها إليه وتعرُّضُها له وطمعُها فيه.

(كالذي يأكلُ ولا يشبع) قيل: هو الذي به داءٌ لا يشبعُ بسببِه [١].

والغنىٰ الحقيقي هو غنىٰ النفس، كما دلَّ عليه حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**» [٢]. وغنىٰ النفسِ هو القناعة.

قال ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القناعةُ تكونُ بالقلب، فمن غنيَ قلبُه غنيت يداه، ومن افتقر قلبُه لم ينفعْه غناه، ومن قنِع لم يتسخطْ وعاشَ آمنًا مطمئنًا.

غنى النفسِ يُغني النفسَ حتى يُعفَّها ... وإنْ مسَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
وما شدةٌ فاصبرْ لها إنْ لقيتَها ... بدائمةٍ إلا سيتبعُها يسرُ [٣]

وقد حاربَ الإسلامُ الأمورَ التي تُنافي القناعةَ وتناقضها، مثل سؤالِ الناسِ لغير ضرورةٍ، بل إنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ البيعة

---

(١) تعليق محمد فؤاد عبد الباقي علىٰ صحيح مسلم حديث رقم (١٠٣٥) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (١٠٥١).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٥١).



علىٰ بعضِ أصحابه أنْ لا يسألوا الناس شيئًا، كما في حديث ثوبان مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي وَاحِدَةً وَأَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ؟» قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا» قَالَ: فَكَانَ سَوْطُ ثَوْبَانَ يَسْقُطُ وَهُوَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، فَيُنِيخُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ، وَمَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: نَاوِلْنِيهِ[(١)].

وفي البخاري عن ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ما يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمَ القِيامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحمٍ»[(٢)].

وكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثُّ علىٰ الكسبِ وتركِ الاتّكال، حتىٰ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ فَيَجِيءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٠٥) وابن ماجه (١٨٣٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨١٣).

(٢) صحيح البخاري (١٤٧٤).

(٣) رواه البخاري (١٩٦٨) وابن ماجه (١٩٦٨) واللفظ له. عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ**»(١). و(الفقرُ المُدقع): هو الشديدُ الملصقُ صاحبَه بـ(الدقعاء): وهي الأرضُ التي لا نباتَ بها.

و(الغُرْم): هو ما يلزم أداؤه تكلفًا لا في مقابلةِ عِوضٍ.

و(المُفظع): هو الشديد الشنيع.

و(ذو الدم الموجِع): هو الذي يتحمل ديةً عن قريبِه أو حميمِه أو نسيبِه القاتلِ يدفعُها إلىٰ أولياءِ المقتولِ، ولو لم يفعلْ قُتل قريبُه أو حميمُه الذي يتوجَّعُ لقتلِه(٢).

عباد الله: القناعةُ مِن أكثرِ مواهبِ اللهِ لعبادِه وأعظمِها نفعًا، وليس شيءٌ أروح للبدنِ من الرضا بالقضاء والثقةِ بالقسم، ولو لم يكن في القناعةِ خصلةٌ تُحمد إلا الراحةُ وعدمُ الدخولِ في مواضعِ السوء لِطَلَبِ الفضلِ لكانَ الواجبُ علىٰ العاقلِ ألا يفارقَ القناعةَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٩٨) وأبو داود (١٦٤١) وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣٤).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٠٥).

علىٰ حالةٍ من الأحوال. عن مُحَمَّد بْن المنكدر قَالَ: « القناعةُ مالٌ لا يَنفد ».

وإنَّ مَن عدِم القناعةَ لم يزدْه المالُ غنىٰ، فالمال القليلُ مع قلةِ الهم أهنأ من الكثير ذي التبِعَةِ، والعاقل ينتقمُ من الحرصِ بالقنوع كما ينتصرُ من العدو بالقصاص؛ لأنَّ السببَ المانعَ رزقَ العاقلِ هو السببُ الجالبُ رزقَ الجاهل.

إذا المرء لم يقنعْ بعيشٍ فإنه	وإنْ كان ذا مالٍ من الفقرِ موقَرُ
إذا كان فضلُ الناسِ يغنيك بينهمْ	فأنتَ بفضلِ اللَّه أغنى وأيسرُ

وعن ابن المبارك قال: « مروءةُ القناعةِ أفضلُ من مروءةِ الإعطاء ».

فالقانعُ الكريمُ أراحَ قلبَه وبدنَه، والشرِهُ اللئيمُ أتعبَ قلبَه وجسمَه، والكرامُ أصبرُ نفوسًا واللئامُ أصبرُ أجسادًا.

تجمَّلْ إذا ما الدهرُ أولاك غلظةً	فإنَّ الغنى في النفسِ لا في التمولِ
يزينُ لئيمُ القومِ كثرةُ مالِه	وما زيَّنَ الأقوامَ مثلُ التجمُّلِ [1]

---

(١) العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٤٩).

وسُئِلَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ الْقَنَاعَةِ فَقَالَ: « لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا التَّمَتُّعُ بِعِزِّ الْغِنَىٰ لَكَانَ ذَلِكَ يُجْزِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

أَفَادَتْنَا الْقَنَاعَةُ أَيَّ عِزٍّ ... وَلا عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَهْ
فَخُذْ مِنْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ ... وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهْ
تَحُزْ حَالَيْنِ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ ... وَتَسْعَدُ فِي الْجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَهْ »

ثُمَّ قَالَ: « مُرُوءَةُ الْقَنَاعَةِ أَشْرَفُ مِنْ مُرُوءَةِ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ »[1].

القناعة - يا عباد الله - هي الرضا بالمقسوم، وتركُ التطلعِ للمعدوم، وهي الرضا بالموجود، وعدم الجشع والهلعِ على المفقود.

وقال الماوردي: « والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجهٍ:

فالوجه الأول: أن يقنعَ بالبُلغةِ من دُنياه، ويصرفَ نفسَه عن التعرُّضِ لما سواه، وهذا أعلى منازلِ القناعة.

والوجه الثاني: أن تنتهيَ به القناعةُ إلى الكفايةِ، ويحذفَ الفضولَ والزيادةَ، وهذه أوسطُ حالِ المقتنِع.

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٥٣٧).

والوجه الثالث: أن تنتهيَ به القناعةُ إلىٰ الوقوفِ علىٰ ما سنَح، فلا يكرهُ ما أتاهُ وإن كان كثيرًا، ولا يَطلبُ ما تعذَّر وإن كان يسيرًا. وهذه الحالُ أدنىٰ منازل أهلِ القناعةِ؛ لأنها مشتركةٌ بين رغبةٍ ورهبةٍ، أما الرغبة؛ فلأنه لا يَكرهُ الزيادةَ علىٰ الكفايةِ إذا سنَحت. وأما الرهبة؛ فلأنه لا يطلبُ المتعذِّرَ عن نُقصان المادةِ إذا تعذَّرت »[١].

والقناعة - يا عباد الله - ليست من المال فقط، بل هي في أمورٍ كثيرةٍ، وبعضُها لا مجالَ للزيادةِ فيها ولا لتغييرِها وتبديلها، وهي في تلك الأمور أهمُّ منها ما في بابِ المال، فمنها:

أنْ يقنعَ الإنسانُ بنسبِهِ وحسبِه وأصلِه وبلدِه، لا يتنكرُ لذلك، ويقنع بوالديه، وقناعةُ الولدِ بوالديه خطوة من خطوات البر بالوالدين، ومن العيبِ أنْ يتمنىٰ الولد أنْ لو كان أبوه مثلَ فلانٍ والدِ فلانٍ، أو أنَّ أمَّه مثلُ أمِّ فلان، ويوسوسُ له الشيطانُ أنَّ والديه لا يمكنُ بِرُّهما لأنهما أصحابُ طباعٍ مختلفةٍ عن الناسِ،

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص/ ١٢٦-١٢٧).

فينشأ عن ذلك العقوقُ والتذمر، والتسخُّط والتضجُّر، فعلىٰ المسلمِ أن يقنعَ بنسبِه وأنْ يحمدَ اللهَ علىٰ والديه، وأنْ يبرَّهما قدرَ استطاعته، واقنعْ بأولادِك وبزوجتِك وبشكلِك وهيئتِك وخِلقتِك وصورتِك وقامتِك ولونِك وبدنِك وصوتِك، هذا الذي أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ واختارَه لك، لا تقارنْ نفسك بالآخرين، حتىٰ تكون راضيًا وقانعًا بما أعطاك الله، وتقومَ بشكرِ النعم التي أنعمَ اللهُ بها عليك.

وكان ابنُ تيمية يُردِّدُ أبياتًا تُنسب إلىٰ الشافعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ جميعًا:

وَجَدْتُ الْقَنَاعَةَ ثَوْبَ الْغِنَى … فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا أَمْتَسِكْ

فَأَلْبَسَنِي جَاهُهَا حُلَّةً … يَمُرُّ الزَّمَانُ وَلَمْ تُنْتَهَكْ

فَلا ذا يراني على بابِه … ولا ذا يراني بِهِ مُنهَمِكْ

فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلا دِرْهَمٍ … أَمُرُّ عَزِيزًا كَأَنِّي مَلِكْ[1]

ولا يعني أنَّ من اتصف بالقناعةِ صارَ خاملًا كسولًا، يتركُ الاكتسابَ ويقصِّر في بذلِ الأسباب، لا ليس كذلك، وإنما يسلكُ أسبابَ الرزقِ المباحةِ ويبحثُ عن سبُلِ الحياةِ الكريمة، فالقناعةُ

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٥٣٧) وديوان الشافعي (١٠٢).

في القلبِ وليست في اليد، فالمسلمُ يقنعُ بما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ ويأخذُ بما استطاع من الأسباب المباحةِ المشروعةِ مع الرضا والتسليم بما قسَمه اللهُ له وقدَّره، ويبقىٰ الهمُّ الأكبرُ في القلبِ همّ الآخرة وليس الدنيا، ولذلك جاء في الخبر عن سيد البشر صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ»[(١)]. فدلَّ هذا الحديثُ علىٰ أنَّ العبرةَ بما في القلبِ من القناعةِ أو ضدِّها، ومن الرضا والتسليم أو ضدهما.

يُروىٰ أنّ الخليلَ بنَ أحمد الفراهيديّ (المتوفّىٰ سنة ١٧٠ هـ) رفض أنْ يكون مؤدِّبًا لابنِ سليمانَ بنِ عليّ والي الأهواز، ثمّ أخرجَ لرسولِه خبزًا يابسًا وقال له: ما دمتُ أجدُ هذا فلا حاجةَ إلىٰ سليمان، ثمّ أنشد:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١٥٩٠) وابن ماجه (٤١٠٥) وصححه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٣٥١) عن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.



أبلغْ سليمانَ أنّي عنه في سعةٍ ... وفي غنىً غيرَ أنّي لستُ ذا مالِ
شُحًّا بنفسيَ أنّي لا أرى أحدًا ... يموتُ هزلاً ولا يَبقى على حالِ
والفقرُ في النّفسِ لا في المالِ نعرفُه ... ومثل ذاك الغنى في النّفسِ لا المالِ[1]

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.



(١) الإحياء (٤/ ٢١٣).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وبه نستعين، علىٰ أمورِ الدنيا والدين، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وليُّ الصالحين، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه وسولُه الأمين، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ لاكتسابِ القناعةِ أسبابًا، وللوصولِ إلىٰ منازلِها أبوابًا، فمن أخذ بتلك الأسباب، وسلك تلك الأبواب، أُعينَ علىٰ الاتصافِ بالقناعة، ووصل بإذنِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ منازلِ أهل السعادةِ والطاعة.

فمن أسباب القناعة: تعويدُ النفسِ علىٰ القناعةِ والرضا بالمقسوم، وحملُها علىٰ الشكرِ الذي به تزدادُ النعمُ وتدوم، وكان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثُّ علىٰ تعويدِ النفس علىٰ الفضائل، وتصبيرِها علىٰ كريمِ الأخلاق والشمائل، كما في البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ

يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[١].

هي النفس مَا حملّتها تتحملُ ... وللدهر أيامٌ تجورُ وتعدلُ
وعاقبةُ الصبر الجميل جميلةٌ ... وأفضلُ أخلاق الرجال التفضُّل
ولا عارَ إنْ زالتْ عَن الحرِّ نعمةٌ ... ولكنَّ عارًا أن يزولَ التجمُّل[٢]

ومن أسبابِ اكتساب القناعة: أنْ ينظرَ الإنسانُ إلىٰ الدنيا بعين العقل والبصيرة، فيراها علىٰ حقيقتِها دونَ اغترارٍ بزخرُفِها وزينتِها، فإذا فعلَ ذلك علمَ أنه ليس فيها ما يدعو للتكالبِ عليها، ولا للانصبابِ إليها، ولنا في رسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسوة، وفي أحوالِه قُدوة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اضطَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٠) ومسلم (١٠٥٣).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٤٥) من قول علي بن الجهم.

(٣) سنن ابن ماجه (٤١٠٩) وسنن الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦٨).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ " يَعْنِي الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ» (١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (٢).

ودخل الفاروقُ يومًا على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، قال عمر: فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨٠٠٩) ومسلم في صحيحه (٢٨٥٨) عن الْمُسْتَوْرِد بن شَدَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦).

وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ» (١).

وإذا كانت الدنيا لا تزنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ، فأيُّ شيءٍ منها يستحقُّ أنْ يبذُل الإنسانُ مروءتَه وماءَ وجهه وكرامتَه من أجلهِ؟

ومن الأسبابِ التي تعينُ على اكتسابِ القناعةِ وتحصيلِها والاتصافِ بها: أنْ يعتبرَ الإنسان بمن دونَه في المالِ والنَّسَبِ والبدَن، ولا يُتابعَ ويحسدَ من فوقَه، سواء في المالِ أو في الخَلْقِ أو في الحسب، وقد أرشد النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ ذلك، وبيَّن أنه مما يجعلُ المسلمَ يعرفُ قدرَ النعمِ، ولا يحتقرُ نعمَ اللهِ عليه، كما في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ» (٢).

وفي لفظٍ عند مسلم: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ» (٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٩١٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٣).

وجاء في بعضِ الروايات ذكرُ المالِ والحسَبِ والخَلْقِ؛ لأنَّ هذه الأمورَ الثلاثَ هي محلُّ أنظارِ الناس ومشتركُ التفاضل بينهم والعنايةِ منهم، فكثيرٌ من الناسِ يتطلعُ إلىٰ غيرِه ويتمنَّىٰ أنْ يُعطَىٰ من المالِ كما أُعطيَ فلان، وبعضُهم يتمنىٰ أنَّ حسبَه مثلُ حسَب غيره، وبعضُهم يتمنىٰ صوتًا أو صورةً أو قامةً مثل غيرِه، وهذا الصنفُ المتطلِّع إلىٰ الآخرين علاجُه أنْ ينظرَ إلىٰ من دونَه في هذه العطاءات، فإذا رأىٰ مَن هو دونَه عَرفَ أنه قد فُضِّل علىٰ كثيرٍ من الخلق تفضيلًا، فلا يسعُه إلَّا أنْ يحمدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما حباهُ وأولاه، وفضَّلَه به وأعطاه.

ومما يُعينُ على اكتسابِ القناعةِ: أنْ يعلمَ الإنسانُ أنَّ النفسَ مجبولةٌ علىٰ الطمعِ وطلبِ الزيادةِ، ويشبُّ مع الإنسانِ حبُّ الحياةِ وحبُّ المال، فيدركُ حينئذ أنَّ العلاجَ من هذه الأحوالِ هو في القناعةِ والرضا، وفي الحديث الصحيح: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ»[1].

---

(١) صحيح مسلم (١٠٤٨) والبخاري (٦٠٧٢) من حديث ابن عباس.

وفي الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ»(١).

فالقناعةُ هي الغنى وفيها الحلُّ لأكثر مشاكلِ الحياةِ الناتجةِ عن الجشَعِ والطمعِ والحرصِ على الاستكثار من الدنيا، فما تقاتل المتقاتلون ولا تشاحن المتشاحنون ولا تباغض المتباغضون - لأجل الدنيا - إلا بسبب ضعفِ الإيمانِ وقلةِ اليقين وذهابِ القناعةِ من القلوب.

وفي القناعةِ إرضاءٌ للرب وإعزازٌ للنفسِ وبُعْدٌ عن الذِّلةِ والحاجةِ للخلقِ، وهي من الأخلاقِ التي يُحبها الله عَزَّوَجَلَّ.

خذِ القناعةَ من دُنياكَ وارضَ بها ... لو لم يكنْ لك إلا راحةُ البدنِ
وانظرْ إلى من حوى الدنيا بأجمعِها ... هل راحَ منها بغير الحنْطِ والكفنِ

فاللهم ارزقنا القناعة والرضا، والتوفيق لما تُحب وترضى، اللهم إنا نسألُك الهُدى والتُّقى والعفافَ والغنى، اللهم أرنا الحق

(١) رواه مسلم (١٠٤٧).

حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من يخذلُ المسلمين.

اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاء وسائر بلادِ المسلمين، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فِلسطين وفي كل مكان يا ربَّ العالمين، اللهم اشدُدْ وطأتك علىٰ اليهود المعتدين، ومن يعاونُهم من الظالمين، اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا أجمعين، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[1].



(١) [الصافات:١٨٠-١٨٢].



٩- خطبة جمعة بعنوان/

أضرارُ الغفلة وأسبابُها وسُبُلُ علاجِها

الحمدُ للّه الّذي أمرَ باتّباعِ سبيلِ المؤمنين، ونهىٰ عن متابعةِ الغافلين، أحمدُه حمدَ موحِّدٍ مُسلِم، وأدعوهُ دُعاءَ مؤمِّلٍ مُسلِّم.

يَـا مَـنْ يُرجَّـى لِلشَّـدَائِدِ كُلِّهـا ... يَـا مَـنْ إليْـهِ المُشْـتَكَى والْمَفْـزَعُ
يَـا مَـنْ خَـزَائِنُ رزْقِـهِ فـي قَـوْلِ كُـنْ ... امْـنُنْ فَـإنَّ الخَيْـرَ عِنْـدَكَ أَجْمَـعُ
مَـالِي سِـوَى فَقْـرِي إِلَيْـكَ وَسِـيلَةٌ ... وَبِالافْتِقَـارِ إِلَيْـكَ فَقْـرِي أَدْفَـعُ
مَـالِي سِـوَى قَرْعِـي لِبَابِـكَ حِيلَـةٌ ... وَلَـئِنْ رُدِدْتُ فَـأَيَّ بَـابٍ أَقْـرَعُ
وَمَـنِ الَّـذِي أَدْعُـو وَأَهْتِـفُ بِاسْـمِهِ ... إِنْ كَـانَ فَضْـلُكَ عَـنْ فَقِـيرٍ يُمْنَـعُ
حَاشَـا لِجُـودِكَ أَنْ تُقَـنِّطَ عَاصِـيًا ... الفَضْـلُ أَجْـزَلُ وَالمَوَاهِـبُ أَوْسَـعُ

وأشهدُ أنْ لا إله إلّا اللّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمّدًا عبدُه ورسوله، إمامُ الأتقياء، وخاتمُ الأنبياء، وسيّدُ المرسلين، وخليلُ ربّ العالمين:

يطـولُ حـديثي إنْ عـددتُ صـفاتِهِ ... فقد أُعطِيَ الفضلَ العظيمَ وعُلِّمَ
وزكّـاهُ ربّـي في فعـالٍ ومَنطِـقٍ ... فطـوبى لِمَـنْ صـلّى عليـهِ وسـلَّمَ

أمّا بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلَن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

أيها الناسُ عبادَ الله: إنَّ أعظمَ مداخل الشيطان علىٰ الإنسانِ لإغوائه وإفساده يكون من قِبَلِ الغفلةِ والشهوة، فمدخلُ الغفلةِ يسدُّ أبوابَ الخيرِ، ومدخلُ الشهوةِ يفتحُ أبوابَ الشرِّ، ولأنَّ المدخلَ الأولَ يدخلُ منه علىٰ عامةِ الناسِ وخاصتِهم في صغارِ الأمور وكبارِها، أخذَ اللهُ العهدَ علىٰ بني آدم وهم في أصلابِ آبائهم بالتوحيد حتىٰ لا تصيبَهم الغفلةُ عن أوجبِ الواجبات وأهمِّ العباداتِ، وهو توحيد رب الأرض والسماوات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾[2].

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) [الأعراف:١٧٢].

وبعث اللهُ نبيَّه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآنِ قَطعًا لدابِرِ الغفلةِ والاحتجاجِ بها، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾[(١)].

وأمرَ اللهُ نبيَّه أنْ يُنذرَ الناسَ ويخبرَهم بيومِ الحسرةِ حتىٰ لا يقعوا في الغفلةِ عن ذلك اليوم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)].

وأخبرَ سبحانه باقترابِ آجالِ الناسِ ودُنوِّ حسابِهم، وحذّرَ من الغفلة والإعراضِ عن الحق، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾[(٣)].

وما ابتعدتْ أُمّةٌ عن النّذارةِ والتذكيرِ إلا وقعتْ في الغفلة، قال تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾[(٤)].

---

(١) [الأنعام:١٥٥-١٥٦].

(٢) [مريم:٣٩].

(٣) [الأنبياء:١].

(٤) [يس:٦].



ومن وقع فِي الغفلةِ واستحكمتْ علىٰ قلبه كان من ذُرىٰ جهنم، وسُدَّ عنه الانتفاعُ بمداخلِ الوعي ومنافذِ الإدراك، فيصبح سامعًا بلا سمع، ومُبصرًا بلا بصيرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[1].

وأخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنَّ الغفلةَ من صفاتِ أهلِ النارِ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾[2].

وإنَّ مِن أعظمِ الغفلة أنْ يغفلَ الناسُ عمّا خُلِقوا له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[3]، وقال سبحانه:

---

(١) [الأعراف:١٧٩].

(٢) [يونس:٧-٨].

(٣) [الذاريات:٥٦].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾(١)، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾(٢).

والغافلون عن آياتِ الله وشرعه مُتوعَّدُون بالانتقام والعقوبةِ كما حصل للغافلين في الأمم الماضية، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾(٣).

ومن غَفل عن آيات الله ودينه، كان من المخذولين الذين لا ينتفعون بالآيات، ولا يسلكون سبيل النجاة، قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾(٤).

---

(١) [المؤمنون:١١٥].

(٢) [القيامة:٣٦].

(٣) [الأعراف:١٣٦].

(٤) [الأعراف:١٤٦].



ويجبُ علىٰ المسلمِ أنْ يتمسّكَ بدينِه ويعتزَّ بعقيدتِه، ولا يغترّ بكثرة الغافلين، فإن أكثرَ الناس في غفلة عن آيات الله ودينه، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾[(١)].

وليس الغافلُ بمغفولٍ عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾[(٣)].

وسيأتي يومٌ يندم فيه الغافلون علىٰ غفلتهم، ويُوبَّخون بسببها ويعترفون بذلك، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾[(٤)].

---

(١) [يونس:٩٢].

(٢) [الأنعام:١٣٢].

(٣) [المؤمنون:١٧].

(٤) [الأنبياء:٩٧].



وفي يومِ القيامة يُكشفُ غطاءُ الغفلة وينقشعُ غشاؤها، فيدركُ الغافلُ حجمَ تقصيرِه وتفريطِه ويندمُ حينَ لا ينفعُ الندم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ۝٢٢﴾(١).

وفي ذلك اليومِ العصيبِ يُدرِكُ أهلُ النارِ أنهم كانوا في غفلةٍ استحكمت علىٰ حواسِّ الوعي وأدوات الإدراك، فكأنهم لم يسمعوا ولم يعقلوا، قال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾(٢).

وقد كان السلف يخافون الغفلةَ ويَحذرون منها، كما رُوِيَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: مَرِضَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ مَرَضًا فَجَزِعَ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا رَأَيْنَاكَ فِي مَرَضٍ أَشَدَّ جَزَعًا مِنْكَ فِي هَذَا الْوَجَعِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَحْرَىٰ وَأَقْرَبُ بِي مِنَ الْغَفْلَةِ»(٣).

---

(١) [ق:٢٠-٢٢].

(٢) [الملك:١٠-١١].

(٣) الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي (ص٥١٤).

هذا واعلموا - علمني الله وإياكم - أنَّ للغفلةِ أسبابًا، سنذكرها لتُجتنب لا لترتكب، ولتُعرف لا لتُقترف، وهذا أمرٌ مهمٌّ كما قيل:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكنْ لتوقِّيهِ ... ومَن لا يعرِفِ الشرَّ مِن الخيرِ يَقعْ فيهِ

فمن أعظم أسباب الغفلة: الانشغال بالدنيا، قال تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[1].

وقد ذمَّ الله أقوامًا نالوا من علومِ الدنيا وغفَلوا عن علوم الآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[2]، وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْعِبْرَةِ انطَمَسَ مِنْ بَصَرِ قَلْبِهِ بِقَدْرِ تِلْكَ الغَفْلَةِ[3].

ومن أحبَّ الدنيا أكثرَ من حُبِّهِ لِدينِه، وقدّم محبتَها علىٰ محبةِ الآخرةِ فقد رضي علىٰ نفسه بالخسارة ووقع في الغفلة المُهلكة، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧

---

(١) [التكاثر:١-٢].

(٢) [الروم:٧].

(٣) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٢/ ١٨٥).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾[١].

ومن أسباب الغفلة: طولُ الأملِ، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[٢]، فإذا طالَ الأمَل قطعه الأجل، وليعلمْ صاحبُ الأملِ أنه مهما طال أملُه فإنَّ الأجلَ سيقطعُه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: «**هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**»[٣].

---

(١) [النحل:١٠٧-١٠٩].

(٢) [الحجر:٣].

(٣) رواه البخاري (٦٠٥٤).

وطولُ الأمد سببٌ لقسوةِ القلوب، قال تعالىٰ: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾[(١)].

ومن أسبابِ الوقوع في الغفلة: الجهلُ باللهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والبعدُ عن تعلُّمِ دينِ الله، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[(٢)].

ومن أسباب الغفلة: التساهلُ بالصلوات المكتوبات، والتهاون في حضور الجمعة والجماعات، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِينَاءَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَا أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِ الْمِنْبَرِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَلَيُكْتَبُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[(٣)]. وقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ**» أي: عن تركهم الجمعات، وفي رواية: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ**

---

(١) [الحديد:١٦].

(٢) [الزمر:٩].

(٣) أخرجه أحمد (٥٥٦٠) ومسلم (٨٦٥) عن ابن عمر وأبي هريرة.

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» [(١)]. بلفظ الجماعات، مما يدل علىٰ أنَّ التهاونَ بصلاةِ الجماعةِ من أسبابِ الوقوعِ في الغفلةِ المذمومةِ التي يتسلطُ الشيطان علىٰ قلب الإنسان بسببها، كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بُدُوٍّ، لَا يُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» قَالَ السَّائِبُ: « إِنَّمَا يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ جَمَاعَةَ الصَّلَاةِ » [(٢)]. وقوله: قد استحوذ، أي: استولىٰ وغلب.

وقد صحَّ الخبر عن خير البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا، طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ» [(٣)].

ومن أسباب الغفلة: البعد عن مجالس العلم والذكر، وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ بُعدَ الإنسانِ عن مجالسِ الذكر وعزوفِه

---

(١) سنن ابن ماجه (٧٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم (٧٩٤).

(٢) الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (ص٤٦١) رقم (١٣٠٦) ومسند أحمد (٢١٧١٠) وسنن أبي داود (٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠١).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤٩٨) وأبو داود (١٠٥٢) والترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٣) عَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ.



عن مجالس العلم لغير عذرٍ سببٌ لإعراضِ الله عنه، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَىٰ فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»[(١)].

والغفلةُ عن ذكر الله سببٌ لمرضِ القلب، بل سببٌ لموته، كما في حديثِ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾[(٣)]، قَالَ:

---

(١) صحيح البخاري (٦٦) ومسلم (٢١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٤) ومسلم (٧٧٩).

(٣) [الناس:٤].

«الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَىٰ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ» [١]. ولو تحركت الألسِنَةُ بذكر الله لاستيقظت الْقُلُوب من غفلاتها القاتلات، ولو استيقظت الْقُلُوب والتفتت إِلَىٰ ذكر علام الغيوب ما رأيتَ جارحة من الْجَوَارِح تلتفت لشيءٍ من المحظورات، فَإِنَّ الغَفْلَة عَنْ ذكر الله هي أصل الشرور، واليقظة هِيَ أصل الْخَيْر والسعادة فِي الدُّنْيَا والآخِرَة بإذن الله تَعَالَىٰ [٢].

واتباعُ الهوى سبب للغفلة، قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [٣].

ومن أسباب الغفلة: المعاصي عمومًا، قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٤]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٧٧٤) والزهد لأبي داود (٣٣٧).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ٣٠٨).

(٣) [الجاثية:٢٣].

(٤) [المطففين:١٤].



رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّىٰ يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]»[2].

ومن أسبابِ الغفلةِ أيضًا: جُلساءُ السوء، ورفقاءُ الشر، فإنهم يَصُدون عن الخير، ويُضِلُّون الناسَ عن الحق، كما قال تعالىٰ:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[3].

فتأمل كيف يقول عن جليسِ السوء: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ﴾[4].

---

(١) [المطففين:١٤].

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٧٩٥٢) وابن ماجه في السنن (٤٢٤٤) وحسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٦٥٣).

(٣) [الفرقان:٢٧-٢٩].

(٤) [الفرقان:٢٩].

ومن أسبابِ الغفلةِ أيضًا: كثرةُ اللهو والضحك، كما في حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**»(١).

وفي لفظ: «**وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تميت القلب**»(٢).

فليتنبه العبدُ المسلمُ لجميع هذه الأسباب التي توقع في الغفلة، وليحرصْ علىٰ اجتنابِها ما دام في فُسحةٍ من الحياة ومُهلة، فإنَّ الأيامَ تمضي سِراعًا، والوقتَ يتصرَّمُ تِباعًا، والعاقلُ من دانَ نفسَه، وعمل للدار الآخرة، والعاجز من أضاع يومه وأمسَه، في الحرص علىٰ الدنيا والمكاثرة، ومن غفَل عن الموت وما بعده، فسيُدركُ أنه بغفلته قد أضاع رشده، وسيندم ولات حين مندم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٣) والترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٣) [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فكما ذكرنا بعضَ أسبابِ الغفلة وما يدلُّ علىٰ خطرِها وضررِها فينبغي أن نذكرَ بعض سُبلِ علاجها ووسائلِ السلامة منها.

فمن وسائلِ علاج الغفلة: تقوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتكرار التذكُّر والأوبة إلىٰ الله، وكلما غفَل الإنسان عن ربه فينبغي له أن يستيقظَ ويتوب، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾[1].

ومن أسبابِ ذهابِ الغفلةِ وعلاجها: كثرةُ ذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله لنبيه، وهو خطابٌ لكلِّ من يصلح له الخطابُ من هذه الأمة:

---

(١) [الأعراف:٢٠١].

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾(١).

ومن وسائلِ علاج الغفلة: البعدُ عن جُلساء السوء، قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾(٢)، وإذا كان هذا التوجيهُ الربانيُّ، والتعليمُ الإلهيُّ لمحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الذي غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، فأنا وأنت من باب أولىٰ وأحرىٰ، لأنَّ المرءَ علىٰ دينِ خليله فلينظرْ أحدُكم من يُخالِل.

ومن أعظم ما تُعالَج به الغفلة في اليوم والليلة، ويُحصِّنُ العبد به نفسَه منها: المحافظةُ علىٰ الصلواتِ الخمس في أوقاتها وأماكنها، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**»(٣).

---

(١) [الأعراف:٢٠٥].

(٢) [الكهف:٢٨].

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١١٤٢) والحاكم في المستدرك (١١٦٠) والبيهقي في الشعب (٢٠٠٢) =

فاتقوا الله يا عباد الله في الصلوات الخمس، ولا تغفُلوا عنها، فمن غفل عن الصلوات الخمس فهو عمّا سواها أشدُّ غفلة.

وينبغي للمسلمِ أنْ يُحاربَ الغفلةَ بالمحافظةِ علىٰ ما استطاع من النوافل، لا سيما علىٰ صلاةِ الليل، ويدلُّ علىٰ هذا حديثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ»[(١)].

فينبغي لكل مسلمٍ أنْ يحرصَ علىٰ قيامِ الليلِ، ولو بالقدر اليسير الذي يقرأُ فيه عشر آياتٍ فأكثر.

ومن أعظم ما تُعالجُ به الغفلة: الدعاءُ والتضرعُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنَّ من أعانه الله أُعين، ومن وفَّقَه اللهُ وُفِّق، وأما من وكله الله إلىٰ نفسه فقد أصيبَ بالخِذلان والحِرمان، وقد كان من دعاء النبي

= وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٧)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٨) وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٤) والطبراني في الكبير (١٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٩).

صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ» (١).

ففي هذا الحديث الاستعاذة من الغفلة ومن آفاتٍ كثيرة تضر العبد في دينه وبدنه ورزقه وسائر حياته.

ومع الدعاء تجبنوا الغفلة، فإن دعاء الغافلين لا يقبله الله، كما دلَّ عليه حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» (٢). وفي رواية عند الحاكم: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

ومن وسائل علاج الغفلة: كثرةُ تذكُّر الموت، وأنه مصيرُ كلِّ إنسان، وقد أرشد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلىٰ كثرة تذكُّرِهِ، وبين بعض فوائده، كما في حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عَنِ النَّبِيِّ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٧٦٠) والطبراني في الكبير (٣١٦) والحاكم في المستدرك (١٩٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) والبزار في مسنده (١٠٠٦١) والطبراني في الدعاء (٦٢) والمعجم الأوسط (٥١٠٩) والحاكم في المستدرك (١٨١٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرُهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيِّقَهُ عَلَيْهِ**»(١).

واعلموا - سلمكم الله - أنَّ أكيسَ الناس وأعقلَهم هو أكثرُهم محاسبة لنفسه، وأحرصُهم علىٰ ما ينفعه في لحدِه ورمسِه، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ اثْنَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١٦١) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٤، رقم ١٠٥٦٠) وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان (٢/ ٥٠١).

(٢) الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي (ص٨٦) رقم (٢٥٥) والزهد لأبي داود (١٠٦).

ومن أعظم ما تعالج به الغفلة: قراءةُ القرآنِ وكثرةُ تدبره، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾[2].

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتُّقىٰ والعفافَ والغنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأَرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابَه، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم أنجِ المُستضعفين من المؤمنين في فلسطين وفي كل مكان يا ربَّ العالمين، اللهم أنجهم بفضلك وكرمك وقوتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلْ لهم من كل ضيقٍ مخرجًا، ومن كل هم فَرَجًا، ومن كلِّ بلاءٍ عافيةً، ومن

---

(١) [يونس:٥٧].

(٢) [فصلت:٤٤].

كلِّ عسرٍ يُسرًا يا ذا الجلالِ والإكرام، اللهم عليك باليهودِ المعتدين، ومن عاونهم من الظالمين، اللهم إنا ندرأُ بك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم.

اللهم اغفرْ لنا ولوالِدينا أجمعين، اللهم اغفرْ لنا ولوالِدينا أجمعين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واغفر لنا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.





١٠- خطبة جمعة بعنوان/

توضيحُ المَقال في مفاسدِ الجوال

الحمد لله العليِ الأكرم، الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسان ما لم يعلمْ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، يسمعُ كلَّ شيءٍ ويرىٰ، ويعلمُ ما سيجري كعلمِه بما جرىٰ، لا يغيبُ عن بصرِهِ دبيبُ النملِ في الليلِ إذا سرىٰ، ويسمع كلَّ صوتٍ في الورىٰ، يعلمُ خائنةَ الأعين، وهمساتِ الألسُن، وسيُظهرُ ما في الصدور، في يومِ الحشر والنشور، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾(١)، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾(٢).

---

(١) [العاديات:٩-١١].

(٢) [الأنعام:٥٩].

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، بيَّنَ الخيرَ للناسِ، وحذَّرهم من أسبابِ الضلالةِ والانتكاس، فلم يَدَعْ خيرًا تحتاجُه الأمّةُ إلّا دلّها عليه، ولا شراً يُخافُ إلا حذَّرَ منه، فصلواتُ الله وسلامُه عليهِ وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أجمعين.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلنِ، وبالمحافظةِ علىٰ الصلواتِ الخمسِ في أوقاتِها وأماكنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾[1]، ومن ضيَّع الصلاةَ أو تهاونَ بها فما اتقىٰ الله حقَّ تُقاه، ولا قاربَ ذلك.

عباد الله: إنَّ المتأملَ في غفلةِ الناسِ اليومَ يجدُ أنَّ من أعظمِ أسبابِ غفلةِ أكثرِ الناس هو انشغالهم بالأجهزةِ الحديثةِ والجوالاتِ الذكيّة، فكم تَضيعُ بسببِها من الأوقات؟ وكم تُهتكُ من الحُرمات؟ وكم تُهدر من الطاقات؟ فبعضُ الناسِ يقضي مع هذه الأجهزة في اليوم والليلة خمسَ ساعات، وربما أكثر، وهذه

(١) [آل عمران: ١٠٢].



الساعاتُ يستطيعُ المسلمُ أنْ يقرأَ فيها عشرةَ أجزاء من القرآن الكريم، وإنْ كانت قراءتُه حَدرًا فيستطيعُ أنْ يقرأَ نصفَ القرآنِ في خمسِ ساعات، فتأمَّل كيف تضيعُ الأعمارُ وتذهبُ الأوقاتُ فيما لا ينفعُ، بل ربما فيما يضر.

ومن المهمِّ أنْ أُنبِّهَ إلىٰ بعضِ مفاسدِ الأجهزةِ الحديثةِ، لاسيما الجوال منها؛ لأنها صارت ملازمةً للناس في أغلب حياتهم وأكثر أوقاتهم، قد اقتناها الكبيرُ والصغيرُ والذكرُ والأنثىٰ والمريضُ والصحيحُ والبرُّ والفاجر، ولما كانت كذلك كان التنبيهُ إلىٰ بعضِ مفاسدِها من الأهميةِ بمكان، ولأن تلك المفاسد كثيرةٌ وسبل علاجِها أكثر فسأكتفي بالإشارةِ إلىٰ بعضها اختصارًا، وخَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَطُلْ فَيَمَلَّ.

عباد الله، من مفاسد هذه الأجهزة: التطيُّر والكهانةُ الإلكترونية، وهذا يغفل عنه كثيرٌ منَ الناسِ اليوم، فتجد بعضَ الناسِ يبحثُ عن نَجمه ويسأل عما سيحصل له في المستقبل ويتمادىٰ في ذلك، ولربما نشر ذلك في بعضِ صفحاته، وربّما صدَّق شيئًا من ذلك أو

وقع في نفسه، وهذا من أشدِّ المحرمات لأنه يقدحُ في التوحيد ويمسُّ العقيدة، وقد صحَّ في الخبرِ عن خيرِ البشرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ليسَ مِنَّا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له**»[1]. فيجبُ الابتعادُ عن هذا ولو كان علىٰ سبيلِ التجارِبِ والتسليةِ.

ومن مفاسدِ الجوالاتِ والأجهزة الحديثة: ضياعُ الصلوات، فكم يُؤَذَّنُ للصلاةِ وكثيرٌ من الناسِ منشغلٌ بجوالِه، ومنهم من يضيّعُها بالتَّسبُّبِ فيسهر أكثرَ الليلِ ويضيعُ صلاةَ الفجر علىٰ إثر ذلك، وبعضهم وإنْ حضرَ الصلاةَ فإنَّ ذهنَه منشغلٌ بما رأىٰ وقرأ أو بما سيقرأ ويشاهد! وهذا ضرر عظيمٌ، وحالٌ غيرُ مستقيم، وإذا كانت الصلاةُ لم تَسقُطْ عن المجاهدين إذا احتدمَ القتالُ والتحمتِ السيوف وتلاقت الصفوف وحمي الوطيس، بل طُلب من المسلمين أن يُصلّوا في تلك الحالِ، وشرعَ اللهُ لهم فيها صلاةَ

---

(١) أخرجه البزار (٣٥٧٨) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخوفِ، فما عُذرُ الذي يسمعُ النداءَ وهو منشغل بمشاهدة ما لا يليق أو ما لا ينفع.

ومن مفاسد الجوالات: تضييعُ الحقوقِ والواجباتِ، فتجدُ بعضَ الناسِ في وظيفتِه منشغلٌ بجوالِهِ، بل ربما وضع شاشةَ جوالِه أمامَه، فينظرُ نظرةً إلىٰ المراجعين ونظرةً إلىٰ الجوال، وبعضهم يضعُ السمّاعة في أذنيه، وبعضهم يجعلُ الناسَ ينتظرونَه وقتًا طويلًا لأنه منشغلٌ بما يقرأ أو يشاهد، وهذا تقصيرٌ واضح، وعيبٌ فاضح، وتضييعٌ للأمانة، ونقص في المروءة والديانة، ويجبُ علىٰ كلِّ موظّفٍ أنْ يعلمَ أنَّ راتبَه الذي يتقاضاه علىٰ وظيفتِه يجعل الوقتَ أمانةً في عنقِه، والدقائق التي يضيّعُها بغير عذرٍ أثناء الدوامِ تجعلُ كسبَه غيرَ حلال خالصٍ، وبقدر التقصير يصيرُ ما يستلمه حرامًا، فلا يجوزُ لموظف كبيرٍ أو صغيرٍ أنْ يضيعَ شيئًا من وقتِ وظيفته في غير ما يتقاضىٰ عليه راتبًا من أجلِه، فيجبُ عليه أن يتقي اللهَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأنْ لا يهملَ عملَه ووظيفتَه إما في وقتها أو في أدائها، لا سيّما إذا كان السبب أن يضيعَ وقته بالنظرِ إلىٰ

ما لا تحصل به فائدة، ولا تلحقه بتركه مفسدة، فليتقِ اللهَ كلُّ مسلمٍ وليعلمْ أنَّ راتبَه لا يكون حلالًا خالصًا إلا إذا أدَّىٰ وظيفتَه علىٰ الوجه المطلوبِ.

هذا وما يقوم به الموظفُ من عملٍ فليس فضلًا منه ولا مِنَّةً، بل إنه واجبٌ عليه يتقاضىٰ عليه مُقابلًا، ويجِبُ عليه أنْ يُطيّبَ ذلك المقابلَ حتىٰ يكونَ كسبُه حلالًا.

ومن مفاسد الجوالات: تضييعُ حقوقِ الزوجةِ والأولادِ، فكم تحصلُ من خلافاتٍ زوجية، ولربما وصل الأمر إلىٰ الطلاقِ، فالرجلُ يشكو من زوجتِه أنها تُهمل واجباتِها نحو بيتِها وأولادِها وزوجِها، والمرأةُ تشعرُ بالإهمالِ وتشكو أنَّ زوجَها لا يلتفتُ إليها إلا قليلًا، ولم يعُدْ يجلس معهم ولا يأنسون بالحديثِ معه، وربما وصل الأمر إلىٰ الطلاق، والسببُ: ضياعُ الأوقاتِ بالنظرِ إلىٰ الشاشات والجوالاتِ.

وأما تضييعُ تربيةِ الأبناء فحدِّثْ ولا حرج، كم تحصلُ من المآسي بسبب الإهمال من الآباء والأمهات وتركِ حبلِ الأولادِ



علىٰ غاربِهِ، وبعضهم يُوفِّرُ لأولاده أحدَث الجوالاتِ والنِّتَّ السريعَ ويتركهُم بمفردِهم الساعاتِ الطّوال، فلا يدري ما يشاهدون ولا ما يعملون، وينتج عن ذلك مفاسدُ كثيرة، فمنهم من تنحرفُ أخلاقُه وتضيعُ فطرتُه بسبب مشاهدتِه الأفلامَ السيئة، ومنهم من يخرجُ عن العقيدةِ الصحيحةِ فيعتقدُ المعتقداتِ الغربيةِ والشرقيةِ، وربما وقع بعضُهم في الإلحاد بسبب ما يرىٰ ويشاهد.

واعلموا - سلمكم الله - أنَّ موجةَ الإلحادِ والشرِّ موجهةٌ وبقوةٍ علىٰ الإسلامِ، في حربٍ شديدةٍ علىٰ المسلمين حربًا معلوماتية، وأنَّ وقايةَ المسلمين ضعيفةٌ قليلةٌ بسببِ قِلةِ العلمِ وضعفِ الوازعِ الديني، فلا يجوزُ لمسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يتركَ لأولادِهِ الأمر هكذا، بل عليه أنْ يحرصَ عليهم، فيقلل لهم من استعمال هذه الأجهزة وأنْ ينظر ماذا يشاهدون، وأنْ يتخيَّرَ لهم الموادَّ النافعةَ حتىٰ لا يقع الفأسُ علىٰ الرأس، ويقع ما لا تُحمدُ عُقباه، ناهيك عن الأضرارِ الصحيةِ التي تحصل بسبب كثرة استعمال هذه الأجهزة، فكم يوجدُ من مرضىٰ العيون بسبب الجوالات، وبعضُ الآباء يرىٰ تلَفَ بصرِ ولدِه ويشتري له النظارةَ ويعلمُ أنَّ

السببَ الجوالُ، ومع ذلك لا يمنعه منه ولا يُقلل عليه فتراتِ استخدامه، وبعضُ الأبناء يصابُ في أعصابِه ومخِّه، فكم من التشنجات، وكم من المرضىٰ في عيادات الأعصاب، بسبب كثرةِ استعمالِ الجوالاتِ!

وبعضُ الآباء عنده من الضعفِ ما الله به عليم! يخافُ أنْ يبكيَ ولدُه، أو أنْ يقول الناس: إنَّ فلانًا يُضيّقُ علىٰ أولاده، فلا يمنعهم من الجوالِ وهم في سن صغير، ولا يقللُ لهم فتراتِ الاستعمال، وهذا تساهل كبير، وتقصير خطير.

أيها الأب الكريم: اعلمْ - سلمك الله - أنَّ هذه مسؤوليتُك لن يجنيَ ثمرتَها غيرُك، من شر أو خير، وإنَّ حرصَك علىٰ أولادِك يُعتبرُ من تمامِ اللطفِ والرحمةِ، فنبينا محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ الحسنَ بنَ عليٍّ أخذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»(١). فالتربيةُ الحسنةُ هي من كمالِ الرحمةِ، ومن كمالِ اللطفِ والعطفِ علىٰ الأولادِ، وليستْ من القسوةِ في شيءٍ.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا الإهمالُ فإنَّ الناس يجنونَ ثمرتَه الضارة وسيندمون عليه، ولا مانع أن تُقنع ولدَك أنك تمنعه من هذه الأجهزةِ حرصًا عليه، وإنِ استدعىٰ الأمرُ أن تُريَه بعضَ المقاطعِ والمشاهدِ التي فيها أولادٌ تدهورت صحتُهم وصار عندهم من الصرَعِ والتشنجاتِ ما يُحزنُ ويُؤلم، من أجلِ أنْ يعلموا أنَّ منعَهم من هذه الأجهزةِ أو تقليلَ استخدامِهم لها إنما هو من أجلِ مصلحتِهم وحفاظًا علىٰ سلامةِ عقولهم وصحةِ أبدانهم.

ولا ننسىٰ أنَّ كثيرًا من الأبناء ضاعت مواهبُهم في الدراسةِ وضعُفَ مستواهمُ التعليميُّ بسبب الانشغال بهذه الأجهزة، وبعضُهم تدهورت صحتُه بسببِ قلةِ النوم وكثرةِ التعلق بهذه الأجهزة، فاتقوا الله أيها الآباء، وخذوا علىٰ أيدي أبنائكم إلىٰ ما ينفعهم ويُصلح حالهم.

عباد الله، ومن مفاسد الجوالات: ذنوبُ الخلواتِ، فكم يرىٰ بعضُ الناسِ من المشاهدِ القذِرة والصور المحرمة، التي يُنزُّه هذا المكان عن ذكرها، وهذا - سلمكم الله - يفتكُ بإيمانِ العبدِ،

ويزيدُ من سيئاتِه ويأكلُ من حسناتِه، ويهتك مروءتَه ويُدنِّسُ فطرتَه، فلا يجوز لمسلمٍ أنْ يَرىٰ ما لا تجوزُ رؤيتُه، ولا أنْ يسمعَ ما لا يجوزُ سماعُه وليتذكر العبدُ دائمًا قولَه تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾[2].

وقوله جلَّ شأنه: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾[3].

وكم من نظرةِ معصيةٍ نسيها العبدُ، ولكنها كُتبتْ عليه وسيراها يوم القيامة قد أُحصيت وكُتبت، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾[4].

---

(١) [العلق:١٤].

(٢) [الأحزاب:٥٢].

(٣) [النساء:١٠٨].

(٤) [المجادلة:٦].

وإنْ اختفىٰ الشخصُ عن جميعِ الخلقِ فإنَّ الله لا تخفىٰ عليه خافية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾[١].

وهذه الأعضاء التي تعصي اللهَ بها في الخلواتِ سوفَ تشهدُ عليك يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠﴾[٢].

وقد أحسن القائل:

وإذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ ... والنَفْسُ دَاعِيَةٌ إلى الطُغْيَانِ

فاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإلَه وَقُلْ لَهَا ... إنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي

وقال الآخرُ:

إذا ما خَلَوْتَ الدهرَ يوما فلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ، ولكن قل عليَّ رقيبُ

ولا تحسبَنَ اللَّهَ يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما نُخفي عليه يغيبُ

---

(١) [الأنعام:٥٩].

(٢) [فصلت:٢٠].

فانتبه رعاك الله، واتقِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تتمادىٰ في مشاهدة الحرام، فإنَّ هذا يضرك علىٰ المدىٰ البعيد والقريب، وستنسىٰ لذة المشاهدة، ويبقىٰ الخزي والعار، والذنبُ والوعيدُ بالنار:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ ممن نال صَفْوَتَهَا ... من الحرام، ويَبْقَى الإثمُ والعارُ

تبقى عواقبُ سوءٍ من مغبَّتِهَا ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ من بعدها النَّارُ

ومن مفاسدِ الجوالِ - عبادَ الله -: نشرُ الشائعات دون تثبُّتٍ ولا تروٍّ، ولربّما تعمَّدَ بعضُهم الكذبَ من أجلِ أنْ يكونَ عنده سبقٌ ومشاهداتٌ أكثر من غيره، وهذا الصنف متوعدٌ بعذابٍ عظيم؛ لأنَّ كَذبتَه تنتشرُ وتشتهر، وقد روىٰ البخاريُّ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، وإِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

---

(١) رواه البخاري (١٣٢٠) عن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



فلا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يكذب بل ولا أنْ ينشرَ الكذب.

وربما كان في بعضِ الشائعاتِ إخلالٌ بأمنِ الناس وسكينتهم، فالتوقفُ أفضل وأسلم، وإلا فتُردُّ الأمور إلىٰ أهلها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[1].

ولا ينبغي للمسلمِ أن ينشرَ كلَّ ما يسمعُ حتىٰ يتثبتَ ويعلمَ أنَّ في نشرِه مصلحةً وخيرًا، وقد صحَّ في الخبر عن خير البشر، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كفىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2].

وفي سننِ أبي داودَ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا»[3].

---

(١) [النساء:٨٣].

(٢) مقدمة صحيح مسلم (٥)].

(٣) سنن أبي داود (٤٩٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٧٤٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٤٦) عن حذيفة وأبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن مفاسدِ الجوال: الانشغالُ به عند مجالسةِ الوالدين، أو في مجالسِ العلمِ والذكر، أو عند محادثةِ الكبار والضيوف، وهذا مخالفٌ للمروءة ومكارمِ الأخلاق، والأولىٰ تركُ الانشغال بالأجهزة بحضرة هؤلاء:

وإذا جلستَ بمجلسِ الأضيافِ	أو مجلسِ الآباءِ والأشرافِ
فانصِتْ إليهم إنْ سمعتَ حديثَهم	لا تلْهُ بالجوالِ في استخفافِ
فمن المروءة أن تُبادلَ كلَّ مَنْ	يَعنيك بالتحديثِ دون تجافِ
والبشرُ للأضيافِ من خيرِ القِرى	فكن الجوادَ بأحسن الألطافِ

ومن مفاسدِ الجوال: المجاهرةُ بالمعاصي، وإظهارُ الشخصِ لنفسِه وهو في أماكنِ الفسقِ والمعاصي، أو في حالة المعصيةِ والذنب، وهذا إثمُه مضاعَفٌ، ومعصيتُه أشدّ من غيره، وقد حذَّرَ النبي صلىٰ الله عليه من المجاهرةِ بالمعاصي فقال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»[١].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ وَلْيُتُبْ إِلَىٰ اللهِ**»[١]. ففي هذا الحديثِ أَمْرٌ منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باجتناب المعاصي، ومن ابتُلي بالوقوعِ فيها فليستترْ بسترِ الله، فإنَّ ذلك أرجىٰ للمغفرةِ وأقرب للتوبة.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله.



(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٤٢٥٩) والحاكم في المستدرك (٧٦١٥) واللفظ له، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩).

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وبه نستعين، علىٰ أمورِ الدنيا والدين، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصالحين، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الأمين، إمامُ المتقين وسيدُ المرسلين وخليلُ ربِّ العالمين، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن مفاسد الجوالِ أيضًا: كثرةُ التصوير، وتصويرُ الناسِ إما أنْ يكونَ في أمورِ دينٍ أو دنيا، فتصويرُ الشخصِ لنفسِه في الطاعاتِ سببٌ للرياءِ وفسادِ النيات، وتصويرُ الشخص لحالتِه في أمور الدنيا لا سيما تصوير النعمِ التي أنعم اللهُ بها عليه والمباهاة بذلك، وربما تكلَّف بعضُهم فأظهر نفسَه علىٰ حالٍ أفضلَ من حاله الحقيقي، ولا يسلمُ هذا الصنف من رؤيةِ شخص محتاج، أو عينِ حاسد، أو رجلٍ حاقدٍ، فيناله من البلاء ما لا يتوقعُ ولا يقدرُ علىٰ دفعه، وكم جنىٰ هؤلاء المصورون علىٰ أنفسهم وعلىٰ أولادهم من البلايا بسبب كثرة التصوير، ولربما ماتت بعضُ الأسرِ فلم يبقَ

منهم عينٌ تطرفُ بعد تصوير صوّروه، ولا يدرون ما السبب، فاجتنابُ التصويرِ أسلم للشخصِ في دينه ودنياه.

ومن الأمورِ التي لا تليقُ بذي مروءةٍ: تصويرُ الضيفِ وتصوير مائدة الضيافةِ، هذا فعلٌ لا يليق ولا ينبغي، وكيف يرضىٰ شهمٌ كريمٌ أن يصوّرَ أضيافَه علىٰ مائدته، أو أنْ يصور الطعام الذي يقدمه لهم؟

ولا يغتر العاقلُ بأصحاب الشهرة والمظاهرِ، الذين أضاعوا كثيرًا من تعاليمِ الدينِ وأخلاقِ المروءة، وأهملوا الأعرافَ والأسلافَ الحميدةَ، فصاروا يصورون كل شيء.

ثم إنَّ من مفاسدِ الجوالِ: نشرُ ما لا يصلحُ من المرئيات أو المسموعات التي فيها محذورات شرعية، من صورٍ أو صوتيات أو معلومات غير صحيحة، ومن نشرها فإنه يأثم بقدر انتشارها.

وأما العلاج من هذه المفاسد فمنه: أن يبتعدَ المسلمُ عن كلِّ ما سبقَ ذكرُه من المحظورات، وأنْ يقلِّلَ من الانشغالِ بهذه الأجهزةِ قدرَ الإمكان.

ومن أنفعِ العلاج: أنْ يشغلَ المسلمُ نفسَه بالخيرِ، وأنْ يستعملَ هذه الآلاتِ في الخير، وأنْ يجعلها أدواتِ خير، فيجعل فيها

برامجَ القرآنِ الكريم، وبرامجَ السنةِ النبويةِ الصحيحةِ، والفتاوىٰ والكتب الموثوقة النافعة، وبرامجَ الأذكارِ والأدعيةِ الصحيحة، وهذه البرامج بحمد الله كثيرة ومتوفرة، فيجعلها في جواله، ويقرأ ويستمع إلىٰ ما ينفعه، فكثيرٌ من الناسِ حفظوا القرآن عن طريقِ الجوال، وبعضهم تعلَّمَ العلمَ الشرعيَّ عن طريق الجوال، وبعضهم يدعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن طريق الجوال، ففيها من المنافع والمصالح ما لا يُعدُّ ولا يُحصىٰ، ولكنَّ الموفَّق من وفّقه الله لاستعمالها في الخير.

فكم فيها من المنافع العظيمة، والمصالح العميمة، تُقضىٰ عن طريقها الحاجاتُ، وتسهل المعاملاتُ والاتصالات، ويُدعىٰ فيها إلىٰ ربِّ الأرض والسماوات، ولكنَّ سوءَ الاستعمال يجعل النعمة نقمة، والمنحة محنة، والعطيةَ بليَّة.

ومن أراد أن يبتعدَ عن الشرِّ فليشتغل بالخير؛ لأنَّ النفسَ إنْ لم تشغلْها بالخير شغلتك بالشر، فبدلا من متابعة التافهين ومن لا يستحقُّ المتابعةَ عليك بمتابعةِ من تنفعُك متابعتُهم من أهلِ العلمِ

والفضلِ وأصحابِ المحتوىٰ النافعِ الذي يعود عليك بالنفعِ في الدنيا والآخرة.

وليس كلُّ شخصٍ يستحقُّ المتابعة، ولا كلُّ محتوىٰ يستحقُّ المشاهدة، وانظرْ ما الذي استفدت من المشاهدات والقراءات للمنشوراتِ خلال السنواتِ الماضيةِ التي تُقدَّرُ بمئات الساعات وربما تصلُ إلىٰ آلاف الساعات.

وأُكَرِّرُ وأذَكِّرُ بما هو من الأهميةِ بمكان، أنْ تتقوا الله في أولادكم وبناتكم ولا تُسْلِموهم إلىٰ هذه الأجهزة دونَ متابعة ومراقبة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[1].

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم توفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا

---

(١) [التحريم:٦].

أجمعين، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين، وفي كل مكان يا رب العالمين، اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا ووالدينا عذاب القبر والنار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.







١١- خطبة جمعة بعنوان/
فضلُ العلمِ ومكانةُ المعلِّم

الحمدُ للهِ الذي علَّمَ بالقَلَم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، خلقَ الإنسانَ، وعلَّمَه البيان، وألهَمَه التبيان، أحمدُه علىٰ ما أسبغَ من العطاء وأَسبَل من الغِطاء، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، رفَعَ المؤمنين وأهلَ العلمِ درجات، وأَنزلَ المنافقين وأهلَ الجهلِ دركات، فنسألُ الله العُلا من الدرجات، ونعوذ به من الردىٰ في الدركات.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه الله علَمًا للإسلام، وإمامًا للحكام، ومعلمًا للرِّعاع، ومعَطِّلًا أحكامَ ودٍّ وسواع، فعلِم وعلَّم، وحكَم وأحكم، وأصَّلَ الأصولَ ومهَّد، وأكَّد الوعودَ وأوكد، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه الكُرَماء، وأصحابِه الرُّحَماء، ما همَر رُكام، وهدَرَ حمام، وسرَح سَوام، وسَطَا حُسام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلَن والمحافظةِ علىٰ الصلواتِ الخمسِ في أوقاتِها، وحثِّ الأهلِ



والأولادِ علىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾[(١)].

ولا يتحقّقُ لمسلمٍ التقوىٰ إلَّا إذا حافظَ علىٰ الصلاة.

أيها المسلمون: إنَّ العلمَ أشرفُ ما رغِبَ فيه الراغِب، وأفضلُ ما طلبَ وجَدَّ فيه الطالب، وأنفعُ ما كسبَه واقتناه الكاسب؛ لأنَّ شرَفَه يُثمرُ علىٰ صاحبِه، وفضلَه يُنمي علىٰ طالبِه[(٢)].

وإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بيَّنَ في كتابِهِ الكريمِ شرَفَ العلمِ وفضلَه في أكثرَ من موضعٍ، فمن ذلك: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أمر نبيَّه بطلبِ التزودِ من العلم فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾[(٣)].

قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾[(٤)] وَاضِحُ الدَّلَالَةِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِطَلَبِ الِازْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ »[(٥)].

---

(١) [طه:١٣٢].

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣١).

(٣) [طه:١١٤].

(٤) [طه:١١٤].

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤١ ط السلفية).

وأخبر عَزَّوَجَلَّ أنَّ العلماءَ لا يستوون مع غيرِهم فقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾(١).

قال بعضُ الحكماء: « ليتَ شعري أيّ شيءٍ أَدركَ من فاتَه العلم، وأيّ شيءٍ فاتَه من أدرَك العِلم »(٢).

وَاسْتَشْهَدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَقَرَنَ شَهَادَتَهُمْ بِشَهَادَتِهِ وَشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ، فقال سبحانه: فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾(٣)، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ تَعْدِيلُهُمْ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَسْتَشْهِدُ بِمَجْرُوحٍ(٤).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا يدلُّ علىٰ فضلِ العلم وأهلِهِ من وجوه:

أحدها: استشهادُهم دونَ غيرِهم من البشر.

---

(١) [الزمر:٩].

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ١٩٣).

(٣) [آل عمران:١٨].

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٤٤١ ط الكتاب العربي).

والثاني: اقترانُ شهادتِهم بشهادتِه.

والثالث: اقترانُها بشهادةِ ملائكته.

والرابع: أنَّ في ضمن هذا تزكيتَهم وتعديلَهم؛ فإنَّ الله لا يستشهِدُ من خلقه إلا العُدول، ومنه الأثرُ المعروفُ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خلفٍ عُدولُه؛ ينفونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين»[(١)].

ولما امتنَّ اللهُ علىٰ نبيِّه بما حباه وأعطاه، وفضَّلَه وأولاه، امتنَّ عليه بالعلمِ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[(٢)].

ولمَّا أراد ربُّنا أن يُظهرَ فضلَ آدمَ وشرَفَه علىٰ غيرِه علَّمَه أسماءَ كلِّ شيءٍ، ثم أمرَ الملائكةَ أن يُجيبوا علىٰ ذلك السؤال، قال

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٣١) والحديث أخرجه البزار (١/ ٨٦) حديث (١٤٣)، وهو في المشكاة (١/ ٨٢) حديث (٢٤٨) وقال: رواه البيهقي، وقال الألباني في تخريجه: ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ونقل هناك تصحيح الإمام أحمد للحديث..

(٢) [النساء:١١٣].

سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾[١]. الآيات إلىٰ آخرها، ولما أجاب آدمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ سؤالِ ربِّه بما علَّمه وألهمه، واصطفاه به من العلم وأكرمَه، تبيّن فضلُه وشرفُه علىٰ الملائكة، ثم أُمِروا بالسجودِ إكرامًا له عليه وعليهم السلام.

وفي العلمِ نجاةٌ ورفعةٌ لصاحبِه، ولذلك لمّا تهدَّد سليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الهدهدَ بسببِ غيابه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾[٢].

تباهىٰ الهدهدُ بما أحاطَ به من العلم، ونجا بالحجةِ التي جاء بها ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾[٣] أي: من العلم ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾[٤]. الآيات.

---

(١) [البقرة:٣١].

(٢) [النمل:٢٠-٢١].

(٣) [النمل:٢٢].

(٤) [النمل:٢٢].

وإنَّ العلم يُفضَّلُ به أهلُه علىٰ غيرِهم حتىٰ من غيرِ البشر، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد أباح صيدَ الكلبِ المُعَلَّمِ، وصيدُ غيرِ المُعلَّمِ ميتةٌ محرمة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾(١).

وأخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ أهلَ العلمِ هم أهلُ خشيتِهِ، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾(٢).

وأهلُ خشيتِه سبحانه هم أهلُ جنتِه، كما قال تعالىٰ في سورة البيِّنة: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾(٣).

والنبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حثَّ علىٰ طلَبِ العلمِ وبيَّن فضائلَه، وبشَّرَ بالجنة طالبَ العلمِ وحاملَه، فقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «وَمَنْ

---

(١) [المائدة:٤].

(٢) [فاطر:٢٨].

(٣) [البينة:٨].

سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

قال بعضُ العلماء: « لا تصحبْ إلا أحدَ رجلين: رجلًا تتعلمُ منه شيئًا في أمرِ دينك فينفعك، أو رجلًا تُعَلِّمه شيئًا في أمرِ دينِه فيتقبل منك، وأما الثالث فاهربْ منه »(٢).

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ أبو الدرداء: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٢).

لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَالَ إِرْثُ فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ إِرْثُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَبْرَارِ.

وكلُّ مُلكٍ يزولُ، وكلُّ مالٍ ينفدُ أو يَهلِكُ صاحبُه إلا العلم، فإنَّ أثَرَه باقٍ ونفعَه مستمرٌّ، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ. أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ. أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»**(٢).

وكم يوجدُ في التاريخِ وفي كتبِ السيَرِ من أهلِ العلمِ الذين دامَ ذكرُهم، وبقيَ أثرُهم، بسببِ حملِهم للعلمِ وتبليغِه الآخرين، ولا يُعرَفُ من أهلِ الجاهِ والثراءِ إلا النزرُ اليسير، وما ذلك إلا لأنَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥) وابن ماجه (٢٢٣) وأبو الدرداء (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

سلطانَ العلمِ يبقىٰ، ونفعَه يدوم، وصاحبه يَنتفعُ به في حياته ويُخلَّدُ ذكرُه بعد مماته:

رَضِينا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا ... لَنَا عِلْمٌ وَلِلجُهَّالِ مَالُ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ ... وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يُزَالُ

وفي وصايا الألبيري لولِدِهِ:

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَ ... إلى ما فِيهِ حَظُّكَ لو عَقِلْتَا
إلى عِلْمٍ تكونُ بِهِ إماماً ... مُطاعاً إنْ نَهَيْتَ وإنْ أمَرْتَا
يَنالُكَ نَفعُهُ ما دُمْتَ حيًّا ... ويَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إنْ ذَهَبْتَا
وتُفْقَدُ إنْ جَهِلْتَ، وأنتَ باقٍ ... وَتُوجَدُ إنْ عَلِمْتَ ولو فُقِدْتَا

والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُفضِّلُ أهلَ العلمِ ويُقدِّمهُم علىٰ غيرهم، ففي الصلاةِ يُقدَّمُ الحافظُ علىٰ غيرِه، وفي الولايةِ يُقدَّم العالمُ العادلُ الحازمُ علىٰ غيرِه، وحتىٰ في الدَّفنِ كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**». فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ[1].

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويُروىٰ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «كفىٰ بالعلمِ شرفًا أنْ يدَّعيَه من لا يُحسِنه، ويفرحَ به إذا نُسبَ إليه، وكفىٰ بالجهلِ ضَعةً أنْ يتبرأَ منه من هو فيه، ويغضبَ إذا نُسبَ إليه»[1].

وقال الشاعر الأبرش:

تعلَّمْ فليس المرءُ يولدُ عالمًا ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وإن كبيرَ القومِ لا علمَ عنده ... صغيرٌ إذا التفَّت عليه المحافلُ[2]

ويؤثَرُ عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لأن أتعلَّمَ مسألة أحبّ إليَّ من قيامِ ليلة». وقال أيضًا: «كنْ عالمًا أو متعَلِّمًا أو مستمعًا، ولا تكنِ الرابعَ فتهلِك»[3].

فالعلمُ وأهلُه فيهم نفعٌ للعباد والبلاد، كالغيثِ النافع للعباد والبلاد، كما فِي حديثِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ**

(١) المجموع للنووي (١/ ٤١)، وتذكرة السامع لابن جماعة (١/ ٨).
(٢) الحلم لابن أبي الدنيا (٧٥).
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٩).

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

والشاهد منه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّنَ أنَّ العلمَ وأهلَه فيهم النفعُ للعبادِ والبلاد.

وما تقدَّمَ ذكرُه من فضائلِ العلمِ لاشكَّ أنَّ المعنيَّ به هو علمُ الشريعةِ في المقامِ الأول، لقولِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (٢). ثم يدخلُ في تلك الفضائلِ كلُّ علمٍ نافعٍ للناس، فبقدرِ متعلَّقِ العلمِ وموضوعِه وانتفاعِ الناسِ به ينالُه هذا الفضل، ويصلُه من هذا الحظِّ والشرف.

---

(١) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢)، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريمِ والسنةِ الشريفةِ، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكم المُنيفة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فعلىٰ قدْر فضلِ العلمِ وشرفِه، ينالُ المعلمُ من ذلك الفضلِ والشرف، وكفىٰ المعلمين شرفًا وفخرًا أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعثَ مُعلِّمًا، كما في دعاء الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾[1].

وفي الصحيحِ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»[2].

---

(١) [البقرة:١٢٩].

(٢) رواه مسلم (١٤٧٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فالذي يقتضيه الحالُ أنَّ المعلمَ وأهلَ العلمِ ينالون من الشرف بقدر ما في العلمِ من الشرف، فينبغي للمسلمين جميعًا أنْ يعرفوا للمعلمين حقَّهم، لا سيما الطلاب منهم.

واحترامُ المعلمِ أمرٌ حثَّ عليه الإسلام وتقتضيه المروءة، أما اقتضاء المروءة له: فإنَّ هذا المعلمَ يعلمُ الناسَ الخيرَ، ويَبذُلُ لهم أفضلَ ما يُمكنُ أنْ يُبذل، لأنَّ بذلَ العلمِ أفضلُ من بذلِ المالِ، ومِنْ بذلِ المنافع الدنيوية، فالمنافعُ الدنيويةُ يُمكن أنْ تتأتىٰ من أيِّ أحدٍ من الناسِ، ونفعُها مؤقّتٌ، وأما العلمُ فلا يَبذُله إلا أهلُه الذين قضوا في تحصيلِه السنواتِ الطّوال، ويبقىٰ نفعُه ما بقيت الحياة، فمن المروءةِ أن يُكافأ المُعلّمُ علىٰ تعليمِه، وأن يُقابلَ بالاحترام والتوقير، والمحبةِ والتقدير.

وأما من ناحيةِ الدينِ؛ فإنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا! وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٧) والحاكم في المستدرك (٤٢١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

فينبغي للطلابِ أنْ يعرفوا لمعلميهم حقَّهم وأن يوقروهم، فإذا فعلوا ذلك استفادوا من العلم وانتفعوا به بفضلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولقد كان عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد موتِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأتي إلىٰ بيوتِ كبار الصحابةِ ويتعلمُ منهم العلم، حتىٰ إنه قال: «إِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَىٰ بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَىٰ وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ»[١].

وكان ابن عباسٍ إذا رأىٰ أُبيًّا يسيرُ علىٰ ناقةٍ كان يُمسِكُ بخطامِها، فيقال له: أتفعلُ هذا برجلٍ من الأنصارِ وأنت ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فيقول: إنه ينبغي للحَبرِ أن يُعظَّم ويشرّف[٢].

---

(١) مسند الدارمي (٥٩٠).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٨٨). الحبر - بالفتح -: هو العالم، وأيضًا يجوز قول الحِبر - بالكسر -.

ورأىٰ زيد بن ثابت فأخذ بركابِ ناقتِه ليركب، فيقال له: تفعل ذلك وأنت ابن عم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**هكذا أُمِرنا أنْ نصنعَ بعلمائنا**»(١).

فينبغي أن يُحترمَ المعلِّمُ وأن يُعرفَ له قدرُه، وأنْ يوقَّرَ لما عنده من الخير ولِما يَبذلُه من النفع.

وإذا ذهب العلمُ وأهلُه، فسدتْ الأحوالُ وكثُرَ الإضلال، ورجع الناسُ في فتواهم إلىٰ الجُهَّال، فيقعون في الضلال، كما صح بذلك الأثر عن خيرِ البشرِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوسا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٢).

هذا وإنَّ العلمَ والتعليمَ طريقٌ إلىٰ كلِّ خيرٍ، فلا يمكنُ أنْ ينجحَ الناسُ في أمورِ دينهم ودنياهم إلا من طريقِ التعلُّم والتعليم،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٨٨).

(٢) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



فالحاجةُ إلىٰ العلمِ ماسةٌ جدًّا، ولذلك قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « النَّاسُ إِلَىٰ الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَتُهُ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ »[1].

حياةُ الْفَتَى وَاللهِ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى ... إِذَا لَمْ يَكُونَا لا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَياتِهِ

عباد الله: صلُّوا وسلِّموا علىٰ خير البرية، وأزكىٰ البشرية، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغُرِّ الميامين، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين المَرْضِيِّين: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين، ومن سار علىٰ نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠ ط الكتاب العربي)

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا، والربا والزنا، والزلازل والمِحَن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم اجمعهم علىٰ الحق والهدىٰ، اللهم احقِن دماءهم، وآمِنهم في ديارهم، وأرغِد عيشهم، وأصلِح أحوالهم، واكبِت عدوهم، اللهم وانصر المُستضعَفين من المسلمين، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكانٍ يا رب العالمين، واجمعهم علىٰ الحق والهدىٰ يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب القبر والنار، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.



١٢- خطبة جمعة بعنوان/

الإخبار بما في الزلازل من المواعظ والاعتبار

الحمدُ للهِ الذي امتنَّ علىٰ عبادِه بقرارِ الأرض، ومهَّدَها للعيشِ فيها والسيرِ في طولِها والعَرْض، أحمدُه عددَ ما أُطيعَ بكلِّ نافلةٍ أو فرْض، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، يُفقِدُ الأرضَ قرارَها إذا شاء، له المُلك والحكمُ والتصرُّفُ في الأرضِ والسماء، يَحْكُمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريد، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحُكمِهِ، ولا غالبَ لأمرِه، آمنَّا بذلك كُلِّه، وأيقنَّا أنَّ كُلًّا من عندِه، لا إلهَ إلا هو ربُّ العرشِ العظيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيّدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين:

وأوفر كلِّ خلق اللهِ حظًّا ... من الإكرام خيرُ المرسلينَ

فصلى اللهُ ربي كلَّ وقتٍ ... على المختار خير العالمينَ

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

منْ يُطِعِ اللهَ رسولَه فقدْ رَشَد، ومن يَعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾(١).

أيها الناسُ عبادّ الله: إنَّ الله سبحانه يبتلي عبادَه بما يشاء من الآيات، ويُريَهم ما يختارُ من المعجزات، وفي بعضها نفعٌ ظاهرٌ للعباد، وفي البعض الآخر ابتلاءٌ ولله حكمةٌ فيما أراد، ومن تلك الأحداثِ العظيمةِ، والنوازلِ العميمة، حوادثُ الزلازلِ والفيضانات، التي تُعجز الأفراد والحكومات، فلا يستطيعون ردَّها، ولا يُمكنهُم حدَّها، بل ينفذُ القضاء النازل، ويقعُ البلاء الواصل، وما علينا إلا الإيمان بالقضاءِ والقدر، والأخذ بأسبابِ الحيطةِ والحذَر.

وينبغي لكلِّ عاقلٍ أنْ يعتبرَ ويتَّعِظَ بما يجري، من هذه الحوادثِ العظيمةِ، والنوازلِ الجَسيمة، والمصائبِ الأليمة، التي تُغيّرُ حياةَ آلافِ البَشر، وتُقِضُّ مضاجعَ ذوي الألباب والفِطَر،

(١) [الأنعام:١٣٤].

ففيها مواعظُ وعِبَر، وآياتٌ لذوي الفِكَر، فمن تلك الآيات، ومن هذه العِبرِ والعِظَات، التي تُذَكِّرُ بها النوازلُ الملمّات، والحوادثُ المُدلَهِمَّات:

أنْ يتذكَّرَ الإنسانُ عظيمَ نعمةِ اللهِ على بقيةِ الخلقِ باستقرارِ الأرض، وسكونِها وتذليلِها، وقد أخبر اللهُ عن ذلك في كتابِه في كثيرٍ من المواضعِ والمواطِن، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[3].

---

(١) [البقرة:٣٦].

(٢) [النمل:٦١].

(٣) [غافر:٦٤].

وتخيلْ - أيُّها المسلم - لو كانتِ الأرضُ تتحركُ، وتضطرِبُ، وتَميد، وتَمُورُ، وترتجف بأهلها، كيف ستكونُ الحياة؟ وكيف سيعيشُ الناس؟

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ذَكَرَ الله تَعَالَىٰ الْأَرْضَ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الرَّوَاسِي الشَّامِخَاتِ وَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، لِتَقِرَّ الْأَرْضُ وَلَا تَمِيدُ، أَيْ: تَضْطَرِبُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَوَانِ فَلَا يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾[1] ، وعَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادة: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ، جَعَلَتْ تَمُورُ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمُقِرَّةٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَحَدًا، فَأَصْبَحَتْ صُبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا، وفي رواية: فَأَصْبَحُوا وَقَدْ خُلقت الْجِبَالُ، لَمْ تَدْرِ الْمَلَائِكَةُ مِمّ خُلِقَتِ الْجِبَالُ »[2].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥﴾[3]. أي: ثبَّتها لئلَّا تتحركَ

---

(١) [النازعات:٣٢].

(٢) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٤/ ٥٦٣).

(٣) [النحل:١٥].



وتضطربَ بالساكنين فيها، وما في باطن الأرضِ من حجمِ الجبالِ أضعافُ ما يظهرُ علىٰ ظهرها منها، فهي نعمةٌ عظيمةٌ أن نعيشَ بقرارٍ وسكونٍ؛ فيجبُ علينا أن نشكرَ اللهَ علىٰ هذِه النعم، وأن نحمدَه علىٰ ذلك كثيرًا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « مِنْ نِعمَ الله علىٰ خلقِه التي ذكرَها في كتابِه وبيَّنَ عظيمَ مِنَتِه عليهم بها: إلقاؤه الجبالَ في الأرضِ لتثبتَ ولا تتحرك، وكرَّر الامتنانَ بهذه النعمةِ في القرآن، كقوله: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾[1] وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾[2] الآية، وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾[3] وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢﴾[5] والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا، ومعنىٰ تميد: تميلُ وتضطرب.

---

(١) [النبأ:٦-٧].

(٢) [الأنبياء:٣١].

(٣) [المرسلات:٢٧].

(٤) [لقمان:١٠].

(٥) [النازعات:٣٢].

وفي معنىٰ قوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وجهان معروفان للعلماء:

أحدهما: كراهة أنْ تميدَ بكم.

والثاني: أنَّ المعنىٰ: لئلّا تميدَ بكم، وهما متقاربان» [(١)].

ومما تُذكرُ به تلك الحوادثُ والنوازل: أنَّ العاقلَ لا يأمنُ مكرَ الله، ولا يغفُل عن تذكُّرِ قدرةِ الله، لا سيّما وعواقبُ الله تتنوعُ، وآياتُه تتجددُ، فتأتي أحيانًا في صورة الخسف، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [(٢)].

وتأتي أحيانًا بصورة الرياحِ القواصِفِ التي لها قوةٌ وسرعةٌ تُدَمِّرُ كلَّ ما أتتْ عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [(٣)].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٠٦ ط عطاءات العلم).

(٢) [الملك:١٦-١٧].

(٣) [الإسراء:٦٨-٦٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾[1].

فآياتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرةٌ فلا ينبغي أن نأمنَ مكرَ الله، وكيف يأمنُ العاصي وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥﴾[2].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ﴾ أي: كَمَا خَسَفَ بِقَارُونَ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥﴾ أي: لَا يَشْعُرُونَ بِهِ فِي حَالِ غَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ وَغَيْرِهِمْ، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ وُجُوهًا فَقِيلَ: الْمُرَادُ فِي أَسْفَارِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ، فَإِنَّهُ

(١) [العنكبوت:٤٠].

(٢) [النحل:٤٥].

سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُهْلِكَهُمْ فِي السَّفَرِ كَمَا يُهْلِكُهُمْ فِي الْحَضَرِ، وَهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ بِسَبَبِ ضَرْبِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَالْقَلْبُ بِهذا المعنىٰ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦﴾[1]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ فِي حَالِ تَقَلُّبِهِمْ فِي قَضَاءِ أوطارِهم بِوُجُودِ الْحِيَلِ، فَيَحُولُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَقَاصِدِهِمْ وَحِيَلِهِمْ، وهذا المعنىٰ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾[2]، وَقِيلَ: فِي حَالِ تَقَلُّبِهِمْ فِي اللَّيْلِ عَلَىٰ فُرُشِهِمْ، وَقِيلَ: فِي حَالِ إِقْبَالِهِمْ وَإِدْبَارِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ٤٦﴾[3] أَيْ: بِفَائِتِينَ وَلَا مُمْتَنِعِينَ، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[4] أَيْ: حَالَ تَخَوُّفٍ وَتَوَقُّعٍ لِلْبَلَايَا بِأَنْ يَكُونُوا مُتَوَقِّعِينَ لِلْعَذَابِ حَذِرِينَ مِنْهُ غَيْرَ غَافِلِينَ عَنْهُ، فَهُوَ خِلَافُ مَا تَقَدَّمَ

(١) [آل عمران:١٩٦].

(٢) [التوبة:٤٨].

(٣) [النحل:٤٦].

(٤) [النحل:٤٧].

مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾، وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: عَلَىٰ تَنَقُّصٍ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، أَيْ: عَلَىٰ تَنَقُّصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمْ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: قَالَ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ: عَلَىٰ تَخَوُّفٍ، قَالَ: تَنَقُّصٍ إِمَّا بِقَتْلٍ أَوْ بِمَوْتٍ، يَعْنِي بِنَقْصٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ وَنَوَاحِيهِمْ يَأْخُذُهُمُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْأَخْذُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ »[١].

وعلىٰ جميعِ الأقوال، وفي كلِّ الأحوال، فإنَّ المرادَ أنْ يحذرَ الإنسانُ من أنْ يُباغتَه العذابُ، أو يُفاجئه بأسُ الله وهو علىٰ غفلةٍ لا يدري ماذا ينزلُ به، ولا يعلمُ ما يَحُلُّ بساحته.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[٢].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٩٨).

(٢) [الأعراف:٩٧-٩٩].

وقد ذمَّ الله الذين لا يعتبرون بالآيات، ولا يتَّعِظُون بما يرون من الحوادثِ والعِظات، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾(١)، ومعنىٰ الغاشية: أنها تغشىٰ الجميعَ وتعمُّهُم، فلا يُنجِي ذا المالِ مالُه، ولا يُنجِي ذا الجاهِ جاهُه، ولا يُنجي ذا العشيرةِ عشيرتُه، ولا يُنجي ذا السلطانِ سلطانُه.

ألا ترون تلك الدولَ التي أعطاها اللهُ من القُدراتِ والصناعاتِ والآلاتِ ما أعطاها، لا تستطيعُ أن تفعلَ شيئًا أمامَ أمرِ الله إذا نزل، بل يعجزُ الجميعُ أمام ذلك، إذا جاء أمرُ الله فلا يستطيعُ أحدٌ ردَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾(٢).

---

(١) [يوسف:١٠٥-١٠٧].

(٢) [الرعد:١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾[1]، جاءها بأسُ الله بياتًا أي: في الليل، أو هم قائلون، أي: وقتَ القيلولةِ بالنهار.

فبأسُ اللهِ - يا عبادَ الله - إذا نزلَ بقومٍ فلا يُفرِّقُ بين هذا وهذا غالبًا، بل يعمُّ الصالحَ والطالح، والبرَّ والفاجرَ، والمؤمنَ والمنافق، والتقيَّ والشقي، ولكن من كان عملُه صالحًا، ونيّتُه سليمةً، فإنَّ ذلك نافعُهُ عند اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن كان علىٰ غيرِ ذلك فقد خسرَ في الدنيا، ولعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقىٰ، فعلىٰ العاقلِ أنْ يُراجعَ حسابَه مع اللهِ، وأن يتوبَ إلىٰ اللهِ سبحانه، وأنْ يُصلحَ ما بينه وبينَ ربِّه، وما بينَه وبينَ الناس، ولا يأمننَّ أحدٌ مكرَ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تظنّ أنَّ هذه الحوادثَ خاصةٌ بأرضٍ دونَ أرضٍ، أو ببلدٍ دون بلد، أو بقومٍ دون آخرين، ففي حديث عائشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» فقالت عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) [الأعراف:٤].

اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ - تعني: قد يكونُ في هؤلاء الناسِ من ليس غازيًا للكعبةِ، وفيهم من هو ساعٍ في طلَبِ المعاش، وفيهم من له أغراضٌ أُخرىٰ، وقد يكونون صالحين، فكيف يُخسفُ بالجميع؟ - فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ علىٰ نياتهم**»[(١)].

هكذا أخبر النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون علىٰ نيّاتِهم، فمن كان من أهلِ الصلاحِ، كانت تلك النوازلُ كفارةً له ورفعةً في درجاتِه وكان من الشهداء بمشيئة الله، ومن كان علىٰ غير ذلك فالويل له.

فاتقوا الله يا عباد الله، ولا ينامَنَّ أحدٌ إلا وقد جدَّد العهدَ فيما بينه وبين الله، وأعلنَ التوبةَ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مما هو فيه من المعاصي، لا تنمْ إلا علىٰ نيةِ الاستيقاظِ للصلاةِ والمحافظةِ عليها، فإنَّ من ينامُ وهو ينوي أنْ لا يستيقظَ لصلاةِ الفجرِ، أو أنْ

---

(١) رواه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤).

لا يصليَها بالكلية، أو يصليها عند ذهابِه للعملِ؛ هذا ينام علىٰ نيةٍ تُشبهُ نياتِ المنافقين، لأنَّ تركَ الصلاةِ والتهاونَ بها من أعمال المنافقين، وكم من الناسِ اليوم ينامون علىٰ هذه النية الفاسدة، وعلىٰ هذه النية التي تُنافي شكرَ اللهِ وتقواه، يَنوي أنْ يستيقظَ للعملِ، ويأخذَ في سبيلِ ذلك كلَّ ما يستطيعُ من الاحتياطاتِ والمُنبِّهات، لكن الصلاة يهملُها وكأنها لا تعنيه، فمثل هذا ينام علىٰ نية نفاق، - ولست أحكم بالنفاق علىٰ كل الناس لكن هذه النية نية ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها نية نفاق -.

وتخيَّلْ أن يأتيَ بأسُ الله سبحانه وأنت علىٰ هذه النية، كيف ستواجهُ ربك؟ إذا قال لك يوم القيامة: يا عبدي أنعمتُ عليك وأمَّنْتُك وذلَّلتُ لك الأرض؛ بسطتُها ومهدتها ودحيتُها، وسكّنتُها لتسيرَ عليها وتسكنَ فيها وتأمن، وسخرتُ لك الأرضَ وما فيها وجعلتُك تَرأسُ وتَربَعُ، وضمنتُ لك الرزقَ والأمانَ في أهلك وولدك ومالك؛ فكيف تستعد للعملِ الدنيوي بكل ما تستطيع؟ ولا تستعدُّ للصلاة وكأنها لا تعنيك؟ فعلينا أن نتوبَ إلىٰ اللهِ، وأن

نحافظَ علىٰ الصلاةِ التي هي من شكرِ اللهِ سبحانه، ولنحرصْ علىٰ إقامتِها وحثِّ أهلينا وأولادنا علىٰ إقامتِها، فإنه لا قيامَ لدينٍ ولا سعادةَ في دنيا إلا بإقامةِ الصلاة.

فعلينا بمراقبةِ الله، ولنجددِ العهدَ فيما بيننا وبين الله، ولنعلم أننا ما خُلقنا في هذه الحياةِ إلا للتزودِ للدار الآخرة، ففيها المُسْتَقر وهي الحيوان.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفَد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحمد، وصلىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ أفضلِ المُصطَفين محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تعبَّد.

أمَّا بعد: فإن مما تُذكِّرُ به تلك الأحداثُ العظيمةُ التي تُؤثر علىٰ الناس، وتُظهر عجزهم أمامَ قُدرةِ الله سبحانه: التذكيرُ بأحوالِ الناسِ يومَ القيامة، ذلك اليوم الذي قال الله عنه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾[1] يومُ القيامة، قال عنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾[2]. يوم القيامة، قال عنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾[3].

---

(١) [القيامة:٧-١٢].

(٢) [الطور:٩-١٠].

(٣) [الواقعة:٤-٦].

يوم القيامة، قال عنه سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾(١).

يوم القيامة، قال عنه ربُّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣﴾(٢).

إنه يومٌ عظيم؛ ليس كمثلِه يوم، ويُذكِّرُك به ما يحصلُ من الزلازلِ والفيضانات التي تُهلك الحرثَ والنَّسْل، وتأتي علىٰ الأخضرِ واليابس، عند أنْ ترىٰ أحوالَ الناس إذا تحركت الأرضُ بضعَ دقائقَ أو ثوانٍ لا تصلُ إلىٰ الدقائق، كيف يظهرُ عجزُهم، وتبورُ حيلُهُم، وتَخُورُ قواهم وعزائمهم، وما زالوا يرجون النجاة ويُؤمِّلون السلامة، كيف إذا جاء ذلك اليوم؟ الذي فيه ما فيه وبعدَه ما بعدَه.

---

(١) [الحاقة:١٣-١٦].

(٢) [الفجر:٢١-٢٣].

فاتقوا يا عباد الله، وراجعوا حساباتِكم مع ربِّكم ومع الخلق، انظرْ في صلاتِك، في إخراجك زكاة مالِك، في صيامِك، في صِلةِ أرحامك، في مكسبِك للأموال؛ أمن حلالٍ أم من حرام، في حقوقِ الخلقِ عندك.

انظرْ في قلبِك ماذا فيه من الكبر، والعجب، والغرور، والتعالي علىٰ الناس، والشحناء، والبغضاء.

انظرْ في إيمانك؛ هل تحبُّ طاعةَ الله وتقدِّمُها علىٰ دنياك؟ أم أنك منشغل بالدنيا؟

عبادَ الله: إنَّ العاقلَ إذا تأمَّلَ الأمر، وجد أنَّ المشكلةَ ليست في الموت ذاتِه، فكلنا سنموتُ وقد تتعددُ الأسباب، وتتنوعُ الأحوال؛ فهذا يموت في بيته علىٰ فراشه، وهذا يموتُ في سرير المشفىٰ، وهذا يموتُ في سيارتِه، وهذا يموتُ في عملِهِ، وهذا يموتُ في مكانِ اللهو والعبث والمرح، فالموتُ ليس مشكلة في ذاته، ولكن المشكلةَ في الحالِ التي يموتُ عليها الإنسان، فيكف حالُك عند الموت؟ وعلىٰ أيِّ شيءٍ تموت؟ وبماذا تلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

الموتُ لا يضرُّ من مات، فهو قد انتقل إلىٰ حياةٍ أخرىٰ، وإلىٰ دارٍ أخرىٰ، لكن علىٰ أيِّ حالٍ يموت الإنسان؟ هذا ما ينبغي أنْ نجعلَه نُصبَ أَعيُنِنا.

فعلينا أنْ نصحوَ من غفلتِنا، وأنْ نحرصَ علىٰ صلاحِ أنفسِنا ومن يلينا، فإن هذا هو الأهم.

ولا يدري الإنسان من أين يأتيه بأسُ الله، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لَمَّا نَزَلَ علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[1]. قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾. قال: «هاتان أهون، أو: أيسر»[2].

وقد كان من دعائه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي يردده كثيرًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ،

---

(١) [الأنعام:٦٥].

(٢) رواه البخاري (٦٨٨٣).

وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[(١)]. وهذه الحوادث والمصائب من فُجاءة النقم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»[(٢)].

فنحتاجُ إلىٰ كثرةِ اللجوءِ إلىٰ الله، وشدةِ الاعتصامِ بحبلِه، ودوامِ التوكلِ عليه، وتفويضِ جميعِ أمورِنا إليه.

هذا، وصلوا وسلموا علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وحجةً علىٰ الناسِ أجمعين، فإن الله قد أمر بذلك في كتابه الكريم، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[(٣)]، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٧) ومسلم (٢٧٠٧).

(٣) [الأحزاب:٥٦].

وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ، والتقىٰ، والعفاف، والغنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقـًا وارزقنا اتباعه، وأَرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم انصرْ من نصر الدين، واخذل من يَخذلُ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائرَ بلاد المسلمين، اللهم اجعلْ خيرَ أعمالِنا آخرها، وخير أعمالِنا خواتِمها، وخير أيامِنا يومَ نلقاك، اللهم أَحسنْ خاتمتَنا وعاقبتَنا في الأمورِ كلها وأجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها، دِقَّها وجِلَّها، أولها وآخرها، علانيتها وسرها.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وأقم الصلاة.





١٣- خطبة جمعة بعنوان/

القولُ المقصود في بيان حقيقة اليهود

الحمد لله الذي بيَّن حالَ اليهودِ في القرآن، وعلىٰ لسانِ سيدِ ولدِ عدنان، أحمدُه في جميعِ الأحيان، وأشكرُه بالقلبِ والجوارحِ واللسان.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، نهانا عن مشابهةِ اليهود، وأخبرنا أنّهم أهلُ غدرٍ ونكثٍ للعهود، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، إمامُ الأتقياء، وخاتم الأنبياء، وسيدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه الكُرماء، وأصحابِه الرُّحَماء، ما لَمَعَ آل، ومَلَعَ رال، ورُؤيَ هِلال، وسُمِعَ إهلال.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[١].

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ تعالىٰ أمرَنا في كتابِه الكريمِ أنْ نسألَه الهدايةَ إلىٰ الصراطِ المستقيمِ في كلِّ صلاة، صراطِ الذين أنعمَ الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأنْ يُعيذنا من أن نسلكَ صراطَ المغضوبِ عليهم أو الضالين.

وإنَّ المغضوبَ عليهم الذين ندعو الله في كل صلاةٍ أنْ يُجَنِّبَنا سبيلَهم، وأنْ لا يبتليَنا بسلوكِ طريقِهم: هم اليهود، روىٰ الطبري في تفسيرِه عن ابنِ مسعود - وعن ناسٍ من أصحابِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم قالوا في قوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]، هم اليهود، وبهذا فسَّره ابنُ عباس ومجاهدُ وابنُ زيد وغيرُهم من الأئمةِ المفسرين [2].

هؤلاء اليهودُ استحقّوا غضبَ الله ووُسِموا به؛ بسببِ أفعالِهِمُ الشنيعةِ، ومخالفاتِهم الفظيعة، وعصيانِهم لكلِّ ملّةٍ وشريعة، فلقد تكررتْ جرائمُهُم، وتتابعتْ غوائلُهم، وقلَّت فضائلُهم، وانتشرتْ رذائلُهم، وأساؤوا الأدب مع خالقِهم، ومع أنبيائه ورسلِه إليهم.

(١) [الفاتحة:٧].

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (١/ ١٨٨).

وإذا أردتَ أنْ تعرفَ بعضَ أعمالِ اليهودِ وأخلاقِهم التي استحقّوا غضبَ الله بسببها فهذا: (القولُ المقصودُ في بيانِ حقيقةِ اليهود)، فيه بعضُ الحقائقِ الثابتة، من صفاتِ وأفعالِ اليهودِ في الأزمنةِ الفائتة، وهذه العصا من تلك العُصيَّة، ولا تلدُ الحَيَّةُ إلا حُييَّة.

والعلمُ بحالِهم من الأمورِ المهمة؛ حتىٰ يتعرَّفَ المسلمُ علىٰ أعداءِ الله وأعداءِ المسلمين، فيحذرَ من موالاتِهم أو تصديقِهم أو الاغترارِ بهم أو التشبُّهِ بهم في أفعالهم، أو الوقوعِ في حبائلهم، ولأهميةِ معرفةِ ذلك فقد تكرَّرَ ذكرُ حالهم وبيانُ حقيقتِهم في القرآن الكريم.

إنَّ اليهودَ أساؤوا الأدبَ مع اللهِ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فقالوا قولًا عظيمًا، وافتروا إفكًا مبينًا، في مقالاتٍ متعددة، وافتراءاتٍ متجددة، فمن ذلك اتهامهُم الغنيَّ الجبارَ بالفقر والقلةِ والإقتار، ونزلت فيهم الآيات، تُنكر تلك الافتراءات.

وقد جهَروا بذلك، لما دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَىٰ يَهُودَ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ،

يُقَالُ لَهُ فِنْحاص، وَكَانَ من علمائهم وأحبارِهم، ومعه حَبْر مِنْ أَحْبَارِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: أشْيع، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِفِنْحَاصٍ: وَيْحَكَ! يَا فِنْحَاصُ! اتَّقِ اللهِ وأسْلمْ؟ فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَرَسُولُ اللهِ، قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ. فَقَالَ فِنْحَاصُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا بِنَا إِلَىٰ اللهِ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ، وَمَا هُوَ عَنَّا بغني، ولو كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَنَا أموالَنا، كَمَا يَزْعُمُ صاحبُكم، يَنْهَاكُمْ عَنْ الرِّبَا ويُعْطيناهُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا، قَالَ: فغضِب أَبُو بَكْرٍ، فَضَرَبَ وجْهَ فِنْحَاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أيْ عدوَّ اللهِ. قَالَ: فَذَهَبَ فِنْحاص إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اُنْظُرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صنعتَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَدُوَّ اللهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا: إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَأَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ غضبتُ لِلَّهِ مِمَّا قَالَ،



وَضَرَبْتُ وَجْهَهُ. فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنحاص، وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا قَالَ فِنْحَاصُ رَدًّا عَلَيْهِ وَتَصْدِيقًا لِأَبِي بَكْرٍ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ١٨١﴾[1]، [2].

ولم يكتفِ اليهودُ بذلك، بل اتهموا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالبخلِ؛ فقالوا كما قال الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾[3] ثم ردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾.

قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا خبرٌ من الله تعالىٰ ذِكرُه عن جُرأةِ اليهودِ علىٰ ربِّهم، ووصفِهم إياه بما ليس من صفتِه، توبيخًا لهم

---

(١) [آل عمران:١٨١].

(٢) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٥٨) وتفسير الطبري (٦/ ٢٧٨) وفتح القدير للشوكاني (١/ ٤٦٦) وحسنه الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣١) وذكره الوادعي مختصرًا في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/ ٦٨) ونقل تحسين ابن حجر والسيوطي في نفس المصدر.

(٣) [المائدة:٦٤].

بذلك، وتعريفًا منه نبيَّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قديمَ جهلِهِم واغترارِهِم به، وإنكارِهِم جميعَ جميلِ أياديهِ عندَهم، وكثرة صفحِهِ عنهم وعفوِه عن عظيمِ إجرامهم... يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾، من بني إسرائيل ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، يعني بذلك: أنهم قالوا: إنَّ اللهَ يبخلُ علينا، ويمنعُنا فضلَه فلا يُفْضِل، كالمغلولةِ يدُه الذي لا يَقْدِرُ أنْ يَبسُطَها بعطاءٍ ولا بذلِ معروف، تعالىٰ اللهُ عما قالوا، أعداء الله، فقال اللهُ مكذِّبَهم ومخبرَهم بسخَطه عليهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: أُمسِكتْ أيديهم عن الخيرات، وقُبِضتْ عن الانبساطِ بالعطيّات، ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾، أي: وأُبعِدوا من رحمةِ اللهِ وفضلِه بالذي قالوا من الكفر، وافترَوا علىٰ اللهِ وما وصفوه به من الكذب والإفك، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، يقول: بل يداه مبسوطتان بالبذلِ والإعطاءِ وأرزاقِ عبادِه وأقواتِ خلقِه، غيرُ مغلولتين ولا مقبوضتين، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، يقول: يعطي هذا، ويمنعُ هذا فيقتِّرُ عليه، عن ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ليس يَعنون بذلك أنَّ يدَ الله مُوثَقَةٌ،

ولكنهم يقولون: إنه بخيلٌ أمسكَ ما عندَه، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا »[(١)].

بل كذَبوا علىٰ اللهِ سبحانه، ونسبوا إليه الولدَ، قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾[(٢)].

عن ابنِ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتىٰ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، وَنُعْمَانُ ابْن أَوْفَىٰ، وَشَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، فقالوا: كيف نتّبعُك وقد تركتَ قِبْلتنا، وأنت لا تزعمُ أنّ عُزيرًا ابنُ الله؟ فأُنزِلَ في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ الآية كسابقها»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان (١٠/ ٤٥٠).

(٢) [التوبة:٣٠].

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٤٥٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٥٧٠) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٩٧٧ (٥٤٥٩) والواحدي في أسباب النزول (ص/ ١١٥) وذكر نحوه الوادعي في الصحيح =

وقد أساء اليهودُ الأدبَ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه؛ فمن شدةِ حقدهِم وعداوتِهم للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنوا بالجبتِ والطاغوت، وكفروا بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهِدوا بأنَّ كفارَ قريش أهدىٰ من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومِن أصحابِه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[١]، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَرَجُلَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ لَقِيَا قُرَيْشًا بِمَوْسِمٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: أَنَحْنُ أَهْدَىٰ أَمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ؟ فَإِنَّا أَهْلُ السِّدَانَةِ وَالسِّقَايَةِ وَأَهْلُ الْحَرَمِ. فَقَالَا: لَا، بَلْ أنتم أَهْدَىٰ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ. وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّهُمَا كَاذِبَانِ، إِنَّمَا حَمَلَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ حَسَدُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ»[٢].

= المسند من أسباب النزول موصولًا عن ابن عباس (ص/ ٧٧) وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن الراجح إرساله.

(١) [النساء:٥١].

(٢) تفسير الطبري جامع البيان (٧/ ١٤٦).

وأساؤوا الأدب مع عيسى ابن مريم وأمه عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ، قال تعالىٰ:

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾(١).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦﴾ يَعْنِي: بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَرَمْيِهِمْ إِيَّاهَا بِالزِّنَا، وَهُوَ الْبُهْتَانُ الْعَظِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ رَمَوْهَا بِذَلِكَ وَهِيَ مِمَّا رَمَوْهَا بِهِ بِغَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا بُرْهَانٍ بَرِيئَةٌ، فَبَهَتُوهَا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ رَمَوْهَا بِالزِّنَا »(٢).

---

(١) [النساء:١٥٥-١٥٨].

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٧/ ٦٤٩).

وكذلك أساء اليهودُ الأدبَ مع ملائكةِ الله سبحانه، فمن شدةِ عداوتهم للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظهروا العداوةَ لجبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجهروا بذلك، فأنزل اللهُ فيهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[(١)].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ جَوَابًا لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوٌّ لَهُمْ، وَأَنَّ مِيكَائِيلَ وَلِيٌّ لَهُمْ »[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ، قَالَ: فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾[(٣)]

---

(١) [البقرة:٩٧-٩٨].

(٢) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٢/ ٢٨٣).

(٣) [يوسف:٦٦].

- ثم لَمَّا أجابَهم عن جميعِ أسئلتهم - قَالُوا: صَدَقْتَ، أَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا يَأْتِيهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالرِّسَالَةِ وَبِالْوَحْيِ فَمَنْ صَاحِبُكَ؟ فَإِنَّهُ إِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ حَتَّى نُتَابِعَكَ قَالَ: «هُوَ جِبْرِيلُ» قَالُوا: ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَبِالْقَتْلِ ذَاكَ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ، وَالرَّحْمَةِ تَابَعْنَاكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالَى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[2]»[3].

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: « قَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا، أُمِرَ أَنْ يَجْعَلَ النُّبُوَّةَ فِينَا، فَجَعَلَهَا فِي غَيْرِنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ »[4].

وكذلك أساؤوا الأدبَ مع الكتبِ المنزلةِ من عندِ اللهِ سبحانه، فقد حملَهُم الحقدُ على النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحسدُ له على إنكارِ

---

(١) [البقرة:٩٧].

(٢) [البقرة:٩٨].

(٣) السنن الكبرى - النسائي - ط الرسالة (٨/ ٢١٨) رقم (٩٠٢٤)

(٤) أسباب النزول للواحدي النيسابوري الشافعي (ص٣٤).

نزولِ الوحيِ من السماء، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[١].

وتارة يدَّعون الإيمانَ بالتوراةِ ويكفرونَ بما بعدَها من الكتب، مع أنَّ التوراةَ تأمرُهم بالإيمان بالكتبِ المنزلةِ علىٰ الأنبياء من بعدِ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ﴾[٣]؛ لِأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَفِي الْإِنْجِيلِ

---

(١) [الأنعام:٩١].

(٢) [البقرة:٩١].

(٣) [البقرة:٩١].

وَالْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مِثْلُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي تَوْرَاةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْيَهُودِ إِذْ خَبَّرَهُمْ عَمَّا وَرَاءَ كِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ: إِنَّهُ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ الَّذِي مَعَهُمْ، يَعْنِي أَنَّهُ لَهُ مُوَافِقٌ فِيمَا الْيَهُودُ بِهِ مُكَذِّبُونَ. قَالَ: وَذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالتَّوْرَاةِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، عِنَادًا لِلَّهِ وَخِلَافًا لِأَمْرِهِ وَبَغْيًا عَلَىٰ رُسُلِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ» [(١)].

وكما أنَّ اليهود انحرفوا في العقائد؛ فكفروا باللهِ وأشركوا به سبحانه واتهموه بالفقرِ والبخل، وقالوا: عزيرٌ ابنُ الله، وأساؤوا الأدبَ مع الملائكةِ والأنبياءِ والكتبِ المنزلةِ من عندِ الله، فكذلك عندهم انحرافاتٌ في السلوكِ والأخلاق، فمن انحرافاتِهم التي عُرفوا بها:

الحسد: فقد حملَهُم الحسدُ علىٰ الكفرِ والتكذيبِ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك كانوا يتمنون أنَّ المسلمين لم يُسلِموا

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٢/ ٢٥٦).

ولم يتابِعوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلُّ ذلك من بابِ الحسد، وإلا فهم يعلمون ويُدركون أنَّ نبوّةَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقٌ وحقٌّ لا ريبَ فيه، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1]، عن ابنِ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَأَخُوهُ أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مِنْ أَشَدِّ يَهُودَ لِلْعَرَبِ حَسَدًا، إِذْ خَصَّهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَا جَاهِدَيْنِ فِي رَدِّ النَّاسِ عَنْ الْإِسْلَامِ بِمَا اسْتَطَاعَا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمَا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾»[2].

---

(١) [البقرة:١٠٩].

(٢) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٤٨)، وتفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (٢/ ٤٩٩).

ولا زالوا حريصِين علىٰ إضلالِ المؤمنين وإغوائهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾(١)، وفي هذا إشارةٌ إلىٰ أنَّ اليهودَ لا يُريدون الخيرَ لغيرِهم من قديمِ الزمان.

ومما عُرفَ عن اليهود: كتمانُ الحقِّ وإظهارُ خلافِه، ولذلك ذكر اللهُ فعلَهم هذا في القرآنِ الكريمِ وحذَّرَ عمومَ خلقِه من هذا الخلُق الذميمِ والفعلِ الأثيم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾(٢).

وتوعَّد ربُّنا من فعَلَ كفعلِهم هذا بالعذابِ في قولِه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾(٣).

---

(١) [آل عمران:٦٩].

(٢) [آل عمران:١٨٧].

(٣) [البقرة:١٥٩].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: « هم عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَأَحْبَارُهَا، وَعُلَمَاءُ النَّصَارَىٰ، لِكِتْمَانِهِمُ النَّاسَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَالإِنْجِيلِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مَا بَيَنَ مِنْ أَمْرِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَمَبْعَثِهِ وَصِفَتِهِ فِي الْكِتَابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ أَهْلَهُمَا يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِيهِمَا »[١].

واليهودُ هم المتَّصِفُون بالظُّلمِ والعُدوان، وأكلِ الرِّبا والسحتِ، وقولِ الإثم، والصدِّ عن سبيلِ الله، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾[٢]، والمعنىٰ: إنَّ هؤلاء اليهود دأبُهم المسارعةُ إلىٰ اقترافِ الآثام وإلىٰ أكلِ المالِ الحرام، فهلَّا

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٢/ ٧٢٩).

(٢) [المائدة:٦٢-٦٣].

ينهاهُم علماؤهم عن هذهِ الأقوالِ الكاذبةِ الباطلة، وعن تلكَ المآكلِ الخبيثةِ التي أكلوها عن طريقِ السُّحت(١).

وقال تعالىٰ عن اليهودِ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾(٢).

وإنَّ استحلالَ الرِّبا وأكلِ أموالِ الناسِ عقيدةٌ راسخةٌ عند اليهود بالذات، فلقد جاءت تعاليمُ التلمود بذلك بالنص الآتي: "غيرُ مصرَّحٍ لليهوديِّ أنْ يُقرِضَ الأجنبيَّ إلا بالرِّبا" (٣).

ومن سماتِ اليهودِ وصفاتِهم: شدةُ حبِّهم للحياةِ، وحرصهم عليها، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾(٤).

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ٢١٢).

(٢) [النساء:١٦٠-١٦١].

(٣) اليهودية، أحمد شلبي (ص/ ٢٦٩).

(٤) [البقرة:٩٦].

ومن صفاتِ اليهود: الجبنُ عند اللّقاء، قال تعالىٰ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(١)، قال بعضُ المفسرين: والمعنىٰ: إنَّ أهلَ الكتاب لن يضرُّوكم يا معشرَ المؤمنين إلا ضررًا يسيرًا لا يبقىٰ أثرُه فيكم ما دمْتُم مستمسكين بدينِكم، فإنْ قاتلوكم وأنتم علىٰ هذه الحال، أمدَّكم اللهُ بنصرِه، وألقىٰ في قلوبِهِمُ الرعبَ فيولُّونكم الأدبارَ انهزامًا منكم، ثم لا يُنصرون عليكم بل تُنصرون أنتم عليهم.

والتعبيرُ عن الهزيمةِ بتوليةِ الأدبار، فيه إشارةٌ إلىٰ جبنِهم وأنهم يفِرُّون فِرارًا شديدًا بذُعرٍ وهلَع.

وهكذا كان الشأنُ في قتالِ المسلمين الأولين لأعداءِ اللهِ وأعدائهم، فلقد قاتل المؤمنون اليهود من بنىٰ قينقاع والنضير وقريظة وأهلِ خيبر فانتصرَ المسلمون عليهم انتصارًا باهرًا.

وقاتلوا جموعَ الرومِ في بلادِ الشامِ وفي مصر، فكان النصرُ المؤزَّرُ حليفًا للمسلمين مع قلّتِهِم وكثرةِ أعدائهم.

---

(١) [آل عمران:١١١-١١٢].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ احتراس. أي: يولُّونكم الأدبارَ توليةَ المنهزمِ، لا توليةَ المتحرِّف لقتالٍ أو المتحيزِ إلىٰ فئةٍ أو المتأمِّلِ في الأمر[١].

ولشدةِ جُبنِهم فإنَّ أغلبَ قتالهم ليس فيه مواجهةٌ، بل من وراء التحصيناتِ والحواجز، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يَعْنِي: أَنَّهُمْ مِنْ جُبنهم وهَلَعهم لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ بِالْمُبَارَزَةِ وَالْمُقَابَلَةِ، بَلْ إِمَّا فِي حُصُونٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ مُحَاصَرِينَ، فَيُقَاتِلُونَ للدفعِ عنهم ضرورةً، ثُمَّ قَالَ ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أَيْ: عَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[٣] ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أَيْ: تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَتَحْسَبُهُمْ

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٢١٧).

(٢) [الحشر:١٤].

(٣) [الأنعام:٦٥].

مُؤْتَلِفِينَ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ غَايَةَ الِاخْتِلَافِ، قَالَ: إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾»[(١)].

وفي هذا دليلٌ علىٰ أنَّ الكفارَ يجتمعون عند التآمرِ علىٰ المسلمين، أمَّا فيما بينَهم فهم مختلفون.

وما يُقيمُه الكيانُ الصهيوني من الجدرانِ المحصنةِ، والسياجاتِ المؤمَّنة، إلا دليلٌ علىٰ جُبنِهم وخوفِهم وشدةِ حذرِهم الناشئ عن جُبنٍ وهلَع، لا عن شجاعةٍ وقوة.

ومن سماتِ اليهودِ وصفاتهم: الفسادُ في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾[(٢)]، فالفسادُ صفةٌ متجذرةٌ فيهم في أيِّ بلدٍ ينزلونَه، وفي أيِّ أرضٍ يُقيمون بها، ولذلك تمَّ إجلاؤهم ومطاردتُهم من كثير من البلدان علىٰ مرِّ العصور والأزمان، بسببِ فسادِهم

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٨/ ٧٤).

(٢) [المائدة:٦٤].



وخبثِهم، وسعيهم في التحريشِ والإفسادِ وبثِّ الكراهيةِ والبغضاءِ في أوساط الناس، حتىٰ قال أحدُ الذين عَرفوا حقيقةَ اليهود في القرن الماضي: « فلقد أثبتتْ لي الأيامُ أنّه ما من عملٍ مخالفٍ للأخلاق، وما من جريمةٍ بحقِّ المجتمعِ إلا ولليهودِ يدٌ فيها »(١).

وإضافةً إلىٰ فسادِهم العامِّ وبغضِهم لأغلبِ البشرِ فإنهم يُبغضون المسلمين أكثرَ من بقيةِ الأمم، قال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾(٢).

تلك بعضُ صفاتِهم وعقائدهم التي جاء بها أصدقُ كتاب، وأخبر عنها ربُّ الأرباب، ومَنْ أصدقُ من الله قيلًا، ومن أصدقُ من اللهِ حديثًا.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) كفاحي، أدولف هتلر، المترجم: لويس الحاج (ص/ ٤١ – ٤٢).

(٢) [المائدة:٨٢].

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الذي نهانا عن مشابهةِ اليهود، وأخبرَنا أنَّهم أهلُ غدرٍ ونكثٍ للعهود، أحمدُه حمدًا ليس له حدود، وأشكرُه علىٰ إنعامِه والجود، وأصلي وأسلمُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تعبَّد.

أما بعد: فإنَّ الإنسانَ ليعجبُ من هؤلاءِ المغضوبِ عليهم، ويتساءلُ من أين تأتيهم تلك الأحقاد، وتتوالىٰ منهم تلك المصائبُ علىٰ العبادِ والبلاد؟

ولعلَّ الجوابَ أو بعضَه يكونُ في معرفةِ ما يدَّعونه لأنفسِهم، فإنهم يرون أنهم شعبُ اللهِ المختار، وأنهم أحقُّ بالحياةِ من غيرهِم، بل يرون أنهم أهلُّ الجنةِ ولن يدخلَها سِواهم، ولذلك قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١).

ومن غرورِ اليهود وشدةِ غفلتِهم وتماديهم في الباطل: دعواهم أنهم أبناءُ اللهِ وأولياؤه وأحِبّاؤه، مع أنهم من أكفرِ خلقِ اللهِ وأبغضِهم إليه سبحانه، قال تعالىٰ مبينًا بعضَ ما يدَّعونه لأنفسِهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾(٢).

ولذلك أمر اللهُ نبيَّه أن يُحاجَّهم بهذا الادعاء، فإنْ كانوا صادقين في دعواهُم فليتمنّوا الموت، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

---

(١) [البقرة:١١١-١١٢].

(٢) [المائدة:١٨].

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾﴾[1].

ويدّعي اليهودُ أنهم لن يدخلوا النار، وإنْ دخلوها فلن يبقوا فيها إلا أيامًا معدودةً، ثم تكونُ الجنةُ لهم، وهذا من غرورِهم وشدةِ غفلتِهم، قال تعالىٰ عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يَعْنِي جَلَّ ثناؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا نَازَعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا أَبَوُا الْإِجَابَةَ فِي حُكْمِ التَّوْرَاةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ﴾ وَهِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَهُنَّ الْأَيَّامُ الَّتِي عَبَدُوا فِيهَا الْعِجْلَ، ثُمَّ يُخْرِجُنَا مِنْهَا رَبُّنَا؛ اغْتِرَارًا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، يَعْنِي بِمَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَبَاطِيلِ فِي ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ

(١) [الجمعة:٦-٧].
(٢) [آل عمران:٢٤].

أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ أَبَاهُمْ يَعْقُوبَ أَنْ لَا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ »(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾(٢). وأمر اللهُ نبيه أن يُحاجَّهم بهذا الادعاء، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾، ثم بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كذبهم وافتراءهم فيما يدَّعون، فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾(٣).

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٥/ ٢٩٦).

(٢) [البقرة:٨٠].

(٣) [البقرة: ٩٤ – ٩٥].

عباد الله: إنَّ الحديث عن اليهودِ يطول، وقد اقتصرنا علىٰ بعضِ ما جاء من صفاتِهم وأفعالهم واعتقاداتِهم في القرآنِ الكريم، ولم نذكرْ كلَّ ما جاء في القرآن من بيانِ حالِهم ومآلِهم، لأنَّ ذلك كثيرٌ لا يتسعُ له المقام.

والمؤمنُ المتأمِّلُ في كتابِ الله تعالىٰ يجدُ أخبارَهم وأحوالهم في كثير من الآيات التي تتحدثُ عنهم إما بذكر خبرِهم وحدَهم، أو مع غيرِهم من أهلِ الكتاب والمشركين، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ العلمَ بحقيقتِهم من الأمورِ التي ينبغي للمسلمِ أنْ لا يجهلَها ولا يغفُلَ عنها، ولولا أهميةُ ذلك لما بقيتْ أخبارُهم في كتابِ اللهِ تعالىٰ آياتٍ تُتلىٰ إلىٰ قيامِ الساعة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا علىٰ نبينا محمد، خيرِ البرية، وأزكىٰ البشرية، فإن اللهَ قد أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه، وثنَّىٰ بملائكته المُسبحةَ بقدسه، وثَلَّثَ بكم أيها المؤمنون من جِنِهِ وإِنْسِهِ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

(١) [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وزِد وبارِك علىٰ عبدِك ورسولِك محمد صاحبِ الوجهِ الأنور، والجبين الأزهر، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر صحابةِ نبيك محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وعنَّا معهم بعفوك وجودِك وكرمِك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، واخذُلِ الشركَ والمشركين، اللهم انصرْ دينك وكتابَك وسنةَ نبيِّك وعبادَك المؤمنين. اللهم أنجِ المستضعفين من المؤمنين في كلِّ مكانٍ يا ربَّ العالمين، اللهم اشددْ وطأتك علىٰ الظالمين المعتدين، يا ذا القوة المتين. اللهم فرِّج همَّ المهمومين من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وحِّد صفوف المسلمين، اللهم وحِّد صفوف المسلمين، وألِّف بين قلوبهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلحْ أئمتنا وولاةَ أمورِنا، واجعلْ ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبعَ رضاك يا رب العالمين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1].

سبحانَ ربِّنا ربِّ العزةِ عمَّا يصِفون، وسلامٌ علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



(١) [البقرة:٢٠١].



١٤- خطبة جمعة بعنوان/

النصائح والآداب للمعلمين والطلاب

الحمدُ للهِ الذي علَّمَ الإنسانَ البيان، وألْهَمَه التِّبيان، أحمدُه علىٰ ما أسبَغَ من العَطاء، وأسبَلَ من الغِطاء، وأعوذُ بالله من شِرَّةِ اللَّسَنِ، وفضولِ الهَذَر، كما أعوذُ به من مَعرَّةِ اللَّكَنِ وفُضُوحِ الحصَرِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، رفعَ العلماءَ والمؤمنين درجات، وأنزلَ المنافقين والجُهَّالَ دَرَكات، فنسألُ اللهَ الرِّفعةَ في درجاتِ العُلىٰ، ونعوذُ به من الدَّرَكات ومواقعِ الردىٰ، وأشهدُ أنْ محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه اللهُ عَلَمًا للإسلام، وإمامًا للحُكَّام، ومُعلِّمًا للسادةِ والرِّعاع، ومُعطِّلًا أحكام وُدٍّ وسُواع، فعلِمَ وعَلَّم، وحَكَم وأحكَم، وأصَّلَ الأصولَ ومهَّد، وأكَّد الوعودَ وأوكد:

يطولُ حَديثي إنْ عَددتُ صفاتِهِ ... فقد أُعطيَ الفضلَ العظيمَ وعُلِّمَ

وزكَّاهُ ربي في فِعالٍ ومَنْطِقٍ ... فطوبى لمن صلَّى عليه وسلَّمَ

أما بعد: فأوصيكمْ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الأقوالِ والأعمالِ والنيات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

أيُّها الناسُ عبادَ الله: بمناسبةِ بدايةِ العامِ الدراسيِّ الجديد، هاكُم بعضَ الرسائلِ والآداب، التي أُوجِّهُها لإخواني وأبنائي الطلاب، ولإخواني المعلمين ذوي الألباب، وهي موجهةٌ لأولياء الأمور، إذ المسؤوليةُ علىٰ الجميعِ تدور، وينبغي أنْ تَتقرَّرَ في نفوس الآباء والمعلمين، وأنْ يَقذِفُوها في أذهانِ الأولادِ والمتعلمين.

إنَّ العلمَ الشرعيَّ هو أشرفُ ما يَسعىٰ إليه الإنسان، ولمْ يأمُرِ اللهُ نبيَّه أنْ يسألَه الزيادةَ من شيءٍ إلا من العلم، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾[2].

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) [طه:١١٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ وَاضِحُ الدَّلَالَةِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بِطَلَبِ الِازْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ »[١].

ولشرفِ العلمِ وأهلِهِ اختارَ اللهُ العلماءَ شهداءَ من بينِ خلقِهِ أجمعين، فأشهدَهُم علىٰ وَحْدَانيَّته سبحانه، وجعل شهادتَهم بجانبِ شَهادتِه وشَهادةِ ملائكتِه، فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾[٢]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « استشهَد سبحانه بأُوْلِي العلمِ علىٰ أجلِّ مشهودٍ عليه، وهو توحيدُه، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾، وهذا يدلُّ علىٰ فضلِ العلمِ وأهلِه من وجوه:

أحدها: استشهادُهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقترانُ شهادتهم بشهادته.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤١ ط السلفية).

(٢) [آل عمران:١٨].

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أنَّ في ضمن هذا تزكيتَهم وتعديلَهم؛ فإنَّ الله لا يستشهِدُ من خلقه إلا العُدول »[(١)].

وقد بيَّن ربُّنا سبحانَه أنَّ العلماءَ لا يستوون مع غيرهم، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[(٢)].

وأخبر أنه رفع العلماءَ درجات، فقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[(٣)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾: « أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ بِتَوْفِيرِ نَصِيبِهِمْ فِيهِمَا، ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ أَيْ: وَيَرْفَعِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْكُمْ دَرَجَاتٍ عَالِيَةٍ فِي الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ يَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ دَرَجَاتٍ، وَيَرْفَعُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٣١ ط عطاءات العلم).

(٢) [الزمر:٩].

(٣) [المجادلة:١١].



عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا دَرَجَاتٍ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ رَفَعَهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ دَرَجَاتٍ ثُمَّ رَفَعَهُ بِعِلْمِهِ دَرَجَاتٍ »(١).

وأخبرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ طريقَ طلبِ العلمِ طريقٌ إلىٰ الجنةِ، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»(٢).

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « أي: من مشىٰ إلىٰ تحصيلِ علمٍ شرعيٍّ قاصدًا به وجهَ اللهِ تعالىٰ، جازاه اللهُ عليه بأن يُوصلَه إلىٰ الجنةِ مُسلَّمًا مُكرمًا »(٣).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ**

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٢٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٦٨٤).

الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

والمنشغلُ بالعلمِ قد حازَ الخيريّةَ أو انشغلَ بها، فهو في خيرٍ ما دامَ مع العلم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢)، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَفْهُومُ الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ - أَيْ: لم يَتَعَلَّمْ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْفُرُوعِ - فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمُورَ دِينِهِ لَا يَكُونُ فَقِيهًا وَلَا طَالِبَ فِقْهٍ، فَيَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ مَا أُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ، وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ ظَاهِرٌ لِفَضْلِ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ سَائِرِ النَّاسِ، وَلِفَضْلِ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ عَلَىٰ سَائِرِ الْعُلُومِ»(٣).

هذا وإن كانت النصوصُ المذكورةُ تَعني العلمَ الشرعيَّ، لكنَّ العلومَ الأخرىٰ أيضًا لها حظٌّ من الشرَفِ والأهميةِ بقدْرِ شرفِ

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٥ ط السلفية).

موضوعِها ومُتَعلَّقِها وحاجةِ الناسِ إليها، فينبغي لكلِّ طالبٍ أنْ يُحبَّ العلمَ؛ لأنه إذا أحبَّ العلمَ انتفعَ به، وكان وقتُ دراستِه أسعدَ أوقاتِه، وهذا في العلمِ وفي بقيةِ الأمور: إذا عملتَ عمَلَك بحبٍّ لهُ؛ فإنك تكون به سعيدًا، سواء كنت متعلمًا أو معلمًا أو موظفًا في أيِّ عملٍ تعملُه من أمورِ الدينِ أو الدنيا، إذا أحببتَ العملَ الذي تعمُلُه فإنك تكون به سعيدًا، حتىٰ وإن كان مما لا يُحَبُّ ولا يُحمدُ، وإذا أبغضتَ العملَ الذي تعملُه فإنك تكون به شقيًا تعيسًا، حتىٰ وإن كان من أفضلِ الأمورِ وأحسنِها، فعلينا أنَّ نُحِبَّ العلمَ.

أيها الطالب: إنّ المدرسةَ بدايةُ نجاحِك وتحقيقِ رغباتِك، والوصولِ إلىٰ طموحاتك. وينبغي أن يتقرَّرَ في ذهنِ كلِّ طالبٍ ومعلمٍ أنَّ المدرسةَ هي نقطةُ انطلاقٍ إلىٰ غالبِ كلِّ أمرٍ محمودٍ من أُمورِ الحياة؛ فالطبيبُ في عيادتِه، والقاضي في محكمتِه، والطيارُ في الجو، والرُّبَّانُ في البحر، والجنديُّ الوفي، والمهندسُ الذكي، والتاجرُ الرابح، والمديرُ الناجح، والخطيب المِصْقَع،

والمتحدثُ البارع، وغيرهم ممن له أثرٌ نافع، وتأثير واقع، وشأن رافع، وغالبُ من له نجاحٌ في الحياةِ إنما بدأوا من المدرسة.

فالمدرسةُ أهمُّ من أماكنِ الطعامِ والرياضةِ وغيرها، فإذا كانت أماكنُ الطعامِ تُعنىٰ بتغذية الأبدان، فإن المدرسة تُعنىٰ بتغذية العقول والأذهان، وتغذيةُ العقولِ أهمُّ من زيادةِ الوزنِ وضخامةِ الجسم، إذن؛ فالمدرسةُ أهم.

وإذا كانت الأنديةُ وأماكنُ الرياضةِ تُعنىٰ بتقويةِ الأبدان وبناءِ الأجسام، فالمدرسة تُعنَىٰ بتقويةِ الأفكار السليمةِ وبناءِ الأفهام، إذن فالمدرسةُ أهم.

وإذا كانت المستشفياتُ والمراكزُ الصحيةُ تُعنىٰ بعلاج الأبدان في بعض الأحيان، فإنَّ المدرسةَ تُعلمُ الطبيبَ لينفع المرضىٰ علىٰ مرِّ الأزمان، ولولا نجاحُ الدارسين في دراستِهم لما أحسَن الأطباءُ في عملِهم ومهنتِهم، إذن؛ فالمدرسةُ مهمةٌ في جميعِ شرائحِ الحياة.

فجديرٌ بك - أيها المتعلمُ والمعلمُ - أنْ تُحِبَّ المدرسةَ، وأنْ تذهبَ إليها بشغفٍ ومحبةٍ وتَطلُّعٍ إلىٰ المستقبل، وتنوي أنْ تنفعَ

نفسَك وأهلَك ومجتمعَك وأمتك، فإذا كنتَ كذلك فستكون سعيدًا، ناجحًا، رائعًا، مستفيدًا ونافعًا، وإياك أنْ تستمعَ لأولئك البائسين الذين قد ضعُفت هممهُم، وخارت قواهم وعزائمُهم، فيتنكَّرون للمدرسةِ ويسيئون الكلام فيها، ويُنفِّرون الناس عنها، دعك من هؤلاء فإنهم لا يعرفونَ قيمةَ العلمِ، ولا يعرفون قيمةَ التعليم، ثم إذا أيقنت أنه لا بدَّ من أن تتعلمَ فعليك أن تحبَّ العلم.

ومما ينبغي أنْ يتنبهَ له الطلابُ في هذا الزمان، أنَّ مدارسَهم بالنسبةِ لمدارس الطلابِ في الأزمنةِ الماضيةِ تعتبرُ مكانًا رائعًا كانوا يتمنون الدخولَ إليه، فالمدارسُ الآن مهيأة ومجهزة علىٰ مستوياتٍ عالية، فالحمد للهُ علىٰ نعمِه، ونسألهُ المزيدَ من فضلِه وكرمِه.

وفي المدرسة عليك - أيها الطالبُ اللبيبُ - أن تَعيشَ مع العلمِ بسمعك وعقلك وفِكرك؛ ففي حصةِ العلومِ تخيَّلْ أنك أمامَ طبيبٍ ماهر وجراحٍ ممارسٍ يَشرحُ لك تفاصيلَ جسمِ الإنسانِ وماذا فيه

من العجائب؟ وكيف ركَّب الله خِلقتَه؟ وأحسن صنعتَه، وما وظيفةُ كلِّ عضوٍ من أعضاءِ هذا البدنِ، فعليك أن تتفكَّرَ وتتأمَّلَ وتستوعبَ ما يُقالُ لك، وأنْ تتقبلَ ما يُلقىٰ عليك بفرحٍ وحب وشغفٍ وتطلُّع.

وإذا حضرتَ حصةَ الاجتماعياتِ فتخيَّلْ كأنك تستمعُ إلىٰ رحَّالةٍ كبيرٍ في السِّنِّ يُحدِّثُكَ عن اختلافِ العاداتِ والتقاليدِ وأوضاعِ البلدانِ واختلاف ثقافاتِها وأنسابِها وأجناسِها ونحو ذلك.

وإذا حضرتَ درسَ اللغةِ العربيةِ فتخيَّلْ أنك أمامَ شخصٍ يُعلِّمُك ويُعِدُّكَ لتكون الخطيبَ المصقع، والنجمَ الألمع، والمتحدثَ الأروع، والمحاورَ الفصيح، والمتكلمَ باللفظِ الصحيح، فخذ هذا العلمَ بشغَفٍ ومحبةٍ لتكونَ فصيحًا في الكلام، بليغًا في البيانِ، حسَنَ التحدُّثِ في جميعِ المحافلِ والمواقف، سواء كان مستقبلُك في مجالِ السياسة، أو في العلم الشرعي، أو في الطب، أو في نحو ذلك، فإنك لا تستغني عن فتقِ لسانِك وتقويمِه، وتلقينِه فصيحَ الكلام وتعليمِه.

أمَّا علمُ الشريعةِ والقرآن؛ فهو أجلُّ العلومِ وأشرُفها، وأنتَ في خيرِ مجال، فاستمعْ لهذه المواد وغيرِها بمحبةٍ وشغَفٍ وانتباه، واحضُرْها بقلبِك وسمعِك، وإياك أنْ تنشغلَ مع غيرِ المتفوِّقين، الذين جُلُّ همِّهم إزعاجُ الآخرين وكيف يُشتِّتُون الأذهان ويشغلون المدرسَ والطالب، فلا تكُنْ من هذا الصنف أبدًا، بل احرصْ علىٰ الهدوءِ والأدب وسماعِ توجيهاتِ المعلِّم؛ فإنَّ هذا أنفعُ لك وأفضل. وهذه هي الرسالة الثانية،

فالرسالة الأولىٰ: أن تحب العلم والمدرسة لأنها مكان العلم.

والرسالة الثانية: أن تكون أيها الطالبُ مؤدَّبًا في مدرستِك، لأنَّ الأدبَ فيه قيمتُك ومكانتُك، حتىٰ وإن كنت لا تدركُ هذا الآنَ فستُدرِكُه فيما بعد، فليست قيمةُ الطالب في مشاغباتِه ولا في إزعاجِه، ولا في حركاتِه التي قد لا يَنتبهُ لها المدرِّس، بل إنَّ قيمةَ الطالبِ في أَدَبِه، وحُسنِ أخلاقه مع الزملاء ومع المدرسين.

والرسالة الثالثة: أنْ تعلمَ أيُّها الطالبُ النبيلُ أنَّ هذا المدرِّسَ له حقٌّ عظيمٌ عليك؛ فهو يُعلِّمُك ويعطيك أفضلَ ما يُعطىٰ، ألا وهو

العلم، وتذكَّرْ أن مُعلِّمَك بمنزلةِ والدِك، فعليك أنْ تحترِمَه كما لو كان أبوك هو هذا المدَرِّس، وكما تحبُّ من زملائك أنْ يحترموا أباك فاحترمْ هذا المعلمَ كذلك، وتخيلْ أنَّ أباك هو المدرِّسُ وهو المعلم، فكيف تحبُّ من زملائك أن يحترموا هذا الواقفَ أمامَهم؟ فكن كذلك مع مدرسك.

واعلمْ أيُّها الطالبُ أنَّ أخلاقَك تنقُل صورةً عن تربيةِ والديك لك، فإذا كنت مؤدَّبًا مُهذَّبًا قال الناس: جزىٰ اللهُ والديه خيرًا، فقد أحسنا في التربية، وما أحسَنَ تربيتَهما لهذا الطالبِ، وإذا كنتَ علىٰ العكسِ من ذلك نقلتَ عن والديك صورةً غيرَ جيدةٍ، حتىٰ وإنْ لمْ يُظهرِ الناسُ ما في نفوسهم، فإنَّ المُتَقرِّرَ في النفوسِ عندهم هو تساؤُلهم: لماذا لم يحسنْ والدُ هذا الطالبِ تربيتَه؟ فإياك أنْ تكون مَسبَّةً ومَذمَّةً علىٰ والديك في المدرسةِ وفي غيرها من الأماكن.

وقد بيَّنَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المعنىٰ بقوله: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ

وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» (١)، ومعناه أنه يسبِّبُ اللعنَ والسبَّ لأبيه بسوءِ خلُقِه، إذْ من سبَّ الناسَ سبوا أباه وأُمَّه، ومن شتمَ الرجالَ شتموه.

فالحرصُ علىٰ الأخلاقِ الفاضلةِ والمعاملةِ الحسنةِ مطلوبٌ من كلِّ مسلمٍ في جميعِ الأحوال، وهو في أماكنِ العلمِ والتعليمِ أوجبُ وأوكد، والنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكم المُنيفة.

قلتُ ما سمعتم وأستغفرُ اللهَ، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) رواه مسلم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٥) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً لا يَنفد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ اللهُ وسلمَ علىٰ أفضلِ المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد: فإنَّ مما ينبغي أن يشارَ إليه أيضًا: مكانةُ المعلمِ ومنزلتُه، وأهميةُ دورِه في نَهضةِ وبناء المجتمعات.

وتذكَّرْ أيها المعلمُ الكريمُ: أنَّ عملَك أشرفُ الأعمال، وأنَّ وظيفتَك أجلُّ الوظائف، وأنَّ مهنتَك أنبلُ المهن، ولا يجهلُ قدْرَها إلا جاهل، فلا يهمُّك نظرةُ بعضِ الجهال تُجاه المعلم، ولأن مهنتك عظيمةٌ فعليك أن تأخذها بعزيمة وبإخلاص، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾(١).

أيها المُعلِّم: إنَّ الآباءَ قد ألقَوا فلذاتِ أكبادِهم أَمامَك، فالأبناء أغلىٰ ما يملك الآباء، وقد صارَ هؤلاء الأبناء يجلسون أمامَك

---

(١) [مريم:١٢].

ساعاتٍ طويلةً لا يجلسون مثلها أمامَ غيرك، ويُلزَمُون بسماعِ ما تُلقي عليهم، فالطالبُ في المدرسة مُلْزَمٌ أن يستمعَ إليك، ثم تختبَره فيما تُلقيه عليه، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ عقولَ الأبناء قد صارت أمانةً في يديك؛ فاحرصْ علىٰ أن تُودِعَ فيها أفضلَ ما يُمكنُ من العلوم والأخلاق.

وكنْ أيُّها المعلمُ: مراقبًا للهِ عَزَّوَجَلَّ في عملِك، مُتَّقيًا له سبحانه، حريصًا علىٰ نفعِ الطلاب قدرَ المُستطاع، وتذكَّر أنَّ هؤلاء الطلابَ لهم آباءٌ يُحبُّون لهم كما تحبُّ أنت لأبنائك، فعاملهم كما تُحبُّ أن يعامِلَ المدرسون أبناءك لو كانوا طلابًا، فعاملْهم أنت كذلك بالصدقِ والنصحِ واللينِ والرفقِ والإخلاص.

واحرصْ – عافاك الله وسلمك – علىٰ غرسِ القيمِ النبيلةِ فيهمْ، واجعلهم يطبقونها تطبيقًا عمليًا، وتذكَّرْ – سدَّدك الله – أنَّ كثيراً من البارِّين بآبائهم تعلّموا البرَّ من المدرسة، لأنه قد يصعبُ أنْ يقولَ الأبُ لأولادِه: أطيعوني، وكونوا بي بارِّين، لكنَّ المدرسةَ تُعلمهم ذلك، وكثيرٌ ممن يُحسنُ الأخلاقَ والجوارَ والأدبَ تعلَّمَ

ذلك من المدرسة، وكثيرٌ ممن يُحسنُ الصلاةَ والوضوءَ وغيرَها، تعلَّم ذلك في المدرسة، فالمُدَرِّس داعيةٌ إلىٰ الله ودالٌّ علىٰ الخير، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[١]، فلو أنَّ المدرسَ يحملُ هذا المعنىٰ ويحرصُ علىٰ العملِ بمقتضاه، ويغرسُ في نفوسِ الطلابِ العقيدةَ الصحيحةَ، والأخلاقَ الفاضلةَ، والأعمال الطيبةَ، فإنه سيؤجرُ كأجرِ من عملَ بنصائحه وتوجيهاته من طلابه طوال حياتِهم، فتذكرْ أيها المعلمُ الكريم أنك إنْ فعلت ذلك ابتغاء وجهِ الله ونيلِ مرضاتِه؛ فإنك تؤجر من حيثُ لا تدري.

وعلى سبيل المثال، فبالمثالِ يتّضحُ المقال: إذا علَّمتَ طالبًا الصلاةَ فتعلَّمَ وصلىٰ صلاةً صحيحةً فإنك تؤجرُ علىٰ صلاتِه طوالَ حياته، وهذا معنىٰ عظيمٌ ينبغي أنْ يستقرَّ في نَفْسِ كلِّ معلم، وإذا علمتَ طالبًا قراءةَ القرآنِ قراءةً صحيحةً فأنت تؤجرُ علىٰ قراءتِه طوالَ حياتِه، ويصلُك أجرُ من علَّمَ أيضًا.

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكـذلك إذا علَّمـتَ الطـلابَ بِـرَّ الوالـدين وحُسْـنَ الجـوارِ والمعاملةَ الحسنةَ مع النـاس؛ فإنـك تـؤجرُ علـىٰ كـلِّ أخلاقِهـم الفاضلةِ طوالَ حياتِهم، وعلىٰ كلِّ برٍّ فعلوه في حياتهم.

ومما ينبغي أن يحرصَ عليه كلُّ معلم وكلُّ قُدوة، أنْ يكون قدوةً حسنةً في أفعالِه، فبما أنك المعلمُ والمتحدثُ والواقفُ أمامَ الطلاب؛ فإنَّ أعناقَهم مُشرئبَّةٌ إليك، وأنظارَهم شاخصةٌ نحوك، فانتبهْ لكلماتِك وانتبهْ لأفعالِك وحركاتِك، واعلمْ أنَّ الفعلَ يؤثرُ ما لا يؤثِّرُ القول، فاجتنبِ الأخطاء الفعليةَ والقوليةَ أمامَ طلابك، وإذا كان عندك أخطاء - وكلنا ذوو أخطاء - فاحرصْ علىٰ أنْ لا تفعلَها أمامَ الطلاب.

فمثلاً: قد يكون عند بعضِ المعلمين بعضُ الألفاظِ التي لا تصلح ولا تليق، فينبغي للمعلم أن يُجنِّبَ مكانَ التعليمِ هذه الألفاظ، وعليه أن ينتقيَ أفضلَ الكلماتِ وألطفَ العبارات في الغضب والرضا امتثالًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)، وهكذا قد يكونُ عند بعضِ الناسِ أخطاءٌ في

---

(١) [الإسراء:٥٣].

الفعلِ، أو عاداتٌ لا تصلحُ كشربِ الدخان مثلًا - وهذا مثالٌ لتقريبِ الفهم - هذا الفعلُ خطأٌ ولا يصلحُ دائمًا، لكنه في مكانِ التعليمِ وأمامَ الطلابِ إثمُه أعظمُ وضررُه أعمُّ، فإياك أنْ تفعلَ هذا أمامَهم، فإنك تُفسِدهم بأفعالِك فساداً عظيمًا لا تُدرِكُ مداه، فعليك أنْ تتقي الله وأن لا تُظهرَ لهم إلا ما يليقُ بمقامِك ومقامِ التعليم، وقد ورد في هذا البابِ آثارٌ كثيرة عن السلف، منها ما قاله عتبةُ بنُ أبي سفيان لعبدِ الصمد مؤدِّبِ ولدِه: « ليكن إصلاحُك بَنيَّ إصلاحَك نفسَك؛ فإنّ عيوبَهم معقودةٌ بعيبِك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسَنت، والقبيحُ ما استقبَحت، وعلّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتَهدّدهمْ بي وأدِّبْهم دوني، وكنْ لهم كالطبيبِ الذي لا يَعْجَلُ بالدواء حتىٰ يعرفَ الداءَ، ولا تتّكلنّ علىٰ عُذرٍ منّي؛ فإني قد اتّكلتُ علىٰ كفايةٍ منك »[١].

وليس هذا من النفاقِ ولا من التصنُّعِ المذموم، بل هذا من بابِ تركِ المجاهرةِ بالأخطاء، وهو من تحمُّلِ المسؤولية وتحقيقِ

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ١٨٢).

معنىٰ القدوةِ الحسنةِ، فكن قدوةً حسنةً لطلابك، أمَّا ذنبُك فقد يغفِرُهُ اللهُ لك إنْ شاء سبحانه، أو قد تتوبُ منه إذا شاء الله في المستقبل، لكنَّ الآثارَ المترتبةَ عليه احرصْ علىٰ أنْ تجعلَها قليلةً قدرَ الإمكان؛ حتىٰ لا تُؤثِّرَ علىٰ غيرِك.

ولْيَحرصِ المعلمُ الناجحُ علىٰ أن يكونَ جادًّا في تعليمِه، مُتخذًا أفضلَ الوسائل والأسباب، وعليه أنْ يتحلَّىٰ بالصبرِ علىٰ بطيء الاستيعاب، وضعيفِ العقل، وقليلِ الفهم، ولْيعلم أنه مأجورٌ مشكورٌ علىٰ ذلك.

ألا وليعلمِ المعلِّمونَ الفُضلاء: أنَّ لهم في النفوسِ مكانةً عاليةً، ومنزلةً رفيعةً، ولهم علىٰ الجميعِ حقٌّ كبير، فنشكرُهمْ علىٰ جهودِهم، ونُقدِّرُ الدَّورَ المهمَّ الذي يقومون به في مجتمعاتنا، ونسأل الله أن يبارك في المعلمين، وأن يجزيهم خيرًا، وأن يجعلَ أعمالَهم خالصةً لوجهه الكريم، وأنْ يصلحَ أبناءنا الطلاب، وأنْ يجعلَهم ذُخراً لأوطانهم، ومجتمعاتهم وبلدانهم وأهليهم، وأن يجعل في هذا البلدِ الخيرَ وفي غيره من البلدان.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصر من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين. اللهم اجعلْ خيرَ أعمارِنا آخرَها وخيرَ أعمالِنا خواتِمَها وخيرَ أيامِنا يوم نلقاك، اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، واغفر لنا ولوالدينا أجمعين، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[1].



(١) [الصافات:١٨٠-١٨٢].

تم - بحمد الله - الجزءُ الثالث من هذه السلسلةِ (زاد المنابر) ، ويليه الجزءُ الرابع بإذن الله تعالى، وأوّلُه خطبةُ جمعةٍ بعنوان:

[فضلُ الخُلقِ الحسنِ وأسبابُ اكتسابِه].

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.



فهرس الكتاب